الشذوذ والإبداع

فورستر ◦ أودين ◦ إيشروود





سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عادل عبد الصمد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب . تليفون . ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

KITAB AL-HILAL

No.535-JU-1995 العدد ٥٣٥ ـ صفر ـ يوليو ١٩٩٥

FAX 3625469 فاكس

اسعار بيع العدد فئة ٣ جنيهات

سوريا ١٠٠ ليرة – لبنان ٦٠٠٠ ليرة – الاردن ٢٤٠٠ فلس – الكويت ١٥٠٠ فلس – السعودية ١٢ ريالا – تونس ٢,٥٠ دينار المغرب ٣٠ درهما – البحرين ١,٢٠٠ دينار – الدوحة ١٢ ريالاً – دبى / ابو ظبى ١٢ درهما – مسقط ١,٢٠٠ ريال – غزة والضفة والقدس ٢ دولار – لندن ٢ جك .

الشذوذ والإبداع

(فورستر - اودين - إيشروود)

بقلم

د. رمسيس عوض

دار الهلال

تصـــميم الغـــــلاف
للفنان حلمى التونى

إدوارد مورجان فورستر

سيـرة حياتـه :

فى عام ١٩٩٣ أصدرت دور النشر البريطانية كتابا من تأليف الباحثة نيكولا بومان يتناول سيرة حياة الروائى والناقد الكبير إدوارد مورجان فورستر المعروف فى عالم الأدب باسم أ . م . فورستر . وأهمية مثل هذه الدراسة لا تخفى على أحد فهى أول دراسة تعالج حياة فورستر وتربطها بأدبه . ومن نافلة القول أن فورستر نفسه شاء فى حياته ألا يميط اللثام عن حياته الخاصة التى بقيت بعض أهم معالمها فى طى الكتمان حتى رأت هذه الدراسة الجريئة طريقها إلى النور .

كانت والدة فورستر واسمها ليلى مربية فقيرة وصغيرة السن عندما تزوجت من رجل يدعى ايدى فى الحادية والعشرين من عمره . حبته الطبيعة بموهبة الرسم . وكانت ليلى رغم صغر سنها امرأة مكتملة الأنوثة . وسرعان ما حملت الزوجة من زوجها غير أن حملها لم يقيض له أن يكتمل . والغريب أنه بعد مضى وقت قصير على حملها الأول الذى لم يتم حملت الزوجة للمرة الثانية بسرعة غير عادية ووضعت مولودها الأول إدوارد مورجان فى أول يناير ١٨٧٩ . ورغم أن مؤلفنا لا يقولها صراحة فإنه يلمح (مثلما فعل فى روايته

"موريس") إلى أنه يعتقد أن والده كان مصابا بالشذوذ الجنسى وانه كان على علاقة بصديقه وابن عمه تيوستر تيفيلد الذى يميل الدارسون إلى الاعتقاد أن ليلى كانت تستلطفه . وساعد على التصاق هذين الرجلين كثرة أسفارهما سويا إلى البلاد الأوربية واشتراكهما فى العمل فى مكتب هندسة معمارية واحد . وينحدر مؤلفنا ـ من ناحية الأب ـ من عائلة من الكهنة والقساوسة تنعم بقدر ملحوظ من الدعة واليسار كان يكفى أديبنا لو أراد أن يعتمد عليه فى معاشه . وأصبحت أمه بعد زواجها تعيش فى بحبوحة من العيش وتحتفظ فى بيتها أثناء طفولة مورجان بخادمتين .

ولعب جده لأبيه ـ واسمه هنرى ثورنتون ـ دورا بارزا فى طفولته بسبب تزعمه لحركة دينية انجيلية شديدة الصرامة والتشدد تأسست فى مدينة كلابام ودعت إلى الفضيلة وهداية الكفرة والمارقين وأخذت على عاتقها توزيع الكتاب المقدس فى جميع أنحاء العالم وتقديم يد العون والمساعدة الى المعوزين والفقراء من رجال الكنيسة . وأثمرت هذه الحركة فنجحت فى تحرير العبيد على يد محرر العبيد المعروف وليم ولبرفورس الى جانب سعيها الى حظر الألعاب الرياضية الوحشية ومحاولتها إصلاح السجون . والجدير بالذكر أن هذه الطائفة الانجيلية اتخذت من حجرة مكتب زعيمها هنرى ثورنتون (وليس من الكنيسة) مركزا لنشاطها واشعاعها الدينى . وأظهرت هذه الحركة مقتا للشعر والتصوف الأمر الذى كان سببا فى نفور الحركة الادبية المعروفة باسم جماعة بلومزبرى منها (وهى الحركة التى ينتمى إليها مؤلفنا وكوكبة

من الأدباء من أمثال فيرجينيا وولف) . والجدير بالذكر أيضا أن هذه الحركة الدينية تركت فى نفسه منذ نعومة أظفاره أعمق الأثر وهو فى نحو الثامنة من عمره عن طريق عمته ماريان . ورغم أن فورستر أبرز لنا مزايا هذه الحركة الدينية فى كتاباته فانه عاب عليها ضيق أفقها وعدم اكتراثها بالشعر والعاطفة والموسيقى . يقول مؤلفنا عن أتباع هذه الحركة :

" انهم يتمتعون بالثراء والتقوى الانجيلية والطيبة الصادقة وضيق الأفق والرضا عن النفس والأمانة والميل إلى لوم الآخرين وتقريعهم والاحساس بالانتماء الطائفى والحرص النبيل على المصلحة العامة .. ومن المؤكد أنهم كانوا يفتقرون إلى الاحساس بالفن والاهتمام بالأدب اللهم إلا إذا كان هذا الأدب ذا صبغة عقلية أو تربوية . ويبدو لى أن أخطر عيب يشوب الطائفة يكمن فى عدم اكتراثها بما هو غير مرئى أو منظور . وهو العيب الذى أدى إلى فشل هذه الطائفة فى أن تترك وراءها أثرا يذكر فى مسيرة التاريخ . وهذه الحركة لا تقيم أدنى وزن للشعر ولا تأبه بالغوامض والأسرار والعواطف المتأججة والانتشاء والموسيقى ».

طفولة هانئة فى روكس نست :

فى ٣٠ أكتوبر ١٨٨٠ مات ايدى والد مورجان قبيل أن يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره بعشرة أيام نتيجة اصابته بحمى التيفود وسل الرئة . وكان عمر ابنه عند وفاته أقل من عامين . وبعد وفاة والده أخذته والدته وهو فى الرابعة من عمره فى أواخر فبراير ١٨٨٣ ليعيشا فى ريف روكس نست بالقرب من لندن . وهناك قامت أمه بتنشئته فى جو دينى ولكن بمعزل عن

أقرانه من الصبية . وبوجه عام كانت حياته في روكس نست هادئة وهانئة لدرجة أنه تمنى لو عاش ومات في ذلك الجو الريفي الوديع والجميل . وتشبع مؤلفنا بالقيم الريفية التي تأصلت فيه وأصبحت جزءا لا يتجزأ من موقفه العام من الحياة . فلا غرو أن راقت له أفكار سكين ووليم موريس وادوارد كاربتر التي تعلي من شأن الريف وتفضله على الحضر . ولكن هذا لم ينسه قط ـ وهو لم يتجاوز الثالثة أو الرابعة عشرة ـ أن طبقة فقيرة وكادحة من عمال المصانع تسكن العشش على مقربة منه في قلب لندن . وتعكس روايته المعروفة "هواردز إند" (١٩١٠) سخطه على التصنيع الذي يعكر صفو الريف ويعصف بهدوئه . ولكننا نخطيء إذا ظننا أن حبه للريف يعني كراهيته للمدينة . فالمدينة تروق له أيضا بعكس أنصار الريف الذين لا يحملون للمدينة غير المقت والموجدة . وبمعنى آخر انه لم يعرف الصراع المحتدم بين الريف والحضر اللذين استطاع أن يؤلف بينهما في قلبه .

كان مورجان يحب أمه ولكن حبه لها لم يكن متأججا أو رومانسيا بل كان حبا هادئاً يقوم على العشرة والعيش معها تحت سقف واحد .

وكما أسلفنا كادت طفولته ـ حسب قوله ـ أن تخلو من الصداقات باستثناء صداقته لأنسل أول صديق طفل عرفه في حياته . وكثيرا ما كان الطفلان ينامان في أحضان بعضهما البعض ويتصايحان وهما يزغزغان أحدهما الآخر . وتركت هذه الصداقة الباكرة بصمة على انتاجه الأدبي . ففي روايته "أطول رحلة" عام ١٩٠٧ الأثيرة إلى قلبه نراه يطلق اسم

أنسيل على الصديق الوحيد لبطلها .

مدرسة كنت هاوس :

قررت الأم أن ترسل ابنها مورجان الى مدرسة كنت هاوس الواقعة بجوار البحر فوق قمم الجبال بالقرب من ايست بورن . وكان السبب في اتخاذها هذا القرار اقتناعها بالجو الليبرالى التى اتسمت به هذه المدرسة . وهو عين السبب الذى حدا بوالدة اللورد بيفردج أن تبعث بابنها إلى نفس هذه المدرسة . غير أنه اتضح فيما بعد لوالدة فورستر ان جو المدرسة ليس ليبراليا كما يحلو لها أن تظن . الأمر الذى اضطرها إلى التدخل لدى إدارة المدرسة لحماية ولدها من كثرة الواجبات المدرسية المفروضة عليه ومن أعمال التخويف التى تعرض لها . ويبدو أن مشكلته آنذاك تلخصت فى أنه لم يجد من يفضى إليه بسريرته .

واستمر مورجان فى مدرسة كنت هاوس حتى ربيع عام ١٨٩٣ أى حتى أن بلغ الرابعة عشرة من عمره . وبمرور الوقت أصبح تلميذا مخضرما ، الأمر الذى أعطاه الثقة فى نفسه واشتهر بين زملائه بالشقاوة واعطاء المقالب لهم لدرجة أنهم أطلقوا عليه ساخرين اسم "القديس فورستر" .

وحزن مورجان عندما انتقل فى ابريل عام ١٨٩٣ الى مدرسة البنين فى ستيفندج ثم مدرسة أبنجهام . ففى مدرسة ستيفندج أصبح يتعرض لسخرية التلاميذ منه واستخفافهم به الأمر الذى أدخل التعاسة الى نفسه فطلب من أمه أن تقوم بنقله الى مدرسة أخرى فأجابته الى طلبه . وقد شهدت تلك

الفترة من حياة فورستر تطورا هاما فى زيادة التوسع العمرانى حول ستيفندج لدرجة هددت المزارع والحقول بالاندثار . الأمر الذى أدخل الحُزن والانقباض إلى نفسه .

مدرسـة تونبريـدج :

عندما بلغ مورجان الرابعة عشرة والنصف من عمره ألحقته أمه بمدرسة تونبريدج النهارية الخاصة بسبب سمعتها الطيبة وانخفاض رسوم التعليم فيها . ولكن الأم لم يخطر على بالها أن اهتمام المدرسة سوف ينصرف عن التعليم الجيد الى ممارسة النشاط الرياضى . وفى خريف عام ١٨٩٣ أجرت الأم منزلا قريبا من المدرسة كى تعيش فيه مع ابنها . وأسعده أن يعيش فى منطقة ريفية هادئة وجميلة . وفى تلك المدرسة بقى مورجان من عام ١٨٩٣ حتى عام ١٨٩٧ . وبوجه عام أظهر الطاعة ولكن تسلط الأساتذة جعله يميل إلى التمرد . كما أنه تضايق من افراط المدرسة فى الاهتمام بالنشاط الرياضى . ولكن الدكتور وود ناظر المدرسة كان مختلفا فقد اتسم بالتسامح ورحابة الصدر فيما عدا شىء واحد هو اصراره على حفظ التلاميذ للشعر اللاتينى عن ظهر قلب . فقد كان هذا الناظر ينتفض غضبا عندما ينسى تلميذ جزءا من محفوظاته أو يخطىء فى تلاوته . ولم يسخط فورستر على هذا الأسلوب المتعسف فى التعليم . ولكن أستاذه فى جامعة كامبريدج عزا تخلفه الدراسى إلى هذا الأسلوب العقيم فى التعليم . وأظهر هذا الأستاذ انزعاجه من كم المحفوظات الهائل الذى تعلمه على يدى الدكتور وود ومدرسيه . وعلى أية حال نجحت مدرسة تونبريدج مثلما نجحت مدرسة كنت هاوس

من قبل فى أن تغرس فيه حب الكلاسيكيات الذى لازمه طيلة حياته . ورغم هذا فقد قال "بالتأكيد أنا لم أحب تونبريدج" ويعتقد بعض الدارسين أن فورستر لم يكن بائسا أيام التلمذة فى مدرسة تونبريدج أو غيرها من المدارس وأنه هو الذى شاء أن يشيح هذه التعاسة عن نفسه . ويرى هؤلاء الدارسون أيضا أنه هو الذى بالغ فى تصوير وحدته وعزلته عن أقرانه الطلبة . ويتهم الدارسون فورستر بالتركيز على ما يريد لنا أن نعرفه ويتجاهل تماما ما يريد اخفاءه عنا وهم يستشهدون على ذلك بالتزامه الصمت حول أبيه إيدى ويتجاهل تماما الاشارة الى صديق له أيام التلمذة يدعى ريجنالد تيدى يعتقد بعض الباحثين أن فورستر أحبه على نحو شاذ ولكنه قابل هذا الحب بالصدود ، الأمر الذى سبب له جرحا داميا وعميقا جعله يتحاشى ذكره أو مجرد الاشارة إليه . والجدير بالذكر أن ريجنالد تيدى شأنه شأن فورستر كان دارسا للكلاسيكيات بل انه تفوق منها عليه وحصل على منحة دراسية مكنته من الالتحاق بجامعة أكسفورد حيث تخرج وأصبح أستاذا فيها . ويذهب نفر من الباحثين أن الانطباع العام الذى تتركه يوميات فورستر هو أنه كان شابا مرحا واجتماعيا يحب المشى لمسافات طويلة وركوب الدراجات وتناول الشاى مع أصدقائه وليس ذلك الغلام المكتئب المنعزل والعزوف عن الناس كما يحلو لمؤلفنا أن يصور نفسه فى كتاباته المنشورة .

كامبردج :

كان مورجان فى الثامنة عشرة والنصف وذا وجه جذاب عندما التحق فى صيف عام ١٨٩٧ بكلية الملك بجامعة

كامبردج . ويمكن القول إن شخصيته آنذاك انطوت على جانب ظاهر وجانب يخفيه عن أعين الرقباء وهو الأمر الذى انعكس على طريقة رسمه لبعض الشخصيات الروائية مثل شخصيتي ادجار ولوسى فى روايته "حجرة تطل على منظر جميل" فلوسى التى كانت تستفسر عن كيفية عمل البودنج كانت تجد نفسها في الموسيقى وتحققها فى العزف على البيانو فالموسيقى بالنسبة لها هى العالم الحقيقى الذى تعيش من أجله . ويجدر بالذكر أن والده سبق أن تلقى تعليمه فى كلية ترينتى بكامبردج . وتركت كلية الملك فى مؤلفنا أعمق الأثر إذ تشرب روحها وقيمها حتى أصبحت جزءا من كيانه . وكان الجو السائد فى كلية الملك جوا ليبراليا يناصب المحافظة والاستعمار العداء ويركز على اهتمامات الرجل العادى ويظهر الحرص على صالح الإنسان . فضلا عن أن فورستر ورث عن جماعة كلابام الدينية التى سبق الاشارة إليها ثقتها بالبشر وايمانها بالقيم والأحكام الأخلاقية . ولا غرو إذا رأيناه عام ١٩٢٦ يكتب فى مذكراته حول الشخصية الانجليزية يصف الشباب الأنجلو ـ ساكسونى الذى يتخرج من أرقى المدارس الخاصة بأنه يملك أبدانا قوية وعقولا متطورة إلى حد ما وقلوبا غير متطورة على الاطلاق .

وعندما صرح فورستر فى مقاله "ما أومن به" عام ١٩٣٩ إنه على استعداد لأن يخون بلاده ولا يخون صديقه كان يفكر فى شخصية انتيجون التى ألفها سوفوكل والتى تعتبر أن ولاءها لأخيها أهم من ولائها للدولة التى تعيش فى كنفها . وكان الشاعر السكندرى الكلاسيكى القديم ثيوكريتوس أثيرا إلى قلبه . فإليه يرجع الفضل فى استحداث القصيدة الرعوية

التى راقت له بسبب وصفها للحقول الخضراء وبساطة الحياة الريفية وسعادة حياة الرعاة . فضلا عن استخدامها لعنصر السخرية واستجلاء العلاقة بين الرومانسية والواقع . لقد نجحت جامعة كامبريدج فى أن تنفض الغبار عن الأدب الكلاسيكي وتبعث فيه الحياة من جديد . استطاعت كامبريدج أن تغرس فى مؤلفنا منذ حداثته حبه لأدب سوفوكل وفيرجيل وثيوكريتوس حتى أخريات حياته . وفى أيام التلمذة تأثر فورستر تأثرا كبيرا بثلاثة من أساتذة هذه الجامعة هم أوسكار براوننج وجولد زورثى لوويس ديكنسون وناثا نييل ويد . وعندما تحول فورستر إلى دراسة التاريخ كان أوسكار براوتنج مشرفا عليه . وكان من عادة هذا المشرف أن يجعل الطالب منهمكا فى قراءة بحثه بينما هو يغط فى النوم مختبئا وراء منديل يخفى به وجهه . وقد توثقت علاقة فورستر بأستاذه لوويس ديكنسون بعد أن تخرج من الجامعة . وسافر الاثنان سويا إلى الهند . وأخذ مؤلفنا عن ناثا نييل ويد هرطقته وتعلم منه القسم والحلفان . والى ويد يرجع الفضل فى اتجاهه الى الكتابة فقد حثه هذا الأستاذ على ذلك لأنه توسم فيه الموهبة الأدبية .

وهناك شخصيات أخرى كثيرة عرفها فورستر فى كامبردج وتأثر بها من الناحيتين الفكرية والأدبية . وعلى رأسها تلك الطائفة البارزة من الأكاديميين والعلماء والأدباء أمثال ليتون ستراتشى وجون شبرد وهيو ميرديث وليونارد وولف ومالكولم ارلنج وجورج بارجر وادوارد دنت . وفى ٩ فبراير ١٩٠١ اختير مؤلفنا عضوا فى جمعية تضم بعضا من طلبة جامعة كامبردج النابهين وبعضا آخر من ألمع خريجيها فى مختلف

التخصصات . وجرت العادة أن يقدم العضو الذى تمر على عضويته فترة معينة استقالته حتى يسمح بانتخاب عضو جديد يحل محله وبذلك يمكن تجديد الدماء فى عروق الجمعية . وكان الفيلسوف المعروف ج . أ . مور قد استقال من عضوية الجمعية مؤخرا فتم انتخاب فورستر مكانه . ولعب فورستر دورا هاما فى هذه الجمعية طوال فترة عضويته التى استمرت لمدة أربع سنوات . وكان واحدا من مريدى مور يدين بالمبادىء المؤمنة بأهمية العلاقات الشخصية فى حياة الأفراد والرافضة للخزعبلات الدينية التى سادت المجتمع الانجليزى فى المجتمع الفكتورى . وتحت تأثير فلسفة مور استطاع فورستر أن ينبذ المبادىء الدينية التى اعتنقتها طائفة كلابام دون أن يدعوه ذلك الى التشكك فى جدوى التقاليد الأخلاقية والقيم المادية السائدة فى القرن التاسع عشر ودون أن يشعر بالغربة عن المجتمع الفكتورى . وتتضمن روايته "أطول رحلة" تحية ولاء وتقدير لأفكار الفيلسوف جورج مور . وفى مايو عام ١٨٩٩ طرح مور على أعضاء جمعية الرسل السؤال التالى : "هل العادة السرية (أو الاستنماء) شر فى حد ذاتها" . وانقسم أعضاء الجمعية الى فريقين : فريق من أمثال مور نفسه وهاردى وروبرت مايور يرى أنها شر ، وفريق آخر لا يرى أنها كذلك أمثال سميث وروجر فراى وبوب تريفيليان وجولدى . وعندما طالع مورجان محضر الجلسة شعر بالراحة الشديدة بسبب ما كان يشعر به من ذنب من كثرة ممارسته للعادة السرية . غير أنه وجد حرجا فى مناصرة الرأى القائل بأنها غير ضارة

وكان مؤلفنا يلتزم الصمت أثناء المناقشات المحتدمة لدرجة أن الحاضرين كانوا ينسونه حتى يتفوه بعبارة أو تعليق عارض فينتبهون إلى وجوده منهم . ودرج فورستر على اتباع هذه السياسة المتحفظة فيما بعد عندما أنضم الى جماعة البلومزبرى . وكما يقول البعض استطاع كالسلحفاة أن يخفى نفسه محتميا وراء قشرة سميكة من الصدف . ورغم أن كامبردج ساعدته على الخروج من شرنقة الأفكار المحافظة التى تشربها فى تونبريدج فانه آثر الاحتفاظ عادة بأفكاره المتحررة لنفسه . وفى تعامله مع والدته آثر ألا يؤذى مشاعرها أو يصدمها بأى من الأفكار المتحررة التى اكتسبها فى كامبردج .

وبعد أن أمضى مورجان ثلاثة أعوام فى دراسة الكلاسيكيات أمضى عامه الرابع فى كامبردج عامى (١٩٠٠ ـ ١٩٠١) فى دراسة التاريخ وحضر المحاضرات التى ألقاها جولدى فيه . وساعدته دراسته للكلاسيكيات والتاريخ فى تكوينه ككاتب . وليس من شك أن العلاقة الوثيقة التى توطدت آنذاك بين طلبة جامعة كامبردج واساتذتها من ناحية وبين الطلبة أنفسهم من ناحية أخرى كان لها أيضا أعمق الأثر فى كاتبنا . وكانت علاقته بهيو ميريدث أقرب ما تكون إلى الحب بمعناه الجنسى منها إلى الصداقة العادية . والى هيو ميريدث صاحب الشخصية الانبساطية يرجع الفضل فى توطيد علاقته (وهو الانطوائى) بعدد من زملائه الطلبة فى كلية الملك . وكانت صداقاته القليلة الوطيدة بأساتذته سببا فى إحساسه بالسعادة الغامرة أيام الطلب فى الجامعة التى ظل قلبه ينبض بحبها أبدا والتى عاد إلى كنفها فيما بعد زائرا ومحاضرا .

ايطاليا واليونان والمانيا :

لعبت ايطاليا فى أدب أ . م . فورستر دورا بارزا وفريدا . ظلت ليلى والدته وعمته وقريباته الموسرات يتحكمن فى حياته الباكرة بسبب اعتماده الكامل من الناحية المالية عليهن . وبعد تخرجه فى الجامعة تبادر إلى ذهنه أن يقوم برحلة الى اليونان . غير أن والدته اقترحت عليه أن ترافقه فى رحلة الى ايطاليا حيث بدأ بزيارة لبحيرة كومو . وعندما وطئت أقدامه أرض ايطاليا لأول مرة فى حياته أحس أنه فى بلد مألوفة لديه . وإذا كان هنرى جمس قد عالج فى روايته "صورة سيدة" فكرة الالتقاء الحضارى بين أمريكا وأوربا فإن فورستر عالج التقاء الثقافات بين بنى جلدته وايطاليا فى عدد من أعماله وأهمها "حجرة تطل على منظر جميل" ثم بين بنى جلدته والهند مثلما فعل فى روايته الشهيرة "رحلة الى الهند" . وبعد كومو سافر مورجان وامه إلى ميلانو وبعدها إلى فلورنسا حيث أقاما فى فندق مريح للغاية ويوجد فيه بيانو فى حالة جيدة كان مؤلفنا يهوى العزف عليه . والفندق الذى تصوره رواية "حجرة تطل على منظر جميل" هو فى واقع الأمر أحد الفنادق التى نزل فيها مورجان أثناء زيارته لايطاليا . ولم تكن فلورنسا آخر المطاف فقد زار بعض المدن الايطالية الأخرى .

لقد تركت فيه زيارته لايطاليا أثرا خطيرا فقد أطلقت خياله وغيرت رؤيته الجمالية تغييرا شاملا . وهناك بدأ روايته "حجرة تطل على منظر جميل" التى انتهى منها فيما بعد ونشرها بعد أن أجرى عليها كثيرا من التعديلات . ومن الخطل

أن نظن أن نظرة فورستر إلى ايطاليا كانت رومانسية فقد حدثنا عن قذارة أهل نابولى رغم أن اقامته فيها كانت نقطة تحول فى حياته . يقول فورستر عنهم أنهم فى منتهى القذارة والخمول والبعد عن التهذيب وأن نابولى نفسها تعج بصخب الشرق وحرارته وقذارته وجماله غير المألوف . لقد غيرت نابولى بوجه خاص وجنوب ايطاليا بوجه عام موقفه من الحياة . فهناك تفتحت بالقوة وليس بالفعل رغبات الشاب الجسدية . وإذا كانت نابولى وضعت فيه بذرة الشذوذ الجنسى فإن مدينة الإسكندرية المصرية ـ كما سوف نرى ـ هى التى جعلت هذه البذرة تينع وتؤتى ثمارها . وانه لمن سخرية القدر أن توافق أمه على اصطحابه إلى ايطاليا التى اقترن تاريخها منذ عصر النهضة بإرضاء شهوات الجسد سواء اتفقت مع التقاليد والأعراف أو شذت عنها . فلم يدر بخلدها مطلقا أن ابنها سوف يدرك بالغريزة أن وراء الحياة العادية فى نابولى تختفى ممارسات الجنس الشاذ التى يتقبلها أهلها كجزء من نسيج الحياة . كما أنه لم يدر بخلدها ان كثيرا من الأدباء الأوربيين أمثال جوته وماثيو أرنولد صامويل بتلر اعتبروا ايطاليا طريقهم إلى الهروب من القيم الاخلاقية البروتستانتية المتشددة الى عالم رحب من الاباحية الجنسية والحرية والإنطلاق . وإذا كانت ايطاليا هى السبب فى إدراك فورستر لحقيقة مشاعره الجنسية غير السوية فإن كتابته لروايته ساعدت على تعميق معرفته بهذه المشاعر . وليس أدل على عزوفه عن النساء أنه ظل لا يعرف كيف يعاشر المرأة الرجل إلا بعد بلوغه الثلاثين من العمر .

. لقد أحاط فورستر حياته الجنسية بسياج من الكتمان فقد كانت القوانين الانجليزية أشد ما تكون صرامة فى معاقبة الشذوذ الجنسى . واتعظ كاتبنا من محاكمة أوسكار وايلد التى عاصرها فى شبابه والتى انتهت بالفضيحة النكراء والحكم على وايلد بالسجن لمدة سنتين مع الأشغال . وامتد هذا الكتمان الى أدبه الذى يعالج الشذوذ الجنسى من طرف خفى وعن طريق التلميح المبهم الذى ستغلق على أفهام معظم القراء . فلا غرو إذا اعتبره الكثيرون كاتبا تقليديا لا يهش ولا ينش .

وقبل سفره إلى بلاد اليونان فى رحلة نظمتها جامعة كامبردج زار فوستر كلا من النمسا وألمانيا . وفى اليونان أمضى شهرا بأكمله (إبريل) مع زملائه وأساتذته فى جامعة كامبردج التى أحبها من سويداء قلبه والتى كانت أمنية حياته أن تقبله للتدريس فيها . وتعبر روايته "الرحلة الطويلة" عن تعلقه الشديد بهذه الجامعة التى وافقت فيما بعد على القائه سلسلة من المحاضرات الناجحة بعنوان "جمهورية فلورنسا" . ورغم ضيقه بضجيج لندن وعجيجها فقد راق له المتحف البريطانى كثيرا وزاد من تعلقه به وجوده فى منطقة أثيرة إلى قلبه هى منطقة بلومزبرى . فضلا عما يحتويه من تماثيل يونانية قديمة . وقد زادت رحلته إلى اليونان من ولهه بفن النحت الاغريقى . ويرى فورستر ان المسيحية فى أوربا تعمدت أن تطمس فكر الاغريق الحقيقى وتاريخهم . فهى تصور أفكار افلاطون التى وردت فى كتابه الشهير "المناظرة" على أنها أفكار مثالية تتفق مع جوهر الدين المسيحى وادعت

أن الحب الذى دعا إليه افلاطون فى كتابه هو الحب العذرى أو ما اصطلح العالم على تسميته بالحب الافلاطونى ، فى حين أن الحب الذى يدافع عنه هذا الفيلسوف فى كتابه هو الحب الحسى الذى ينشأ بين الذكور .

ولكن عشق فورستر لايطاليا وغرامه ببلاد الاغريق لم ينسه حبه المقيم لجمال الريف الانجليزى . وهو حب تأصل فيه منذ نعومة أظفاره . هذا الحب جعله يؤمن بعبقرية المكان وانه يستمد الهامه منها . لقد استمد فورستر الهامه بوجه خاص فى قرية ريفية عاش فيها قريبة من نهر التيمس فى ضاحية سرى اسمها واى بريدج . والجدير بالذكر ان جميع رواياته الست التى ألفها طيلة حياته وهى "حيث تخشى الملائكة أن تطأ بأقدامها" (١٩٠٥) - "أطول رحلة" (١٩٠٧) - و"حجرة تطل على منظر جميل" (١٩٠٨) - "هواردز إند" (١٩١٠) - "رحلة إلى الهند" (١٩٢٤) - و"موريس" (١٩٧٠) . كما تستمد مادتها من هذه القرية وان ينابيع الابداع الأدبى جفت منه عندما ترك هذه القرية ليعيش فى أماكن أخرى . على أية حال غادر مورجان فى ربيع عام ١٩٠٥ قرية واى بريدج بعضا من الوقت . فقد أراد أن يعيش مع عائلة يتعلم منها اللغة الألمانية . وسنحت له الفرصة لذلك عندما أخبره صديق له فى كامبردج اسمه سيدنى واترلو أنه له عمة ثرية اسمها اليزابيث فون أرنيم تملك ضيعة كبيرة فى شمال ألمانيا وأنها بحاجة إلى مؤدب تخرج من جامعة كامبردج لتدريس اللغة الانجليزية لبناتها الثلاث . ولم تكن هذه السيدة مجرد امرأة ثرية بل كانت على جانب ملحوظ من الموهبة الأدبية . فقد ألفت عددا من الروايات الذائعة الصيت ومن بينها رواية "اليزابيث

وحديقتها الألمانية" . فضلا عن رواية "فيرا" التى تعتبر من أروع أعمالها . وهي رواية ترسم صورة لزوجها الثانى هو فرانسيس أخو برتراند راسل الذى كان يعاملها بقسوة وشراسة . ورغم حدة طباعها وتقلب مزاجها فقد كانت العلاقة بينها وبين مؤلفنا على مايرام . وفى ألمانيا عاش فورستر عيشة سعيدة وهانئة للغاية وسط الحقول والمزارع والحدائق . وزاد من احساسه بالسعادة الاحساس لأول مرة بالاستقلال عن والدته وانه لم يعد من الناحية المالية معتمدا عليها .

سيد روس مسعود :

ترجع علاقة مورجان بالشاب الهندى "سيد روس مسعود » إلى عام ١٩٠٨ . ففى نهاية هذا العام نراه يكتب فى يومياته معبرا عن حزنه على فشله من التقرب الجسدى من مسعود. قائلا : "إنه ليس واحدا من ذلك النوع" ، ويبدو أن كل شخص يروق لى ليس من ذلك النوع" . وبحلول عام ١٩١١ أصبح هيام مؤلفنا بهذا الشاب بلا حدود . وبعد أن أمضى أجازة قصيرة فى باريس مع صديقه الهندى عام ١٩٠٨ كتب فورستر فى أوراقه الخاصة متسائلاً : "هل يرجع سره المستغلق الى شخصه أم إلى جنسيته" ! ثم أعقب ذلك بالعبارة التالية : "اننى أحبك ياسيد روس مسعود" . وتوطدت علاقة فورستر بمسعود على نحو يعتبره بعض الدارسين تمهيدا لصورة الصداقة الحميمة التى رسمها المؤلف فيما بعد بين الطبيب الهندى عزيز والمدرس الانجليزى فيلدنج فى روايته "رحلة إلى الهند" . وفى صيف ١٩١٠ قرر بعد أن انتهى من روايته "هواردز إند" ان يكرس وقته لممارسة

الرياضة أملا فى أن يحظى بإستجابة مسعود له من الناحية الجسدية . غير أن مسعود أعرض عنه بطريقة لبقة للغاية . فقد تعمد أن يروى له حكايات طويلة عن الأوقات السعيدة التى قضاها فى صحبة الفتيات . ولكن مسعود فاجأه بأن كتب إليه فى ٥ سبتمبر ١٩١٠ خطابا عبر فيه عن غرامه الشديد به ، الأمر الذى جعل نفس فورستر تضطرب وأشعل فيها نار الرغبة الكامنة . وفى صيف عام ١٩١١ سافر مع مسعود فى رحلة الى تيسيريت بالقرب من لوجانو بسويسرا باح لصديقه الهندى برغباته المشبوبة . وأظهر مسعود دهشته لذلك وأعرب عن أسفه . ولكنه لم يبتعد عنه أو يحاول أن يقطع صلته به . بل ظل يعامله بصداقة وود دون أن يمنعه ذلك من ملاحقة الفتيات فى كل فرصة تسنح له . وفى نهاية ذلك العام عاد مسعود إلى الهند حيث وافته المنية عام ١٩٣٧ . واستطاع فورستر أن يتغلب على ألم فراقه عن حبيب قلبه فقد كتب يقول : "اننى أتحمل رحيله الآن على نحو أفضل . لقد افترقنا عن بعضنا البعض ويبدو أخيرا أننا أصبحنا متماسكين" . وعلى أية حال يعترف فورستر فى مناسبة أخرى أن العلاقة بينهما أصابها شىء من الفتور فى نهاية الأمر .

الإسكندرية (كافافى ومحمد العدل)

فى فترة الحرب العالمية الأولى تطوع فورستر لخدمة الصليب الأحمر الذى أوفده للعمل فى مدينة الإسكندرية . وجندته وزارة الخارجية البريطانية عندما استشعرت أن تركيا

عدوتها تنوى غزو محميتها مصر والاستيلاء عليها . وانصب عمله فى الإسكندرية على البحث عن الجنود المفقودين .

وصل فورستر إلى ميناء بورسعيد فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٥ ومنها توجه مباشرة إلى الإسكندرية حيث أزمع البقاء فيها لمدة ثلاثة شهور . ولكن الأقدار شاءت أن يبقى فيها نحو عامين حتى انتهاء الحرب الأولى . وراقت الإسكندرية فى عين فورستر لجملة أسباب تتصل بتاريخها وسكانها الأجانب التى غصت بهم . يقول الدارسون أن تعداد سكان الإسكندرية فى عام ١٩١٧ (وهو الوقت الذى عاش فورستر فيها) بلغ ٤٥٠ ألف نسمة سدسهم من الأجانب وعلى وجه الخصوص اليونانيين والايطاليين إلى جانب بعض الانجليز والأرمن والسوريين . والذى لاشك فيه أن عراقة تاريخها الاغريقى والرومانى كان السبب المباشر لعشقه لهذه المدينة . ورغم زيه العسكرى لم يكن عمله بالإسكندرية عسكريا بل كان عملا مدنيا صرفا يتلخص فى زيارة المستشفيات لسؤال الجرحى من الجنود عن زملائهم المفقودين وتبليغ الصليب الأحمر بأسمائهم . ولعب هذا دورا حيويا فى بريطانيا فى التخفيف من كرب عائلات الجرحى والمفقودين . عرف فورستر الحرب عن كثب واستبشع فظائعها . فقد كتب إلى مسعود فى ديسمبر ١٩١٥ يقول له : "لقد اختفى الى الأبد كل ما يهمنى فى الحضارة . واننى أحاول أن أعيش بدون آمال أو مخاوف" . ويقع المستشفى الذى كان عمله يقتضى منه التردد عليه فى بقعة من أجمل بقاع الإسكندرية هى قصر المنتزه وشاطئها تحيط به الاشجار والورود الخلابة وكانت المستشفى التى يعالج فيها البريطانيون داخل القصر نفسه . واصيب فورستر بالصفراء فبقى فى المستشفى حتى أبل من مرضه . وعلى شاطيء المنتزه اعتاد منظر العرى الجذاب .

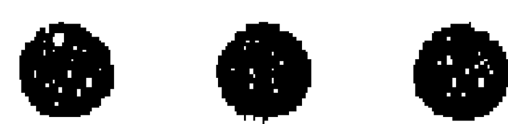
ولا غرو فقد كان الجنود الجرحى فى طور النقاهة يستلقون شبه عرايا على رمال الشاطىء الجميل فتقع أبصاره على أجسامهم البديعة الشكل والتكوين .

وفي الإسكندرية تعرف فورستر بالشاعر السكندرى الكبير اليونانى الأصل كافافى الذى تقابل معه لأول مرة في مارس ١٩١٦ بعد وصوله إلى الإسكندرية بأسابيع قليلة . تعلم كافافى الأدب الانجليزى في انجلترا الأمر الذى ترك بصماته الواضحة فى شعره اليونانى الذى أصدر الشاعر فيما بعد ترجمة انجليزية تولى بنفسه القيام بها . والجدير بالذكر أن كافافى استطاع بمسلكه الجنسى الشاذ وآرائه الجنسية غير المألوفة أن يؤثر أثرا بالغا فى أديبنا وأن يحرره تماما من قيود الأعراف والتقاليد . أى أنه نجح فى استكمال ما فعلته جامعة كامبردج به . وعندما التقى الأديب الانجليزى بالشاعر اليونانى حدثه كافافى برقته المعتادة قائلا : "ياعزيزى فورستر لن يكون بامكانك أن تفهم شعرى أبدا .. أبدا" . مشيرا بذلك إلى أن فورستر لا يجيد اليونانية . ثم أطلعه كافافى على قصيدة شعر بعنوان . "الآله يتخلى عن أنطونيو" . وتملكته الدهشة عندما اكتشف أن فورستر يتابعها بفضل تعلمه لهذه اللغة في مدارس انجلترا . كان كافافى "الذى بدأ ممارساته الجنسية الشاذة فى العشرين من عمره" في سن الخمسين عندما التقى بفورستر . ولم يخجل الشاعر اليونانى من الاعتراف له بشذوذه كما أنه لم يستح من حثه على السير فى نفس الطريق . وقد ترك هذا في نفس مؤلفنا أعمق الأثر وحدد موقفه من الجنس الشا بشكل قاطع . بل إنه جعله بالفعل وليس بالقول أو النية يوبر ظهره

للأعراف والتقاليد . ولم تمض بضعة شهور على تعرف مؤلفنا بكافافى حتى كتب إلى كاتمة أسراره فلورانس بارجر يسر إليها باعترافه : "أمس ودعت الحياة المحترمة لأول مرة فى حياتى" . واللافت للنظر أنه كان فى نحو الثامنة والثلاثين من عمره عندما فعل ذلك . وكانت تلك بداية انطلاقه . ففى عام ١٩١٧ وفى الترام المتجه إلى المنتزه تعرف فورستر بكمسارى ترام فى الثامنة عشرة من عمره اسمه محمد العدل . ويبدو أن العاشق المصرى لم يقبل أن يستجيب استجابة كاملة لنزواته فقد آثر أن يحدثه عن الود والشعور الرقيق . واكتفى هذا العاشق بممارسة الاستمناء المتبادل معه . ويرجع تأخره الواضح فى ممارسة الانحراف إلى شدة سطوة أمه عليه من ناحية وسطوة الأعراف والتقاليد الأخلاقية علية من ناحية أخرى . والجدير بالذكر أن الإسكندرية لعبت دوراً خطيراً فى تحريره من هذه التقاليد والأعراف . ولم تدم علاقته بمحمد العدل طويلا فسرعان ما استدعاه الجيش للتجنيد . وغاب محمد العدل عنه سبعة شهور بأكملها ليعود اليه مشغول البال بوفاة أبيه وأخيه ومشاكل الميراث الناجمة عن وفاتهما . فضلا عن أنه كان يستعد للزواج . إن القليل من الممارسة الجنسية الشاذة مع العاشق المصرى كان يتم فى سرية تامة وبعيدا عن الانظار والغريب ان عشاق فورستر كانوا متزوجين أو فى الطريق إلى الزواج . ويعترف فورستر فى أخريات أيامه بأن محمد العدل من الناحية الجنسية لم يخف اعراضه عنه وانه لم يستجب له إلا بدافع من الأدب والامتنان والشفقة . ويجدر بالذكر أن هذه الممارسات كانت تتم فى العشش الأمر الذى جعلها تفوح برائحة التمرد الطبقى

على القيم البورجوازية من جانبٍ بعض أفراد الطبقة المتوسطة . ويذكر ادوارد كاربنتر فى هذا الشأن أنه يجب أن يختار عشاقه من الذكور من ذوى العضلات المفتولة بين أبناء الطبقة العاملة . ويبدو أن اقدام البورجوازى على إقامة علاقة غير سوية مع الطبقات العاملة أو الدنيا يساعده على القضاء على عقدة الذنب التى تقف باستمرار عقبة فى هذا السبيل . على أية حال لم يقيض لمحمد العدل أن يعيش طويلا . فقد مرض ومات بداء الرقة فحزن عليه فورستر حزنا عظيما .

وبغض النظر عن انحرافه فقد ألهمت الإسكندرية مؤلفنا بتاليف الكتب التالية "الحكومة المصرية" (١٩٢٠) و"الإسكندرية تاريخ ومرشد" (١٩٢٢) و"فنار الإسكندرية القديم" (١٩٢٣) . ومن الواضح أن مؤلفنا تمثل روعة الإسكندرية فى عبق تاريخها الرومانى والاغريقى الخالد وأستثار حاضر هذه المدينة فى مؤلفنا جلال الماضى وعظمته فعاش فيها بخياله ووجدانه قبل أن يعيش فيها بجسده .



لاشك أن عددا كبيرا من أعمال فورستر الخلاقة تشرب روح الشذوذ الجنسى الذى انتشر بين أساتذة جامعة كامبردج وطلبتها فى نهاية القرن التاسع عشر والذى نجد له وصفا مفصلا فى كتاب هولرويد عن ليتون ستراتشى . وقد تأثر كاتبنا بوجه خاص باثنين من أساتذة كامبردج الشواذ هما جولدزورثى لوويس ديكنسون وجون مالت تاجارت . نحن نجد اشارة إلى هذا الشذوذ فى العلاقة التى تربط بين ايوستاس وجينارو فى "قصة عن الذعر والفزع" (١٩٠٤

و"فيليب وجينو" فى قصة "حيث تخشى الملائكة أن تطأ أقدامها" (١٩٠٥) وريكى وستيفن فى رواية "الرحلة الطويلة" . ويظهر لنا هذا الشذوذ بصورة أوضح فى العلاقة بين بيب وجورج فى "حجرة تطل على منظر جميل" . ولم يعالج فورستر الشذوذ الجنسى بصراحة تامة إلا فى اثنين من أعماله هما روايته "موريس" (١٩٧١) وقصة "الحياة الأخرى" (١٩٧٢) ولكنه توخى الحذر فامتنع عن نشرهما فى حياته .

نبدأ بالحديث عن روايته "حجرة تطل على منظر جميل" .

حجرة تطل على منظر جميل :

تنقسم هذه الرواية إلي قسمين وتقع أحداث القسم الأول فى ايطاليا في حين تقع أحداث القسم الثانى فى انجلترا . ويعالج القسم الأول الأثر الذى يتركه الانجليز الذين يزورون ايطاليا من بنى جلدتهم الموجودين فيها . أما القسم الثانى فيعالج الأثر الذى تتركه ايطاليا فى نفوس الانجليز الذين يعيشون فى انجلترا . ورغم أن أحداث القسم الأول تقع فى إيطاليا فإنه يركز على تصوير الشخصيات الانجليزية . حتى البنسيون الايطالى والذى ينزل فيه الزوار الانجليز وتديره سيدة إيطالية أقرب ما تكون إلى الفنادق والبنسيونات الانجليزية التى تظهر فيها الفوارق الطبقية بين النزلاء جلية واضحة .

تبدأ الرواية بوصف رحلة يقوم بها بعض الزوار الانجليز إلى مدينة فلورنسا تضم فتاة تهوى العزف على البيانو اسمها

لوسى التى حضرت إلى ايطاليا مرافقة قريبة لها اسمها مس بارتليت . وتشكو لوسى إلى رفيقتها باترليت من صاحبة البنسيون الايطالية التى وعدتها بحجرة تطل على منظر جميل ولكنها لا تفى بوعدها . ويسمع هذا الحديث الشاكى رجل انجليزى غريب اسمه إمرسون فيقحم نفسه فى الحديث ويعرض على لوسى ومرافقتها أن يترك لهما غرفته التى تطل على نهر الأرنو . فضلا عن أنه يحث ابنه جورج أن يفعل نفس الشىء . وتتضايق لوسى ومرافقتها من هذا التطفل وتسيئان الظن بالمستر إمرسون وابنه . وتذهب لوسى وحدها إلى حانوت فى ميدان السنيورة لتشترى مجموعة من الصور . ولكنها تشاهد فى الميدان رجلا ايطاليا يسفك دم رجل ايطالى آخر أمام عينيها ، فتتلطخ الصور التى اشترتها بالدماء ويغمى عليها وتسقط مغشيا عليها . وتشاء الظروف أن يكون جورج ابن إمرسون على مقربة منها فيبادر بإسعافها . وبمرور الوقت يتضح لها أنها أخطأت عندما أساءت الظن بجورج وأبيه . وتكتشف لوسى التى وعدت سيسيل بالزواج أنها بدأت تحب جورج وتصر على الزواج منه رغم اعتراض والدتها على هذا الزواج . وتنتهى الرواية بعودتهما إلى انجلترا حيث عقدا قرانهما وقررا السفر إلى فلورنسا كى يقيما فى نفس الغرفة التى تطل على منظر نهر الأرنو الجميل . ويصور فورستر تلقائية الايطاليين وتصرفهم على السجية . فهناك الحوذى الايطالى الذى كان يقل عددا من السواح الانجليز فإذ به ينشغل عن عربته وجياده وينصرف إلى تقبيل حبيبته الجالسة بجواره ، الأمر الذى أثار سخط السواح الانجليز عليه . ويمتدح مؤلفنا هذه التلقائية . وتتصرف لوسى بنفس هذه

التلقائية وبنفس الشاعر الايطالية الدافقة عندما تضرب عرض الحائط بنصيحة والدتها وتقرر الزواج من جورج .

يقوم البناء الروائي فى "حجرة تطل على منظر جميل" على سلسلة من المفارقات والتناقضات الموجودة فى شخصيات الرواية وفى خلفيات أحداثها والقيم التى تتضمنها . فشخصية إمرسون تتناقض مع شخصية إيجر وجورج يتناقض مع سيسيل ولوسى مع تشارلوت كما أن ايطاليا تتناقض مع انجلترا وضاحية سرى القريبة من لندن تتناقض مع لندن . والحياة فى عهد الاغريق والرومان تتناقض مع حياة القرون الوسطى والعاطفة المتأججة تتعارض مع العقل والغريزة مع التقاليد والأعراف . وهناك أيضا كاهنان على طرفى نقيض . فشخصية القسيس بيب (الذى تربطه علاقة شاذة بجورج ابن إمرسون) تتميز بالاستنارة والليبرالية ورحابة الصدر وطيبة القلب ، الأمر الذى يتعارض مع شخصية قسيس آخر اسمه إيجر متعجرف ومغرور . وفى بدء الرواية نرى بيب يدافع عن غرابة تصرفات إمرسون وينجح فى اقناعها بسلامة طويته مما جعلها تقبل أن تستبدل غرفتها غير الجميلة المنظر بغرفته ذات المنظر الجميل .

وإذا كان الشذوذ الجنسى لا يظهر فى الجزء الأول من الرواية فإنه يظهر بشىء من الجلاء فى الجزء الثانى منها وبالذات فى الفصل الثاني عشر منها . وهو الفصل الذى يصور منظرا للاستحمام والعرى من شأنه أن يلقى الضوء على شذوذ القسيس بيب الجنسى . وهو منظر له شبيه فى قصيدة "أغنية لنفسى" من تأليف الشاعر الأمريكى الشاذ

جنسيا . وتحدثنا هذه القصيدة عن مجموعة كبيرة من الرجال يجلسون بجوار الشط للاستمتاع بدفء الشمس وقد أظهروا أعضاءهم التناسلية دون اكتراث لما يثيره منظرها من رغبة واشتهاء فى النساء المارات . ويصور هذا المنظر العارى دعوة فريدى للقسيس بيب ورفيقه جورج إلى الاستحمام فى ماء بركة كانت لوسى تستحم فيها . وفى مبدأ الأمر يرفض بيب أن يخلع ملابسه الكهنوتية . ولكنه يغير رأيه عندما يرى الشبان يخلعون ملابسهم . وينتقل إليه حماس هؤلاء الشباب فيتخلى عن وقاره ويخلع ملابس الكهنوت ويلقى بجسده العارى فى الماء ويشعر بسعادة بالغة وهو يعاكس رفاقه ويرشهم بالماء ويطاردهم محاولا إرغامهم على الخروج منه . ويغتاظ منه رفاقه فيأخذون ملابسه الكهنوتية ويتقاذفونها فوق رءوسهم فيسقط لباس القس الداخلى فى الماء ويطفو على السطح . ويصل هذا المنظر ذروة الفكاهة والمرح عندما يخرج فريدى وجورج من الماء عاريين كما ولدتهما أمهما ويندفعان ليجدا نفسيهما أمام لوسى وأمها . ويلعب هذا المنظر دورا هاما فى توطيد علاقة الصداقة التى تربط بين فريدى وجورج ، ويخلص جورج من حالة الاكتئاب التى أصابته كما أنه يظهر الرغبات الجنسية الشاذة الكامنة فى نفس القسيس بيب . ومن السخرية الواضحة أن يصف المؤلف هذا المنظر العارى بنفس اللغة والرموز والأخيلة التى يستخدمها القساوسة فى ممارسة طقوسهم الدينية .

ولكن لا مناص من أن نؤكد أن الاشارات إلى الشذوذ الجنسى من هذه الرواية لا تعدو أن تكون مجرد إيماءات

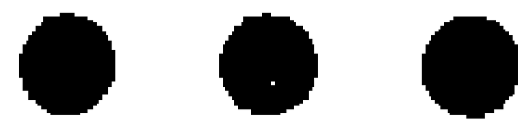
بخلاف ما نراه فى روايته "موريس" و"الحياة الأخرى" وهى مجموعة من ثمان قصص تحمل هذا العنوان . ولكننا نخطىء إذا ظننا أن فورستر فى أى من كتابته قادر على الكتابة فى

هذا الموضوع بصراحة .

رواية "موريس" :

يعيب بعض النقاد على رواية "موريس" أنها تبعث على السآمة والملل وأنها لا تقدم تحليلا لشذوذ موريس الجنسى كما أنها لا تشرح كيف تخلى كلايف عن نزعاته الشاذة ليعود إلى الحياة الجنسية السوية . والرواية تتضمن صورة عابرة لشخصية أديب معروف بشذوذه الجنسى هو ليتون ستراتشى كان لا يخجل من التصريح بشذوذه أمام الملأ . ويظهر هذا الرجل فى الرواية باسم ريسلى . وهو يتسم بالجرأة والتحدى فى البوح بشذوذه بعكس شخصية موريس الحانقة الوجلة التى تسعى الى إخفاء أفعالها قدر ما تستطيع عن الناس . وينحى ليتون ستراتشى باللائمة على فورستر لأنه فى روايته يشير بطرف خفى وغير ملحوظ إلى ممارسة موريس للعادة السرية فهو يحبذ أن يعالج المؤلف هذا الموضوع بقدر أكبر من الوضوح والصراحة . وكما سبق أن أشرنا فإن الأمر اللافت للنظر فى حياة فورستر الجنسية بل فى حياة الكثيرين من أترابه آنذاك ايثارهم للأمان وممارسة الجنس الشاذ فى بلاد بعيدة فكثيرا ما كان يسافر الى استكهولم لهذا الغرض . الى جانب عزوفه وعزوف أترابه عن ممارسة الجنس مع أبناء

طبقتهم البورجوازية وإقبالهم على ممارسته مع أفراد ينتمون إلى طبقة أدنى من الناحية الاجتماعية وهى الطبقة العاملة .



يذكر أ . م . فورستر فى ملحق الرواية التى كتبها من ألفها إلى يائها عن الشذوذ الجنسى بعنوان "موريس" والتى تتضمن جانبا من سيرة حياته أنه شرع فى تأليف هذه الرواية عام ١٩١٣ بعد أن قام بزيارة واحد من كبار المدافعين عن ممارسة الشذوذ الجنسى فى إنجلترا آنذاك هو إدوارد كاربنتر . بدأ كاربنتر (١٨٤٤ ـ ١٩٢٩) حياته كقسيس ولكنه سرعان ما نبذ الكهنوت بعد أن قرأ أشعار والت ويتمان وتأثر بها . واتجه إلى قرض الشعر ونادى بالاشتراكية وناصب التصنيع العداء ودعا إلى الحياة البسيطة . وساعده على ذلك أنه كان له دخل مستقل يغنيه عن الاعتماد على وظيفة أو الغير .

تعرف فورستر على إدوارد كاربنتر عن طريق الأستاذ الأديب الناقد لووس ديكنسون (١٨٦٢ ـ ١٩٣٢) وفى أثناء زيارته الثالثة لكاربنتر قابل فورستر عنده صديقاً لكاربنتر اسمه جورج ميريل . وتركت مقابلة فورستر لميريل فى نفسه عمق الأثر لدرجة أنها أوحت إليه بكتابة "موريس" . يعترف فورستر دون حياء أو خجل أن جورج ميريل هز كيانه عندما تحسس ظهره برقة فوق الردفين ، الأمر الذى كان له مفعول السحر عليه من الناحيتين الجسدية والنفسية وجعله يمر بتجربة أقرب ما تكون إلى تجارب الصوفية واليوجا . وكما قلنا حركت فيه هذه التجربة الرغبة فى كتابة رواية

"موريس" التى جاءت إليه أحداثها وشخصياتها بمنتهى اليسر وانتهى من تأليفها فى زمن قياسى عام ١٩١٤ . ورغم أن فورستر امتنع عن نشرها بسبب حساسية موضوعها فإن هذا لم يمنعه من عرضها على قلة قليلة من أصفيائه وخلصائه من الرجال والنساء الذين أظهر كثير منهم إعجابا بها . حتى فكرة إنهاء الرواية نهاية سعيدة جاءت إلى المؤلف بمنتهى اليسر . ومن ثم ختمها بأن جعل بطلها الشاب موريس يعيش مع عشيقه أليك فى تبات ونبات وفى أحضان الطبيعة .

ويعترف فورستر أن شخصية موريس تختلف عنه فى عدة امور منها أنه لا يملك الفتنة الجسدية التى يملكها موريس . فضلا عن أنه لا يشبهه في كسله العقلي وشعوره بالاستعلاء ونجاحه فى إدارة الأعمال ويضيف المؤلف أنه استقى شخصية موريس من طالب شاب عرفه معرفة شخصية فى جامعة كامبردج ، وأنه تعمد إضفاء الطابع الإغريقى أو الهيلينى (وهو ما سوف نعود إليه بالتفصيل) على شخصية كلايف زميل موريس بجامعة كامبردج . ويصور فورستر الحب المشبوب الذى يربط بين موريس وكلايف على أنه علاقة أفلاطونية مثالية لا تشوبها شوائب الجسد . وهى علاقة يعترف المؤلف نفسه بأنها أبعد ما تكون عن الواقعية .

وعندما قرأ ليتون ستراتشى (١٨٨٠ ـ ١٩٣٢) ـ وهو أديب وصديق لفورستر ـ مخطوطة الرواية اعترض على ديمومة العلاقة التى تطورت بين حارس الصيد أليك وموريس . قال ستراتشى إن مثل هذه العلاقة التى تقوم على

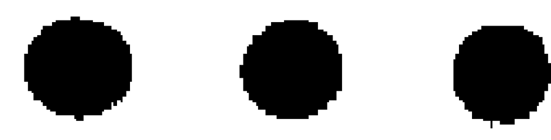
الشهوة وحب الاستطلاع لا يمكن لها أن تدوم ـ على أقصى تقدير ـ أكثر من ستة أسابيع .

يقول فورستر إنه سبق د . هـ . لورانس في رسم شخصية حارس الصيد . فقد رسم هذه الشخصية في يوليه عام ١٩١٤ أى قبل أربعة عشر عاما من رسم لورانس لشخصية حارس الصيد التى تدور حولها روايته المعروفة "عشيق الليدى تشاترلى" (١٩٢٨) . ويذكرنا فورستر أن أحداث رواية "موريس" تقع نحو عام ١٩١٢ أى قبل الحرب العالمية الأولى فى حين أن رواية لورانس تقع بعد نهاية هذه الحرب .

ولم يكن ليتون ستراتشى وحده الذى عاب على الرواية نهايتها السعيدة فقد عبر لووس ديكنسون ـ رغم إعجابه بها ـ عن عدم رضاة عن هذه النهاية السعيدة التى وصفها بالافتعال . وعرض فورستر رواية "موريس" على صديقه الجديد فورست ريد فعبر عن امتعاضه منها وأزواره عنها . الأمر الذى حفز مؤلفها إلى الدفاع عن موضوعها والقول بأن الشذوذ الجنسى بين الذكور أمر لا غبار عليه طالما أنه يقوم على موافقة طرفين راشدين وليس فيه شبهة الاكراه أو الاستغلال .

وعلى أية حال فلا مناص من القول إن المؤلف لم يكن مرتاحا إلى الجزء الرابع والأخير من روايته التى صور فيها سعادة العاشقين موريس وأليك بدليل أنه قام بإعادة كتابة بعض أجزائه مرتين الأولى فى عام ١٩١٩ والثانية فى عام ١٩٣٢ . فضلا عن أنه أدخل عليها تعديلات جديدة عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ورغم السماحة التى طرأت على موقف الرأى

العام الإنجليزى من الشذوذ الجنسى فى الستينيات فى القرن العشرين فقد أصر فورستر على عدم نشرها إلا بعد وفاته رغم أن نشرها لم يكن يعرضه لأية مساءلة قانونية أو ضغوط أخلاقية . فنشرت لأول مرة عام ١٩٧١ .



قبل أن نعرض لرواية موريس يخلق بنا أن نقدم صورة مفصلة للحياة الجنسية عند الإغريق لأن هذه الرواية تدافع عن هذه الحياة ولا ترى فيها ما يعيب أو يخجل .

تلقى محاورة أفلاطون المعروفة بالمناظرة ـ التى تتردد الإشارة إليها فى رواية "موريس" ضوءا غامرا على تحبيذ الإغريق للممارسات الجنسية بين الذكور . يقول أفلاطون فى هذه المحاورة : "حيث إنه من المعترف به أن الإيروس (إله العشق الجنسى) هو أقدم الآلهة جميعا فإن الفضل يرجع إليه فى استمتاعنا بأعظم بركاته . فليس فى حياة أى شاب ما يفوق عثوره على عاشق فاضل وعثور مثل هذا العاشق الفاضل على حبيب قلبه بين الشبان إن الحسب والنسب والثروة ومظاهر التشريف والتكريم أو اى شىء آخر يعجز عن تعويض من يزمعون ان يحيوا حياة نبيلة طيلة أعمارهم عن فقدان الحب . فما الحب ؟ إنه الخجل من الإتيان بالأفعال المشينة والتطلع إلى القيام بالأفعال الطيبة التى بدونها يستحيل على أية مدينة أو فرد إنجاز أية أعمال عظيمة ونبيلة . ومن ثم فإنى أؤكد أن العاشق إذا تم ضبطه متلبسا بعمل أى شىء مشين او متخاذلا عن الدفاع عن نفسه بسبب الجبن سوف يشعر بغصة الألم الممض إذا عرف حبيبه بأمر فعلته الشائنة أكثر

من تألمه فى حضرة أبيه أو اصحابه أو أى إنسان آخر . كما أننا نرى على نفس هذا النحو ان الشاب المعشوق يشعر بوجه خاص بالألم إذا رآه عاشقه وهو يرتكب الخطأ يقترف الإساءة . ولو أن هناك وسيلة تكوين الدولة أو الجيش من العشاق والأحباب فإنهم سوف يصبحون أقدر على إدارة الأمور على نحو أفضل من إدارة الآخرين لها بشرط أن يمتنعوا عن الإتيان بكل الأفعال الشائنة ويتنافسوا تنافسا شريفا فيما بينهم . مثل هؤلاء الرجال وأترابهم رغم قلة عددهم يمكنهم أن يهزموا العالم لأن الرجل الذى يعشق يشعر بالخزى من التخلى عن موقعه أو إلقاء سلاحه فى وجود حبيبه أكثر من أى إنسان آخر . وهو فى الغالب يفضل أن يفتدى حبيبه بحياته ويلقى الردى بدلا منه لأنه لا يوجد إنسان تبلغ خسته ونذالته مبلغا يجعله يتخلى عن حبيب قلبه ويتركه فى الوحل دون أن يمد إليه يد المساعدة عندما يرى الخطر يتهدده . فإيروس أو إله العشق نفسه سوف ينفث فى قلبه الشجاعة فيتصرف تصرفا يليق بأشجع الشجعان . والآلهة ـ كما يقول هوميروس ـ تنفث هذه الشجاعة فى أرواح بعض الأبطال ولكن الحب نفسه قمين ببثها فى نفوس العشاق والمحبين .

هذا ما قاله الفيلسوف أفلاطون فى محاورته "المناظرة" عن حب الذكور للذكور . "الجدير بالذكر أن الإغريق كانوا يعتبرون عشق الرجال للغلمان وساما يضعه هؤلاء الرجال على صدورهم كما كانوا يحتقرون الرجل الذى يفشل فى اجتذاب الغلمان إليه . فمثل هذا الرجل فى نظرهم لابد أن يكون عاطلا

عن المزايا والمواهب . ومن الخطل أن نظن أن علاقة الإغريق بالغلمان اقتصرت على شهوة الجسد فقد كانت علاقة روحية وأخلاقية بالدرجة الأولى أو هكذا ينبغى أن تكون . فالرجل بمثابة الأب الروحي للغلام الذى يعشقه ويتعهده بالرعاية ويزجي إليه النصح والإرشاد ويغرس فيه أسمى القيم والفضائل . ورأى الأغريق فى الغلام الجميل الممشوق القوام المثل الأعلى فى الجمال ، كما رأى الإغريق فى الذكور بوجه عام تجسيدا للفكر والعقل والحجى . وأدت هذه النظرة المتميزة من جانب الرجال ضد النساء إلى إهمال الإغريق تربية المرأة على نحو مشين . فالمرأة لا تعدو في نظرهم أن تكون مجرد أم تنجب العيال وتعتنى بشئون المنزل . أى أنها مجرد وسيلة للحفاظ على النوع . وعندما حبذ الإغريق عشق الغلمان وفضلوه على عشق النساء لم يكونوا يقصدون بذلك الأطفال أو الصبية بل الغلمان البالغين . فالقانون الإغريقى ـ كما سوف نرى ـ كان يعاقب مضاجعة الأطفال . وكان أفضل عمر لعشق الغلمان عند الإغريق يتراوح بين الثانية عشرة والسادسة عشرة . أما سن السابعة عشرة فكانوا يعتبرونه مثلهم الأعلى فى الحسن والصبا والجمال . وهو سن لا يفوز به غير الذكور من الآلهة وبالذات رب الأرباب زيوس الذى استأثر به دون الجميع .

يقول الباحثون إن اللواط قديم قدم العهد بين النساء بدليل وجود الرجال (الشواذ) جنبا إلى جنب مع المومسات فى المعابد فى سالف الزمان . ويستدل الباحثون على انتشار دعارة الرجال فى أثينا القديمة مما سطره الشاعر الفيلسوف والسياسى المشرع سولون فى هذا الشأن . ففى تشريعاته

يجرم سولون عشق طبقة العبيد للغلمان ويقصر هذا العشق على طبقة الأسياد أو الأحرار . فضلا عن أن تشريعاته توقع العقاب على كل غلام تسول له نفسه الاتجار بفتنته وجمال جسده . فعلاقة الرجل بالغلام لا ينبغى أن تقوم على المنفعة كما يتضح لنا من شكوى اسكينيس ضد الشاب تيماركوس ، ولكن ينبغى أن تقوم على الحب والود المتبادل . وهذا ما يؤكده الكاتب المسرحى الكوميدى أرسطوفان فى كتابه "بلوطوس" حيث يقول : "إنهم يقولون إن الغلمان يفعلون هذا الشىء ليس من أجل عشاقهم ولكن من أجل التربح والتكسب . ولكن أقول إن هذا ينطبق على النوع الأسوأ من اللواطيين لأن النوع الأفضل من الغلمان لا يطلب مالا مقابل هذا" .

ويشكو الكاتب ستراتون مر الشكوى من الغلمان الذين يتاجرون بجمال أجسادهم من أجل المال ويعيب عليهم أنهم لم يتلقوا التربية السليمة . فالغلام الذى أحسنت تربيته ويعشق حبيبه عشقا حقيقيا لا يقبل من عاشقه أكثر من تذكار أو هدية "رمزية" . ويحدثنا ليسياس أيضا باشمئزاز عن رجل أثينى أحب غلاما اسمه ثيودوتوس الذى وقع مع عاشقه عقدا لفترة طويلة يبيح لعاشقه أن يعاشره مقابل ثلاثمائة دراخمة . ورغم تجريم اتجار الغلمان بأجسادهم فقد انتشرت فى أثينا وبعض المدن الاغريقية مواخير يبيع فيها الغلمان والنساء أجسادهم لقاء المال . ولكن هؤلاء الغلمان فى العادة لم يكونوا من طبقة الأثينيين الأحرار بل من المهاجرين أو أسرى الحرب . ولعل أشهرهم هو فايدو الذى تحاور معه الفيلسوف سقراط محاورته

الشهيرة عن خلود الروح قبل أن يتجرع كأس السم وتفيض روحه ، وفايدو ينحدر من عائلة نبيلة من مدينة إيليس التى دخلت فى حرب ضد مدينة إسبرطة . فسقط فى طفولته فى أيدى أعدائه الذين باعوه إلى الأثينيين فاشتراه صاحب بيت دعارة . وهناك تعرف به سقراط الذى طلب من أحد مريديه الأثرياء أن يقوم باقتنائه . وكثيرا ما كان وجهاء أثينا يذهبون إلى بيوت الدعارة ليختاروا لأنفسهم خليلا يستأجرونه ليسرى عنهم وعن رفاقهم في المناسبات وأيام الأعياد والاحتفالات . ويجدر بنا أن نذكر أن المشرع سولون الذى سبق الإشارة إليه كان يمارس الشذوذ الجنسى . فضلا عن أنه المسئول عن سن التشريعات الخاصة بعدم أهلية العبد في إقامة صلة جنسية بغلام أثينى حر ، الأمر الذى يؤكد اعتراف القانون الأثينى بظاهرة اللواط وإعلاء شأن الغلام الحر على الرجل العبد وسن سولون تشريعات تستهدف حماية الأطفال من أعتداء الراشدين الجنسيين عليهم لأن مثل هذه العلاقة الحميمة ـ كما أسلفنا ـ لابد أن تنهض على الود والحب المتبادل . والجدير بالذكر أن قوانين أثينا كانت فى منتهى الشدة والصرامة وتوقع غرامة كبيرة على كل من يثبت أنه ألحق غلاما أثينيا في بيت من بيوت الدعارة حيث يتاجر بجسده . ولكن صرامة هذه القوانين لم تجد فتيلا من الناحية العملية . فقد كانت هناك دائما وسيلة للتحايل على القوانين إذ كان بإمكان أى غلام أثينى يتاجر بجسده أن يتظاهر بأنه يفعل ما يفعل بسبب الود والحب المتبادل وليس بسبب المال وعلى كل حال كانت كل القوانين تنطبق على الأغريق وحدهم دون العبيد والمهاجرين وأسرى الحرب .

يقول الشاعر الألمانى المعروف جوته إن عشق الرجال للغلمان قديم قدم الإنسانية . وهو رأى يؤيده العلم الحديث . ويرجع تاريخ أول سجل أدبى لهذه الظاهرة إلى أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عام . فقد تناولت هذا الموضوع إحدى البرديات المصرية القديمة . الأمر الذى يدل على انتشار هذه الظاهرة فى مصر القديمة . أضف إلى هذا أن الأساطير الإغريقية الموغلة فى القدم تفيض بالإشارات الكثيرة إلى قصص عشق الذكور للذكور . فالشاعر هوميروس يحدثنا فى الإلياذة عن الحب الذى يحمله الشاب أشيل للغلام باتروكلوس . وفى ملحمة الأوديسا أيضا يخبرنا هوميروس أنه بعد موت أشيل حل أنتيلوكوس محله فى عشق باتروكلوس ، الأمر الذى يدل على أن الشاعر الإغريقى هوميروس لم يكن يتخيل أن بإمكانه تصوير بطل فى أى قصيدة ملحمية له دون أن يكون لهذا البطل غلام يعشقه ويشير الكاتب التراجيدى اسخيلوس إلى وجود علاقة شهوانية بين كل من أشيل وباتروكلوس .

ويخبرنا تيميوس أن سكان جزيرة كريت هم أول من استحدثوا عشق الغلمان وأدخلوه فى بلاد اليونان القديمة . ويقول الفيلسوف أرسطو إن دولة كريت لم تكتف بتنظيم هذه الممارسة فحسب بل شجعت عليها باعتبارها وسيلة فعالة لتحديد النسل ، والغريب أن سكان جزيرة كريت اعتبروا هذه الممارسة نشاطا قوميا . والدليل على ذلك أن سائر الإغريق اعتبروا أن رب الأرباب زيوس هو الذى اغتصب الفتى المليح جانيميد فى حين يزهو أهل كريت بأن ملكهم العجوز هينوس

هو الذى قام بفعل ذلك ، ويشير هذا إلى شيوع ظاهرة اغتصاب الغلمان فى كثير من المدن الإغريقية بوجه عام وفى جزيرة كريت بوجه خاص ، ولم تكن طلعة الغلام البهية هى سر انبهار الرجال الإغريق به . فقد كانت شجاعته أهم بكثير من جماله . واغتصاب الغلمان ـ كما يقول المؤرخ المعروف بلوتارك ـ كان شائعا أيضا فى مدن كورينثيا وأرجوس وطيبة الإغريقية . غير أن شيوعه لم يكن مؤكدا فى مدينة أسبرطة .

إن الأدب الإغريقي يفيض بالإشارات التى لا تنتهى إلى فتنة الغلمان وسحرهم مثلما نجد فى ترانيم هوميروس الذى يصف اغتصاب المليح جرانيميد بكثير من التفصيل وأيضا فى ملحمته "الأوديسا" التي تروى لنا كيف التقى أوديسيوس أثناء تجواله فى جزيرة سيرسى بفتى فاتن غض الاهاب غير معروف لديه اسمه هيرميز ، ويحدثنا أفلاطون فى بداية محاوراته "بروتاجوراس" عن عشق الفيلسوف سقراط للغلام المليح اليسباديس الذى ما انفك هذا الحكيم يلاحقه فى كل مكان . وعندما علق واحد على أن مظاهر الرجولة بدأت تلوح على هيئة هذا الغلام وأن لحيته أخذت تنمو رد سقراط على هذا بقوله : "وماذا فى ذلك ؟ ألا توافق هوميروس على رأيه القائل : "الشاب يتحلى بأكبر قدر من الحلاوة والفتنة عندما تبدأ لحيته فى الظهور وفيها يكمن سحر أليسباديس" . ويذكر ديوجنيس أن سقراط فى حداثته كان معشوقا لمعلمه أرشيبلوس وهو رأى يؤكده بورفيريوس الذى ذكره أن سقراط وهو غلام فى السابعة عشرة من عمره ـ كان راضيا بعشق أرشيبلوس له منغمسا معه فى الملذات والشهوات التى هى أساس الطاقة التى تحولت فى سنى نضجه إلى حماس للعمل

العقلى والنشاط الذهنى المنقطع النظير . ونحن نرى أن سقراط فى كتابات أكسينوفون يصرح بأنه يعشق الذكور فى أعماقه وبكل كيانه ، الأمر الذى يجعلهم يسعون إلى حضرته . وهناك تطابق كامل فى هذا الشأن بين الرواية التى أوردها أفلاطون فى "المناظرة" ورواية "أكسينوفون" عن عشق سقراط الجارف للذكور وحبه العميق للغلام أوتولايكوس . يقول أكسينوفون على لسان سقراط أنه عندما جلس بجوار الغلام المليح كريتوبولوس شعر بألم ممض يسرى فى نخاعه كما لو أن حيواناً قد لدغه . ولكن الصورة التى يرسمها أكسينوفون لسقراط صورة متناقضة . فهو يجعل سقراط كثيرا ما يحذر الشباب من مغبة الوقوع فى هوى الغلمان لأن هذا الهوى فى تقديره أشد فتكا من السم الزعاف . وهى صورة تتفق مع ما أورده أرسطوفان فى مسرحيته الكوميدية المعروفة باسم "السحاب" التى تسخر من سقراط سخرية لاذعة تخلو تماما من كل إشارة إلى عشق هذا الحكيم للغلمان عشقا جسديا شهوانيا . وتأسيسا على هذا يذهب الباحثون إلى أن سقراط فى سنى نضجه عشق الشباب عشقا روحيا وفكريا وأنه أراد أن يرشدهم إلى الحياة العقلية ويبتعد بهم عن الانزلاق فى هدة الرغبات الجسدية .

ومن الملاحظ أن الأدب الإغريقى يمجد بهاء الشباب الغلمان الذين اعتادوا قضاء الساعات الطوال فى ممارسة رياضة وهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم فيبدون بقوامهم ممشوق فتنة للناظرين ، فبالإضافة إلى ما سبق ذكره تغنى شاعر هوميروس فى الإلياذة بجمال الغلام نيريوس الذى

يفوق فى جماله كل شباب الإغريق . ونحن نطالع فى الإلياذة أيضا كيف أن الملك العجوز بريام سعى إلى لقاء الشاب أشيل الذى سفك دم ولده هكتور مطالبا إياه برد جثة ابنه إليه . فما إن وقعت أنظاره على وجه أشيل حتى بهت بفتنته ووقف مبهورا أمام جمال ذلك الشاب الذى ذبح فلذة كبده .

والجدير بالذكر أن الاغريق لم يعبروا عن ولههم بالغلمان فى إنتاجهم الشعرى والنثرى فحسب (وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل) بل فى الرسم والفنون التشكيلية أيضا ، وخاصة تلك الرسوم التى خلفوها على أوانى الزهور . فعدد الغلمان المرسومين على هذه الأوانى يفوق بكثير عدد الفتيات . فضلا عن أن الرسام الإغريقى كان لا يرى فى الجمال الأنثوى أى جمال إلا إذا كان شبيها بجمال الغلمان .

وفى مجال الشعر يثنى الشاعر بندار فى ديوانه "نيميا" عاطر الثناء على حلاوة الغلمان .. ويفعل الشاعر الغنائى ليسمنيوس نفس الشىء فهو يروى لنا عشق هيبنوس إله النوم وهيامه بعيون الشاب أنديميون لدرجة أنه منعه من إغلاق عينيه أثناء النوم حتى يتملى بمنظرهما الجميل . ومن الضرورى أن ننبه فى هذا الصدد أنه لا شىء استأثر بأفئدة الإغريق فى أجساد الغلمان أكثر من العيون التى تغنى بجمالها الشعراء . ولعل الكاتب المسرحى أرسطوفان أفضل من عبر عن فتنة هذه العيون فى مسرحيته "عشاق أشيل" وفى وصفه لسحر عيون الغلام بيلوبس .

ويصف الشاعران ميليجر وكاليمالوس روعة الغلمان كما أن الكاتبين المسرحيين المعروفين سوفوكل ويوربيديس تغنيا فى

أدبهما بجمالهم . ويزخر شعر الإغريق الغنائى والملحمى على حد سواء بتقريظ الغلمان .

وقد جاء فى سير الأقدمين عن الشاعر الأسطورى أورفيوس أنه بعد أن رحلت زوجته عن الدنيا شعر بالوحدة المضنية فذهب إلى بيته فوق جبل تراس ليعيش فيه وجاءت إليه الفتيات والنساء من كل حدب وصوب والتففن حوله يحاولن أن يسرين عنه فى لوعته وفجيعته ولكنه أبى أن يستجيب لهن بسبب إصراره على الوفاء لذكرى زوجته . وقد أورد الشاعر أوفيد فى هذا الشأن فقرة يدعو فيها أورفيوس الأزواج الذين فقدوا زوجاتهم ويحرصون على استمرار الوفاء لهن أن يفرجوا عن كربهم عن طريق معاشرة الغلمان . ومن المفارقة الشديدة أن يرتبط اسم أورفيوس فى أذهان المحدثين بالتفانى والإخلاص المنقطع النظير لزوجته فى حين يذهب الأقدمون وعلى رأسهم الشاعر أوفيد إلى أن أورفيوس هو المسئول عن تعليم أهل تراس معاشرة الغلمان .

وهناك الشاعر الملحمى هسيود أحب غلاماً اسمه باتراخوس أوحت إليه وفاته الباكرة بنظم مرثية عنه .

أما الشاعر الملحمى فانوكليس فقد نظم عدداً من المرثيات التى تروى تاريخ عشق الغلمان عند الإغريق فى قالب شعرى وهى مرثيات تتضمن حكايات كثيرة عن حب الآلهة والأبطال للغلمان . والجدير بالذكر أن آباء الكنيسة المسيحية أمثال كليمنت السكندرى ولاكتايتيوس وأروستيوس استشهدوا بقصائد فانوكليس للتدليل على إباحية وفسق الوثنية . وهناك أيضاً الشاعر ديوتيموس الذى نظم ملحمة فى كفاح هرقل

ذهب فيها إلى أن السبب فى إتيان هرقل بالأعمال الجبارة يرجع فى واقع الأمر إلى عشقه للغلام إيوريستيوس . وكذلك الشاعر أبولونيوس من رودس الذى اشتهر بنظم قصيدة طويلة بعنوان "مغامرات أرجويوتس" فى أربعة دواوين تحكى فيما تحكى قصة غرام هرقل للغلام هيلاس . فضلاً عن أن الشاعر نوفوس ألف قصيدة طويلة تتضمن إشارات إلى الموضوع بعنوان "حياة وأعمال دينسيوس" وهى ملحمة تدور حول رحلة هذا الإله الظافر إلى الهند وحول عشقه للغلام أمبيلوس . ولا يخشى الإله دينسيوس شيئاً قدر خشيته من أن يروق الغلام أمبيلوس فى عين رب الأرباب زيوس فيخطفه . ويموت الغلام أمبليوس فيلعن الإله دينسيوس خلوده كإله ويتمنى لو كان بشراً فانياً وليس إلهاً خالداً حتى يتمكن من اللحاق بعشيقه فى وادى الموت . وفى كربه لا يجد دينسيوس خلاصا من شقائه سوى الوقوع فى غرام جديد يشفيه من غرامه القديم . وهناك آلهة كثيرون يشاركون كلا من زيوس ودينسيوس نفس الهوى مثل الإله بوسيدون الذى سحره جمال نبيلوس والإله أبولو الذى سحره جمال هياسينثوس . وهناك أيضاً الإله هرميز الذى وجده فى حلاوة كادموس ما يخلب لبه .

ومعنى هذا أن الآلهة الإغريق شاركوا الشعب الإغريقى فى استملاح الغلمان والافتتان بجمالهم . ونذكر فى هذا الصدد أن أب الكنيسة كليمنت السكندرى توفر على دراسة للأساطير الإغريقية وأحصى عدداً هائلاً من الإشارات إلى حب الذكور بين الآلهة والأبطال الإغريق كى يدلل بذلك على إباحية الحياة الإغريقية . ولكن حب الإغريق للغلمان لم

يمنعهم أحياناً من إطلاق النكات علي هذه الممارسة . يقول الشاعر الكبير هوراس إنه ليس مطلقاً ما يمنع من معالجة أى موضوع جاد على نحو مازح وخفيف . ويحتوى ديوان المختارات الشعرية الذى تركته لنا اليونان القديمة معالجة ساخرة للرجال الذين يتحولون إلى نساء فى حضرة غيرهم من الرجال . وهو الموضوع الذى أثار سخرية الكاتب الكوميدى المعروف أرسطوفان الذى أطلق على مثل هؤلاء الرجال بعض أسماء النساء .

وبالرغم من أن الشعر الغنائى الإغريقى انصرف فى كثير من الأحيان إلى التعبير عن عشق الرجال للغلمان فإن كثيراً من هذا الشعر باد واندثر ولم يبق منه سوى شذرات مثل أبيات الشاعر ثيوجنيس فى القرن السادس قبل الميلاد الذى عشق غلاماً اسمه سيرنوس . وتعهد الشاعر بحسن تربية الغلام الذى ازور عنه . وقد شاعت أبيات الشاعر ثيوجنيس لدرجة أنها أصبحت شيئاً أشبه ما يكون بالكتاب المدرسى . وعن طريق أفلاطون وصلت إلينا كثير من أقوال سقراط فى هذا الشأن مثل غزله فى الغلامين أجاثون وديون .

وهناك أيضاً تلك الشذرات الغنائية التى خلفها الشاعران أرشيلوكوس وأليسيوس حول هذا الموضوع . ويذهب شيشرون إلى أن الشاعر أبيكوس نذر كل حياته للإشادة بالغلمان . وعن الشاعر أناكريون يقول شيشرون إنه خصص كل شعره لمدح الغلمان مثل امتداحه لشعر سميرديس المجعد وعيون كليوبولوس وشباب باثيلوس الغض .

ويعتبر بندار الذى عاش فى الفترة بين عام ٥٢٢ وعام

٤٤٢ قبل الميلاد أعظم شاعر غنائى أنجبته اليونان القديمة . تغنى بندار فى شعره بصداقة الغلمان .

ويقال إن الآلهة منحته الغلام الجميل ثيوكسينوس تقديراً لموهبته . وأثناء حضور هذا الشاعر مسابقة فى ملعب أرجوس الرياضى داهمته نوبة قلبية فاستند إلى صدر الغلام وفاضت روحه وهو بين ذراعيه . وأيضاً من أشهر القصائد الغنائية التى خلفها الإغريق وراءهم ثلاثون قصيدة رعوية نظمها الشاعر ثيوكريتوس الذى عاش تقريباً فى الفترة بين عامى ٣١٠ و٢٤٥ قبل الميلاد . وقد كرس هذا الشاعر ثمانية من قصائده الثلاثين تكريساً كاملاً لعشق الغلمان . ومن أبدعها قصيدتان إحداهما بعنوان "أحباء القلب" والأخرى بعنوان "عيد الحصاد" . وأيضاً من أبرز دواوين الشعر التى تركها الإغريق ديوان يعرف باسم مختارات الشعر الذى سبق الإشارة إليه أو مختارات بالاتينوس . ويدور الجزء الثانى عشر من هذه المختارات بأكمله حول عشق الغلمان ويحتوى فيما يحتوى على أربع وتسعين قصيدة كتبها الشاعر الإغريقى البارز ستراتون (الوافد من ساردييس) الذى بدأ قصائده باستلهام زيوس رب الأرباب الذى ضرب للبشر أعظم مثل يحتذى فى عشق الذكور عندما قام باختطاف الغلام جرانيميد والهرب به .

وهناك أيضا الشاعر مليجر الذى سبق الإشارة إليه والذى نظم قصائد الغزل فى مدح عشيقه المفضل الغلام ميسيكوس . ويكرس هذا الشاعر سبعا وثلاثين قصيدة من مجموع قصائده الستين المنشورة فى ديوان المختارات

الشعرية فى التنويه ببهاء ميسكوس وبالذات ببهاء عيونه . يقول مليجر مدافعاً عن عشق الغلمان : "إن المرأة سيبريس هى التى تصنع فى صدورنا لهيب الرغبة المتأججة فى النساء ولكن الحب نفسه هو الذى يأمرنا بالرغبة فى الغلمان . فأين أتوجه . هل أتوجه إلى عشق الغلام أم إلى عشق أمه .

أؤكد لكم أنه حتى سيبريس نفسها سوف تحكم لصالح الولد الشقى" .

والشاعر أسليباديس يعتبر معلم ثيوكريتوس ويحتوى ديوان المختارات على إحدى عشرة قصيدة نظمها أسليبادوس للتغزل فى الغلمان . أما الشاعر والعالم كاليماكوس الذى عاش فى الفترة من ٣١٠ إلى ٢٤٠ ق . م . تقريباً فقد انتقل بعد دراسة العلوم فى أثينا إلى مدينة الإسكندرية حيث أصبح واحداً من أبرز علماء اللغة فيها وعمل فى بلاط البطالمة وساهم بدور فعال فى إدارة وتنظيم مكتبة الإسكندرية .

ويحتوى ديوان المختارات الشعرية على ما لا يقل عن اثنتى عشرة قصيدة نظمها هذا الشاعر فى التشبيب بالغلمان . وإلى جانب هؤلاء الشعراء البارزين يحتوى ديوان المختارات الشعرية على أشعار أربعة وعشرين شاعراً أقل مرتبة امتدحوا عشق الذكور للذكور أمثال الشعراء ديوسكوريدس وريانوس وألكيوس وألفيوس وأوتوميدون وإيفينوس وجوليوس ليونيداس وغيرهم .

قلنا إن الإغريق لم يقصروا دفاعهم عن عشق الغلمان على

الشعر فقط . ففى مجال الكتابة النثرية ألف ديموستنيس رسالة بعنوان "الحب الجنسى" تدافع عن هذا العشق من الواضح أنها تأثرت بكتاب "فايدروس" لأفلاطون . غير أن أهم كتاب سطره الإغريق فى الدفاع عن حب الذكور للذكور هو كتاب "المأدبة" وهو الحوار المعروف باسم "المناظرة" والذى يعتبر من أبدع ما سطره يراع الفيلسوف أفلاطون على الإطلاق . وقد ألفه أفلاطون بعد عدة سنوات على مرور حفلة غداء أقامها الكاتب التراجيدى أجاثون ودعا إليها أصدقاءه : سقراط وفايدروس ويوزانياس وإريكسيماكوس وأرسطوفان . وبعد أن تناول الحاضرون الغداء ومع بداية تناولهم للمشروبات اقترح أحد الموجودين وهو فايدروس مناقشة موضوع هام هو العشق الجنسى . وتحدث الكاتب المسرحى أرسطوفان فعرف الحب فأنه بحث الإنسان الذى شطرته الآلهة نصفين .

ولكن أهم الأحاديث التى دارت فى هذه الحفلة ذلك الحديث الذى ورد على لسان سقراط وفيه يقول : إن الحب هو تعبير عن سعى الإنسان إلى الخلود . فالحب يضع فى جسد المرأة وأحشائها بذور الإنجاب كما أنه يبذر فى أرواح الغلمان والشبان الحكمة والفضيلة . ويذهب سقراط إلى أن العشق هو المثل الأعلى الذى يجمع بين الروح والجسد فى انسجام رائع وبديع . وما أن فرغ سقراط من حديثه الرائع حتى دخل غلامه أليسبياديس وهو فى حالة سكر خفيف وقد جاء لتوه من مأدبة أخرى ليقرظ سقراط ويثنى عاطر الثناء عليه ويعتبره مثلاً يحتذى فى الحياة الذهنية والقدرة على ضبط النفس . ويفوق كتاب أفلاطون "المناظرة" فى إبداعه وجمال صياغته كتابه

الآخر "أليسيباديس" الذى يدور حول عشق سقراط لهذا الغلام . كما أن كتابه "فايدروس" يعالج أيضاً موضوع عشق الغلمان .

ويعالج كتاب "العشاق" الذى لا ينهض دليل على نسبته إلى أفلاطون موضوع المقارنة بين عشق الذكور للإناث وعشق الذكور للذكور . والكتاب عبارة عن مناظرة بين رجلين أحدهما كونيثى اسمه كاريكليس يدافع عن حب الرجل للمرأة والآخر أثينى اسمه كاليكراتيداس يدافع عن حب الرجال للغلمان .

ويقوم ليسينوس بدور الحكم فى هذه المناظرة بين الرجلين .

ويصل ليسينوس إلى رأى يعتبر أصدق تعبير عن موقف الإغريق فى هذا الأمر . فهو يقر أن الزواج شىء لا غنى عنه وخاصة إذا كان موفقاً . ومن ثم ضرورة شيوعه بين كل البشر فى حين أن عشق الغلمان هو دلالة الحكمة والحجى ولهذا نراه يحبذ قصر ممارسته على صفوة المجتمع وحكمائه .

وقد أصابت هذه المناظرة ذيوعاً كبيراً بين الإغريق لدرجة أن كثيراً من الكتّاب قاموا بمحاكاتها فى أعمال أدبية مماثلة مثل الكاتب أشيل تاتيوس . ويروى لنا أكسينوفون قصة الغرام المشبوب الذى ربط بين هيبوثوس والغلام هيبر رانثوس الذى اشتراه تاجر ثرى اسمه أريستوماكوس وسافر به إلى بيزنطة حيث تبعه عاشقه . وبدافع الغيرة أجهز هذا العاشق على التاجر الثرى ولاذ بالفرار مع حبيب قلبه . ولكن عاصفة هوجاء تهب على السفينة التى تقل العاشقين فيغرق

الغلام فى اللجج والأنواء . ويصيب الكمد هذا العاشق ويغمر قلبه المكلوم فيقيم نصباً جميلاً فى ذكرى حبيبه الذى اختطفه الموت منه . ولا يجد هذا العاشق مخرجاً من يأسه وقنوطه سوى الهيام على وجهه بعد أن تحول إلى لص وقاطع طريق .

ولكن عشق الغلمان فى المجتمع الاغريقى لم يقف عائقاً أمام نظام الزواج فقد كان الرجل الاغريقى ذا طبيعة جنسية مزدوجة . وبطبيعة الحال لم تقبل الزوجات الإغريقيات نظام عشق الغلمان عن رضا وطيب خاطر وهو الأمر الذى يتضح مما أجراه نص مسرحي كوميدى مجهول المؤلف على لسان إحدى الأثينيات التي صرحت بأنها لا تكترث بمعاشرة رجل يرغب بدوره في أن يعاشره رجل آخر .

وأخيراً لا ينبغي أن يفوتنا أن نكرر ما سبق أن ذهبنا إليه من أن الاغريقى العاشق كان مسئولاً مسئولية كاملة عن حسن تنشئة عشيقه . وقد أورد بلوتارك فى هذا الشأن قصة مفادها أن غلاماً في حومة الوغى ندت عنه صرخة مدوية رهيبة فوجهت الدولة فيما بعد اللوم لعاشق هذا الغلام وأنزلت به أشد العقاب لأنه فشل فى غرس الشجاعة والإقدام فى نفس معشوقه صحيح أن الكاتب الناشر لوسيان يكرس أحد مختاراته بالكامل لاستجلاء طبيعة الجمال عند الذكور وصحيح أيضاً أن الإغريق انبهروا بجمال عيون الغلمان . ولكن جمال الغلام الجسدى لم يكن كل شىء فى نظر المجتمع الإغريقى فهناك فضائل يجب على الغلام أن يتحلى بها مثل الشجاعة وجمال الروح .

ليس هناك بد من هذه المقدمة الضافية حتى نتمكن من

فهم رواية "موريس" لـ "ا . م . فورستر" على النحو الصحيح فهذه الرواية تدافع بصراحة عن تبنى موقف الإغريق الإباحى من الجنس .

بالرغم من أن رواية "موريس" تعالج موضوعاً شائكاً هو الشذوذ الجنسى بين الذكور فإنها تخلو تماماً من كل أثر للبذاءة بالعكس فإن كل كلمة فيها تتميز بالأناقة والرشاقة والبعد الكامل عن الفحش أو حتى مجرد الغلظة أو الخشونة فالرواية تعتمد على الإيماءات الجنسية الخبيئة ولا تستفز القارىء أو تصدم مشاعره بأية ألفاظ نابية .

تصور رواية "موريس" شخصيتها الرئيسية (التى تشبه شخصية المؤلف فى انحرافه عن السلوك الجنسى الطبيعى) وهو يتأهب لمغادرة مدرسته الثانوية الخاصة استعداداً للالتحاق بجامعة كامبردج . ولم يكن موريس طالباً نابهاً أو محباً للعلم بل هو كسول يحجم عن بذل أى مجهود ذهنى . فضلاً عن أنه كثير الشرود فى الفصل مما جعله يتعرض لعقاب مدرسيه من آن إلى آخر . وينحدر موريس الذى يتمتع بقدر غير عادى من الوسامة من أسرة ميسورة تقطن الريف مات عائلها وترك وراءه إلى جانب موريس أرملة وبنتين فى سن الزواج هما أدا وكيتى . وقبل أن يغادر موريس مدرسته حرص أقدم المدرسين المستر لوسى على إزجاء النصح الجنسى له وتبصيره بأمور الدنيا . وينتهز هذا المدرس فرصة الرحلة التى تنظمها المدرسة لتوديع خريجها موريس لينتحى به جانباً على الشاطىء ويشرح له طبيعة العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى . والغلام يبدو وكأنه فى حقيقة الأمر لا يعى

شيئا مما يقوله مدرسه . وعلى رمال الشاطىء يرسم المستر دوسى لتلميذه رسماً توضيحياً يبين اتصال الذكور بالإناث . غير أن الفزع يصيب الرجل حين يكتشف أن الشاطىء لا يخلو من الزائرين . ولا يطمئن باله حتى يأتى المد فتغطى أمواجه رسومه البيانية . والجدير بالذكر أن المدرسة الخاصة التى تخرج فيها موريس هى نفس المدرسة الخاصة التى سبق لأبيه أن تعلم وتخرج فيها .

وفى سنى مراهقته كانت الأفكار البذيئة تراود موريس ليس أثناء الصلاة فى الكنيسة فحسب بل أيضاً أثناء المناولة . ورغم هذا فقد كان إيمانه بالدين المسيحى وبوجود الله إيماناً عميقاً ظل يحتفظ به حتى تعرف بطالب اسمه كلايف درام فى جامعة كامبردج ، وتوثقت العلاقة بينهما .

كان كلايف شاباً مرهف الحس مغرماً بالموسيقى الكلاسيكية ومتفوقاً فى دراسته للغة الإغريقية . وفى حداثته نبذ كلايف درام الدين المسيحى وتبنى الموقف الهلينى الذى سبق أن شرحناه بالتفصيل والذى يحبذ الممارسة الجنسية بين الذكور .

وصدم هذا الشاب المتمرد أمه المتدينة وأخواته البنات (فقد توفى والده) عندما صرح أمامهن بإلحاده .

وتوثقت العلاقة الحميمة بين موريس وكلايف درام فأصبح الواحد منهم يشاهد وهو يسير متأبطاً ذراع زميله . ومن المفارقة أن بعض أساتذة الجامعة كانوا أسرع إلى ملاحظة تطور العلاقة الحميمة بين الشابين من زملائهما الطلبة .

وعندما جمعتهما حجرة معيشة طلابية واحدة لم يجد كلايف درام أدنى غضاضة فى الجلوس على الأرض تحت قدمى موريس والسماح لموريس أن يربت على شعر رأسه . وتحت تأثير كلايف بدأ إيمان موريس بالدين يهتز . وأشار كلايف على صديقه أن يقرأ "المناظرة" وهى ذلك الجزء من محاورات أفلاطون الذى يدافع عن الشذوذ الجنسى . غير أن موريس الكسول لم يأبه بذلك فى بادىء الأمر .

وفى أثناء إحدى الإجازات الجامعية زار موريس أهله فى الريف حيث التقى بفتاة اسمها جلاديس أو كلوت حاول أن يغازلها ولكنها نهرته بشدة وطلبت منه أن يكف عن ذلك العبث . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى إدراكها بالغريزة إنه فى واقع الأمر لا يصلح أصلاً لمعاشرة النساء . وبطبيعة الحال صرفته هذه التجربة الفاشلة عن الاختلاط بالنساء ودفعته أكثر وأكثر إلى بنى جنسه من الذكور .

وفى يوم من الأيام صرح كلايف درام لموريس أنه متيم به . فبهت موريس لهذا القول واعتبره إساءة بالغة . وخجل كلايف من نفسه عندما وجد أن صديقه موريس لا يستجيب لمشاعره فطلب إليه ألا يخبر أحداً بما دار بينهما . ومن جانبه حاول موريس (الذى لم يكن قد اكتشف نوازعه الحقيقية بعد) أن يتظاهر بأنه إنسان سوى وطبيعى وأنه يجد متعة فى مخالطة النساء . ولكنه أدرك فى النهاية أن مثل هذا التظاهر لن يجديه فتيلاً ، كما أدرك أنه مشدود إلى عالم الرجال بوشائج لا تنفصم عراها أبدا . وهو الأمر الذى جعله رغم كسله يقبل على قراءة "المناظرة" التى أوصاه صديقه

بقراءتها . ويحاول موريس أن يناقشها مع صديقه كلايف الذى يرفض ذلك لأن موريس سبق أن صده وجرح كبرياءه ومشاعره . واضطر موريس فى نهاية الأمر أن يعود إلى صديقه راضخا ومستسلماً ليعترف له بأنه يبادله الشعور بالحب . وهكذا تطورت علاقة العشق بين الشابين غير أنها ظلت علاقة بريئة ونوعا من العشق العذرى أو الأفلاطونى .

ولاحظ عميد الكلية أن موريس كثير التغيب عن محاضراته .

وفى أحد الأيام كان موريس يركب دراجة فى طريقه للقيام برحلة مع كلايف . وأراد العميد أن يستوقفه كى ينبهه إلى كثرة تغيبه عن المحاضرات . غير أنه لم يكترث به ومضى لحال سبيله لا يلوى على شىء . فاغتاظ العميد لقلة أدبه وأمر بفصله حتى يعتذر عن سوء سلوكه . ولكنه ركب رأسه ورفض الاعتذار وفضل أن يترك الدراسة بالكلية ويتولى إدارة العمل الخاص الذى كان والده المتوفى يقوم بإدارته وأصاب موريس فى إدارة هذا العمل الذى ورثه عن أبيه نجاحاً ملحوظاً .

ولم يستمر العشق بين موريس وكلايف . فقد بدأ كلايف يتغير بعد تخرجه بنجاح وتفوق من الجامعة إذ أخذ يخطط لمستقبله وفكر فى الاشتغال بالسياسة وخوض الانتخابات المحلية كى يصبح عضواً فى البرلمان . كما فكر فى الزواج وتكوين حياة عائلية مستقرة . وأبلغ كلايف صديقه موريس بمشروعاته المستقبلية وطلب إليه أن يكتفيا بعلاقة الود والصداقة وأن يطويا ذلك العشق الرومانسى المشبوب . وكان ذلك صدمة لموريس عجز عن تحملها . وعبثاً انتظر أن يعود

كلايف إليه . ولكن بات من الواضح أن كلايف يبتعد عنه يوماً بعد يوم وأنه سوف يعقد قرانه قريباً على سيدة من سيدات المجتمع الراقى تكون عونا له فى تحقيق طموحاته السياسية .

وهكذا أصاب اليأس والإحباط موريس ، وفى زيارة قام بها هذا الشاب لمنزل كلايف فى الأرياف التقى بحارس صيد اسمه أليك سكادر يعمل بخدمة صديقه الذى تصادف أن تغيب وقتاً طويلاً عن منزله . وبسبب قصة حبه الفاشل وجد موريس فى علاقته الجديدة بحارس الصيد شيئاً كثيراً من التعويض عن إحباطه . وإذا كانت علاقة موريس بكلايف فيما مضى اتسمت بالأفلاطونية والمثالية فإن علاقته الجديدة التعويضية بحارس الصيد أليك تطورت إلى علاقة جسدية . ولكنها على أية حال علاقة تقوم على التضحية والإيثار والفداء تماماً كما يحدث فى العلاقات الطبيعية التى تنشأ بين الرجل والمرأة .

وتنتهى الرواية بأن ينبذ موريس عمله التجارى الناجح والمحترم من الناحية الاجتماعية كى يعيش تحت سقف واحد مع عشيقه حارس الصيد . ومن جانبه يقرر حارس الصيد فى آخر لحظة العدول عن الهجرة من إنجلترا ليبقى بجوار موريس عشيقه .

دابليـــو إتيش أودين

طفولتــه :

لم يكن الشاب دابليو إيتش أودين ـ واسمه بالكامل ويستان هيو أودين ـ رشيقا أو خفيف الحركة بل كان على العكس من ذلك تماما . ثقيل الحركة علي نحو لافت للنظر . وساعد على ذلك قصر نظره الشديد الذى حال بينه وبين رؤية الأشياء المحيطة به بجلاء . ورغم ضعف ابصاره دفعه العناد والمكابرة الى الامتناع عن لبس نظارة طبية ، الأمر الذى جعل قيادته للسيارة فيما بعد شيئا محفوفا بالمخاطر يفزع المرافقون له من المعارف والأصدقاء .

لم يكن أودين يحب أن يخوض الدارسون فى سيرته أو يتناولونها بالتحليل مثلما نفعل الآن . فالرأى عنده أن حياة الكاتب الخاصة لا تهم أحدا غير أهله وأصدقائه . واعتبر شاعرنا أن الخوض فى خصوصيات لأديب ليست سوى نوع من النميمة والقيل والقال : لا يدخل بحال من الأحوال فى دائرة البحث العلمى . فلا غرو إذا رأيناه قبل وفاته يوصى أصدقاءه بحرق الخطابات التى أرسلها إليهم . ولكن قلوب الكثيرين منهم لم تطاوعهم على تنفيذ رغبته وآثروا الاحتفاظ بها للشهرة أو المال أو التاريخ .

ولد شاعرنا فى ٢١ فبراير عام ١٩٠٧ من أم اسمها كونستانس . تميزت بالعصبية وقوة الشكيمة والجنوح الى السيطرة . وكان جورج والده الطبيب الناجح والمرموق ابن قسيس انجيلى كما كانت أمه المقدنية ابنة قسيس انجيلى أيضا . ومن سخرية الأقدار أن نجد أن شاعرنا ويستان سمى على اسم قديس بريطانى سفك دمه فى عام ٨٠٥ ميلادى لأنه اعترض ـ مثلما فعل هاملت عند شكسبير ـ على زواج أمه من هذا العم الذى ينتهك باقدامه على هذا الزواج قوانين الكنيسة . وقد ورث الشاعر عن أمه ميلها الشديد للنظام والتمثيل وغرامها المفرط بالحيوانات وخاصة القطط فلا غرو إذا رأيناه ينام مع احدى القطط الأثيرة إلى قلبه فى فراش واحد ويقول : "أعتقد ان للحيوانات أرواحا . والكنيسة يجانبها الصواب عندما تنكر هذا" . وبلغ عشق الشاعر للنظام الصارم أنه وضع لنفسه جدولا زمنيا للكتابة والقراءة وتناول الطعام واستقبال الأصدقاء وكان الاخلال بهذا الجدول الزمنى الدقيق يثير فيه الضيق والانزعاج . فضلا عن أنه ورث عن أمه ذاكرتها العجيبة التى مكنتها من أن تحفظ بدون خطأ أية صفحة تقرؤها .

كان ويستان أصغر ابناء الدكتور جورج أودين يكبره أخوان آخران سنا على التوالى : برنارد وجون . وكان الفارق فى العمر بين شاعرنا وأخويه كبيرا . ورغم أن والدته كانت تدلله باعتباره آخر العنقود فإنها كثيرا ما أخذته بالشدة ومنتهى الحزم .

يقول أودين فى هذا الصدد عندما يذكر أسلوبها فى التعامل معه إنه اعتقد أنها لا تتورع عن قتله فى لحظات غضبها منه . وزاد من التصاقه بأمه أن الفارق بين سنه وسن أخويه كان كبيرا . فهما يلعبان ويمرحان أو ينتظمان فى مدارسهما الداخلية بعيدا عنه . وفضل الدكتور جورج أودين "الذى ينحدر من أصل ايسلندى" أن يغلق عيادته الناجحة فى يورك التى تدر عليه ربحا وفيرا ليصبح أول مفتش للصحة المدرسية فى مدينة برمنجهام . ورغم ذلك فإن دخله الخاص أتاح له فرصة العيش الرغد ومكنه من الاحتفاظ بحوذى لعربته وبخادمتين وطباخ .

كان ويستان رغم كسله نابها وأصغر تلميذ فى أى فصل يلتحق به . وعلمته أمه منذ نعومة أظفاره وهو فى السادسة من عمره متعة الانتظام فى الذهاب إلى الكنيسة التى صار شماسا يخدم على مذبحها . وتشرب الطفل من والده حب الأساطير ومنها الأساطير الايسلندية التى ازدهرت فى شمال أوربا . ولا عجب فقد كان أبوه يروى له حتى قبل أن يتعلم القراءة حكايات عن حرب طروادة وصراعات آلهة الاغريق ومشاحناتهم على قمة جبل الأولمب . وحذا ويستان حذو والده الذى جمع بين حب العلوم والفنون فى اتخاذ موقف مماثل . فتعمق الوالد فى دراسة العلوم الطبيعية والطبية لم يصرفه قط عن اللغتين اللاتينية والإغريقية . فضلا عن اللغات الأوربية الحديثة مثل الألمانية والدانماركية بدرجة مكنته من ترجمة بعض كتب الآثار والتاريخ القديم إلى اللغة الانجليزية . وبذلك يكون الدكتور أودين أول الذين أدركوا تكامل المعارف

الإنسانية وتجاهل الحواجز التقليدية التى تفصل دراسة العلوم الطبيعية عن دراسة العلوم الإنسانية . يقول ويستان فى هذا الشأن : "كانت الكتب العلمية فى مكتبة أبى تقف جنبا إلى جنب مع الأعمال الشعرية والروائية ، ولم يخطر ببالى مطلقا أن أفكر أن أحدهما يقل فى قيمته وإنسانيته عن الآخر" .

ويستطرد شاعرنا قائلاً : "إن مكتبة والدى لم تعلمنى القراءة فحسب بل أملت علىَّ اختيارى لما أقرأ . لم تكن مجرد مكتبة أديب أو متخصص ضيق الاهتمامات . بل كانت مجموعة من الكتب المتنوعة حول موضوعات كثيرة من بينها عدد قليل من الروايات . وكانت نتيجة ذلك أن قراءاتى أصبحت على الدوام واسعة وعابرة أكثر من كونها قراءات من أجل الدراسة والبحث . فضلا عن أن هذه القراءات كانت فى مجموعها بعيدة عن الموضوعات الأدبية" . ومن الغريب أن الكتب التى تأثر بها شاعرنا فى طفولته كانت بعيدة كل البعد عن الأدب . ويحمل بعض هذه الكتب العناوين التالية : "مدرسة ادنبرة للجراحة" . و"كتاب السيدة بيتون فى الإدارة المنزلية" . و"الأخطار التى تهدد الصحة" إلى جانب أعمال هانز أندرسون وادوارد لير ولويس كارول وجول فيرن وارايدر هاجارد وشرلوك هولمز التى أولاها اهتمامه واعجابه . ويذكر لنا ويستان ان الشعر الوحيد الجاد الذى تأثر به فى طفولته هو قصيدة تينسون المعروفة "فى الذكرى" التى اعتاد والده أن يتلوها بصوت عال ، الأمر الذى غرس فيه اقتناعا ظل معه طيلة العمر بأن الشعر لم ينظم ولكنه نظم

للتلاوة . ولعل من الغرابة بمكان أن نعرف أن كمية الشعر التى قرأها الشاعر فى طفولته محدودة للغاية . اضف إلى هذا نظرته إلى الشعر على أنه قيمة تبعث البهجة فى النفس . ويبدو أنه تأثر فى باكورة إنتاجه الشعرى بمهنة والده كجراح فهو يصور فيه نفسه على أنه جراح يضمد ويشفى ويعيد الصحة للنفس المعتلة .

كان علم النفس فى مطلع القرن العشرين علما ناشئا حديث التكوين اختلفت حول قيمته الآراء . غير أن والد ويستان كان من أوائل المؤمنين به والحريصين على اقتناء الكتب عنه . ورغم أن معظم أفراد عائلته كانوا قساوسة ومحامين فإن هارى عم الشاعر اشتغل بالكيمياء الصناعية . وكان هذا العم الأصغر يجنح إلى المثلية ويجمع صورا فوتوغرافية عارية لأطفال كورال الكنيسة ، الأمر الذى يعنى أن المثلية لم تكن غريبة عن العائلة . وأدرك ويستان منذ نعومة أظفاره بأن هناك فرقا فى الطباع بين عائلة والده وعائلة أمه التى كانت قريبة من طباعه . فعائلة أمه اتسمت بسرعة الغضب وشدة الكرم والهستيريا والمزاج العصبى والاستعداد لاعتلال الصحة . وهى جميعا صفات ورثها الشاعر باستثناء اعتلال الصحة فقد كان يتمتع بصحة موفورة . وإذا كانت أمه افرطت فى تدليله فإنه من ناحيته أفرط فى الوله بها . وكان افراطه فى حب والدته سببا فى شعوره الداخلى بالتوتر ، الأمر الذى جعله يعزو ميله إلى الأنثوية فى حياته اللاحقة إلى رغبته فى أن يصير صورة طبق الأصل من أمه . وغرست طفولته فيه احساسا راسخا بالأمان والاستقرار ، وهو احساس أعطاه ثقة

بالنفس بدون حدود . كما أن الأم التي شغفت بالموسيقى غرست فيه حب النغم وشجعته على أن يتعلم العزف على البيانو .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ التحق والد الشاعر بالإدارة الطبية العسكرية الملكية فتغرب عن عائلته معظم سنوات الحرب الأربعة حيث خدم فى مصر وفرنسا وبعض البلاد الأخرى . وتأثرت حياة العائلة بغياب ربها عنها . وزاد من تناثر العائلة أن ابناءه الثلاثة التحقوا بمدارسهم الداخلية . فقد فضلت الأم ألا تعيش بمفردها فتركت منزلها المؤجر لتعيش مع بعض أفراد أسرتها . فإذا حلت أجازات المدارس استأجرت بعض الشقق المفروشة فى الريف تعيش وتجمع شمل أولادها فيها . وهكذا عاش شاعرنا فى الفترة بين ١٩١٥ و١٩١٨ كالبدو الرحل ينتقل من مكان إلى آخر دون أن يعرف حياة الاستقرار فى مكان واحد وبيت واحد . وهى نفس حياة الرحل التى عاشها فى حياته اللاحقة . ولعل هذا السبب الذى حدا به فيما بعد إلى الحنين الجارف إلى فكرة "الزواج" من ذكر والاستقرار المنزلى .

وتأثر ويستان منذ طفولته الباكرة بالوديان ومناظر الحجر الجيرى الموجودة بالقرب من برمنجهام كما تأثر على نحو غير رومانسى بمنظر الآلات وخطوط الترام وركام المعادن المتخلفة عن المناجم ومصانع انتاج الغاز وقنوات الماء التى لم تعد تستخدم لأن جميع هذه الأشياء ترتبط على نحو حميم بالنشاط البشرى . ونحن لا نبالغ إذا قلنا ان مناجم الرصاص المنتشرة بالقرب من برمنجهام خلبت لبه بنفس القدر الذى

خلبت به الكبارى والأنهار لبه . وانصرف الطفل منذ البداية الى قراءة كتب هندسة التعدين ، الأمر الذى مكن الصبى - لخيبة أمل عماته فيه - من أن يتحدث كما يتحدث أساتذة الهندسة . استهوته مناجم الرصاص فألح فى طلب الخرائط والصور الفوتوغرافية والدلائل المتعلقة بالتعدين . ووجد متعة خاصة فى تعلم أسماء المناجم والمصطلحات المتصلة بتقنيات التعدين . وأيضا استهوته دراسة الآلات المستخدمة فيه . وليس أدل على شغفه بالعلم من أنه تمنى لو أصبح مهندس تعدين . غير أنه من الخطأ أن نظن أنه كان من الناحية العملية مؤهلا لمثل هذا العمل . فمن الواضح أن حبه للتعدين كان مجرد موقف نظرى حالم منبت الصلة بالواقع فقد كان شاعرنا يفتقر تماما إلى أية مهارة يدوية تعينه على وضع نظرياته موضع التنفيذ . وقد ترك اهتمامه الباكر بالعلوم والحداثة بصماته الواضحة على مفرداته الشعرية وعلى اقتصاده فى استخدام الألفاظ على نحو قريب للغاية من أسلوب الاختزال فى كتابة البرقيات .

مدرسة سانت ادموند :

فى خريف عام ١٩١٥ عندما كان ويستان فى الثامنة التحق بمدرسة سانت ادموند بضاحية سرى بالقرب من لندن وهى نفس المدرسة التى تعلم فيها زميله كريستوفر ايشروود . وبوجه عام كان مستوى التدريس فى هذه المدرسة جيدا . فضلا عن أنها تميزت بالاهتمام بالموسيقى والملاعب الفسيحة فى قلب الريف . وكان ناظر المدرسة ومدرس الكلاسيكيات فيها (واسمه سيريل مورجان براون) رجلا

متقلب المزاج يقسو أحيانا على التلاميذ لأقل هفوة أو خطأ يرتكبونه . ويدين ويستان إليه بالفضل فى اتقانه اللاتينية والاغريقية الأمر الذى ساعده فيما بعد على حسن استخدام اللغة الانجليزية . ومن ثم فنحن نراه فى حياته اللاحقة ينادى بضرورة تعليم الطلبة هاتين اللغتين الكلاسيكيتين . وبسبب ظروف الحرب طرأ تغيير فى هيئة التدريس بالمدرسة فقد استدعى الجيش الأساتذة الدائمين والأصحاء للخدمة العسكرية فالتجأت إدارة المدرسة الى استبدالهم بمدرسين مؤقتين . وفى طفولته تعلق شاعرنا تعلقا شديدا بروزا ابنة ناظر المدرسة التى أحاطته بالحب والحنان . وهناك بعض التلميحات فى كتابات أودين تشير إلى أن أحد مدرسى المدرسة واسمه ريجنالد أوسكار جارتسيد كان مصابا بالشذوذ الجنسى .

وفى مدرسة سانت ادموند تميَّز ويستان على أقرانه بسعة وغزارة معلوماته العامة التى كان يستقيها من اطلاعه على مكتبة والده ويتباهى بها أمام زملائه . الأمر الذى منحه سلطانا عليهم . ورغم تفوقه العلمى الملحوظ كان كسولا يميل إلى الصفاقة فى معاملة مدرسيه . وتمثلت هوايته خارج المدرسة فى عزف الموسيقى وجمع الأصداف والحشرات . ورغم ازواره عن الاشتراك فى الأنشطة الرياضية بسبب قصر نظره وافتقاره إلى خفة الحركة فإن هذا لم يقلل من اعجابه بالرياضيين . ورغم انبهار كثير من زملائه به فإنه كان يحب الاختلاء بنفسه . وقد خلقت منه صحبتهم المفروضة عليه ـ وهم جميعا من أبناء الطبقة المتوسطة ـ نوعا من الاحتقار لهم

والزراية بهم وهو نفس موقف كريستوفر ايشروود من الطبقة المتوسطة .

وكان لغياب والده عنه فى طفولته أثره المدمر فقد استقر لديه أحساس دفين بالغربة عن أبيه وافتقده فى وقت كان فى أمس الحاجة إليه . وزاد الطينة بلة أن أخويه الكبيرين تركاه وحيدا معظم الوقت مع أمه . وعند بلوغه السابعة من العمر أجريت له عملية ختان تركت فيه أثرا نفسيا سيئا رهيبا ومروعا لأنها جاءت متأخرة . وكانت معلوماته عن الجنس أكبر بكثير من سنه بفضل اطلاعه على كتب التشريح التى تزخر بها مكتبة والده . وكان ينقل المعلومات التى يستقيها من هذه الكتب إلى زملائه فى المدرسة موضحا إياها عن طريق الرسوم التى يرسمها على السبورة . وبهرت هذه المعلومات التلاميذ وزاد من انبهارهم به وفرة معلوماته عن الجغرافيا والتعدين . يقول ايشروود عن ذكرياته المدرسية فى سن الثالثة عشرة : "اعتاد أن يسر إلينا وإلى العديد منا بأول تلميحات سمعناها فى حياتنا تنم عن الشقاوة وتبعث على العجب والانبهار بشأن حقائق الجنس . وأنا أتذكره أساسا بسبب شقاوته ووقاحته وأسلوبه المغرى المثير الذى ينم عن اغتباطه لأنه يعرف أسرارا مثيرة وشائنة . واستطاع عن طريق معرفته بالمحرمات وما تنطوى عليه من تلميحات وعن طريق ذخيرته الكبيرة من الألفاظ العلمية التى لا ينطقها على نحو صحيح والتى تفوه بها كمن يعلن بنبأ جلل أن يبلغ بيننا ـ نحن زملاءه شبه المتوحشين والمصدقين لكل ما يقوله لنا ـ مرتبة الساحر العجيب .

مدرسة جريشام وميل باكر للشذوذ :

وفى ديسمبر عام ١٩١٨ ترك ايشروود مدرسة سانت ادموند ليلتحق بمدرسة ريبتون فى حين استمر شاعرنا فيها لمدة ثمانية عشر شهرا قبل أن يلتحق بمدرسة جريشام عام ١٩٢٠ أملا فى أن يتخصص فى دراسة العلوم التى أظهر على نحو ما رأينا اهتماما مبكرا بها . ورغم تكاسله استطاع أودين أن يحصل على جائزة فى الرياضيات من مدرسة سانت ادموند . غير أن تفوقه العلمى المحدود فى هذه المدرسة لم يؤهله للحصول على منحة دراسية لمواصلة تعليمه بالمجان فى مدرسة جريشام . وقد امتدح الشاعر مبانى هذه المدرسة ونوعية التعليم فيها ولكنه هاجم التزمت الخلقى الذى سادها . كانت مدرسة جريشام تولى تدريس العلوم جل عنايتها فى حين أن اهتمامها بتدريس الآداب كان محدودا للغاية . يقول أودين إنه يدين بالفضل إلى اثنين من مدرسيها هما القسيس فيلد مدرس اللغة اللاتينية وتيلور مدرس اللغة الانجليزية الذى يقول الشاعر عنه : "لقد تعلمت من الاستماع إليه وهو يقرأ الكتاب المقدس وشكسبير عن الشعر والإنسانيات أكثر مما تعلمته من حضور أية محاضرات فى الجامعة" .

ورغم تزمتها الأخلاقى تميزت مدرسة جريشام بجوها الليبرالى من الناحية السياسية . فقد ساد التهذيب والتحضر العلاقات بين التلاميذ . واختفى العقاب البدنى والاستعلاء الطبقى وأعمال البلطجة والتخويف التى يمارسها الطلبة الكبار نحو الطلبة الصغار . ورفضت هذه المدرسة الانسياق وراء الحماس المحموم للألعاب الرياضية السائد فى معظم

المدارس الخاصة ، فاقتصر اهتمامها على تكريم التفوق العلمي والامتياز العقلي لدرجة أنها حظرت على طلبتها التصايح أو الهتاف أثناء مشاهدة مباريات كرة القدم . ولكن هذه المدرسة شابها نوع من التزمت الأخلاقي وخاصة عندما تولى ج . ر . إكليس نظارتها واستحدثت المدرسة في عهده نظاما عرف بميثاق أو نظام الشرف ، كان إكليس بمقتضاه يصول ويجول في قاعة الصلاة واعظا ومحذرا التلاميذ من مغبة ممارسة العادة السرية ، الأمر الذي هاجمه واستهجنه شاعرنا منذ البداية ، وخاصة لأن نظام الشرف تطلب من بعض التلاميذ التجسس على زملائهم وتبليغ إدارة المدرسة بمخالفاتهم ، مما بث الخوف في نفوسهم ودمر الثقة في بعضهم البعض وخلق على حد قوله جوا أشبه ما يكون بنظام الدولة الفاشية . وأظهر شاعرنا الذي تمرد على هذا النظام اعجابا بواحد من ألفوات المدرسة اسمه ت . أو . جارلاند الذي حرص على تهدئة نفوس زملائه الطلبة الأصغر سنا بأن شرح لهم أن الناظر يبالغ في تحذيره من مغبة العادة السرية وأضرارها ، ويثير فزعهم دون داع . ومن ثم اعجاب أودين به . وبدوره أظهر جارلاند اعجابا مماثلا بشاعرنا لما اتصفت به شخصيته من تصميم وعناد .

وبعد انقضاء ثلاث فترات دراسية على التحاقه بمدرسة جريشام بدأ يألف المدرسة ويشترك في أنشطتها وأصبح عضوا في جمعية المناظرة واشترك في تمثيل دور أورسولا في مسرحية شكسبير "ضجة على الفاضي" . واستطاع في هذه الفترة من حياته أن يشق طريقه بنجاح في دراسته الأكاديمية

وصارت مقالاته فى اللغة الانجليزية يشار إليها بالبنان ويقرؤها المدرس على بقية الفصل باعتبارها نموذجا يحتذى . واشترك فى غناء فرقة الكورال بالمدرسة ومارس العزف على آلتى الأورج والبيانو . غير أن تخلفه فى الألعاب الرياضية ظل على حاله . وكانت تربطه علاقة طيبة بوالتر جرتوركس مدرس الأورج الذى أدى تورطه فى فضيحة شذوذ جنسى إلى نقله من مدرسته إلى مدرسة جريشام . ورغم هذا فقد استطاع هذا المدرس أن يحظى بحب وثقة تلاميذه الذين عاملهم كأنداد له وشملهم برعايته دون أن ينتظر مقابلا لهذا .

وفي تلك المرحلة فقد الشاعر ايمانه بالدين بعد أن كان شديد التحمس له فى فترة تلمذته بمدرسة سانت ادموند عندما كان في الثالثة عشرة من عمره . وساعده على نبذ الدين جو التحرر الفكرى السائد في مدرسة جريشام . وبدأ شاعرنا يتنبه إلى أن تحمسه للدين يخفى فى طياته رغبات جنسية مكبوتة لم تجد لها مخرجا أو متنفسا كما بدأ يتنبه أثناء حضوره الكنيسة الأنجلو ـ كاثوليكية المحلية مع والدته إلى أن غالبية المتعبدين فيها بؤساء بشكل أو آخر وأنهم يعانون من أبدان سقيمة ونفوس مريضة . فضلا عن أنهم فاشلون فى حياتهم الزوجية أو أنهم على قدر من القبح يحول بينهم وبين الزواج . واقتنع بان الناس لا ينصرفون إلى حب الله إلا عندما ينصرف الناس عن حبهم . ولاحظ أيضا أن كثيرا من الكتاب الذين يثيرون اهتمامه لا يؤمنون بالمسيحية . ورغم نبذه للدين فقد ظل لفترة يتردد بنفس حماسه السابق على الكنيسة بسبب استمتاعه بالاشتراك فى الغناء الكورالى

فيها . والجدير بالذكر أن شاعرنا لم يفقد ايمانه بالدين على نحو مفاجىء ولكن بطريقة تدريجية . وارتبط نبذه للدين بزيادة وعيه برغبات الجنس التى تجيش فى صدره . وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره فى عام ١٩٢٢ شعر بجاذبية أحد اقرانه الجنسية واسمه روبرت ميدلى تشده إليه . ولكنه كتم هذه الرغبة فى نفسه ولم يفعل شيئا نحو تحقيقها . ولكن الاحساس بالذنب والخطيئة غمره . وعمق هذا الأحساس فيه ذلك الجو الأخلاقى المتشدد الذى أشاعه نظام الشرف فى المدرسة . وفى ٢٢ مارس ١٩٢٢ شاءت الظروف أن يتعرف شاعرنا بحبيب قلبه الذى شعر أن كثيرا من الوشائج تربطه به . فميدلى يولى الفن وخاصة الرسم اهتمامه ، كما أنه ـ مثله ـ ينكر الدين . وكان موقف ميدلى العام من الحياة مزيجا من الايمان بالاشتراكية على طريقة الشاعر وليم موريس والايمان برومانسية الشاعرين الانجليزيين شلى وبليك . ومن المفارقات أن روبرت ميدلى فى تلك الفترة ـ وهو ليس شاعرا ـ كان يقرض الشعر فى حين أن شاعرنا لم يظهر أدنى اهتمام به . فقد كان أمله آنذاك أن يصبح مهندس تعدين ويتقن التصوير الفوتوغرافى . وعندما سأله ميدلى إذا كان يقرض الشعر أجابه بالنفى . غير أن هذا السؤال حرك فى أعماقه حبه الكامن والدفين للشعر الذى أصبح فيما بعد قدره ومصيره .

قلنا إن أودين شعر بجاذبية روبرت ميدلى الجنسية ولكن ميدلى نفسه لم يتنبه الى حقيقة أحاسيس أودين نحوه . ونظرا لاتقان ميدلى للسباحة وحذقه لها فقد طلب منه شاعرنا

فى صيف عام ١٩٢٢ أن يسبحا معا أملا فى الاقتراب من جسد ميدلى العارى بقدر الامكان .

يقول أودين إن أول قصيدة ألفها في حياته كانت عن منطقة البحيرات بأسكتلندا حيث عاش الشاعر الرومانسى المعروف وليم وردزورث والتى زارها شاعرنا مع بعض أفراد عائلته فى صيف عام ١٩٢٢ .

وهناك دلائل تشير إلى تأثره فى مطلع حياته بوليم وردزورث . وبعد أن أوحى إليه روبرت ميدلى بأن يحاول قرض الشعر ببضعة شهور قام بنشر بعض الأبيات فى مجلة مدرسة جريشام دون أن يمهرها بتوقيعه . وفى بدء حياته الشعرية تردد أودين على مكتبة المدرسة ليطالع فيها أعمال طائفة من الشعراء الذين راقوا له أمثال دابليو إيتش دافيد ووالتر دى لامار الذى سعى إلى تقليد أسلوبه . ورغم رغبته فى الاختلاء بنفسه فإنه اشترك فى الحياة الاجتماعية المدرسية ففى عام ١٩٢٢ اشترك فى تمثيل مسرحية شكسبير "ترويض النمرة" حيث لعب دور بطلتها كاثرينا . وفى نهاية عام ١٩٢٢ ترك روبرت ميدلى مدرسة جريشام ليلتحق بإحدى مدارس الفنون فى لندن حيث زاره أودين وقام معه بارتياد المسارح ومشاهدة بعض العروض المسرحية . ودعاه ميدلى لقضاء بعض الأجازات مع عائلته فى وديان يورتشير التى أحبها وأوحت إليه بتأليف بعض الأشعار . وحدث ذات يوم أن عثر والد الشاعر بين مخطوطات ابنه على قصيدة من تأليفه يصف فيها ميدلى عاريا فى حمام السباحة واشتم من هذه القصيدة الرغبة الجنسية الشاذة . الأمر الذى دعاه إلى مفاتحة ابنه

وصديقه ميدلى بشأن ضرر مثل هذه العلاقة . ولم يهدأ بال الأب إلا بعد أن طمأنه الشابان ـ وهما فى ذلك صادقان ـ إن العلاقة بينهما ليست سوى علاقة افلاطونية بريئة .

صور أودين فى شعره الباكر تفاصيل الطبيعة . غير أنه ما لبث أن قرر الانصراف عن تأليف هذا النوع من القريض . وهو يعزو السبب فى هذا إلى ضعف إبصاره الذى منعه من رؤية مظاهر الطبيعة بجلاء . ومن ثم نراه يدعو إلى ضرورة أن تصور الفنون حياة الإنسان بحيث لا تعدو المناظر الطبيعية أن تكون مجرد خلفيات يستخدمها الفنان لابراز وصفه لهذه الحياة . يقول شاعرنا عام ١٩٣٦ فى هذا الصدد : "الرأى عندى أن جسد الإنسان الفانى هو موضوع الفنون فى حين أن المنظر الطبيعى مجرد خلفية له".

وفى عام ١٩٢٣ حصل شاعرنا على نسخة من المختارات الشعرية الصادرة عام ١٩٢٢ والتى قام بجمعها شاعره المفضل والتر دى لامار وتعلم منها أن الشعر الجيد ليس بالضرورة شعرا عظيما أو جادا . وتأثر بالذات بقصيدة غير معروفة فى انجلترا للشاعر الأمريكى روبرت فروست (١٨٧٤ ـ ١٩٦٣) بعنوان "طائر أبو الحناء" ضمنها دى لامار فى مختاراته . وبلغ إعجاب شاعرنا بها حدا جعله يحاكيها . فضلا عن أنه امتدح هذه المختارات لخلوها من أية قصائد حديثة . فقد رأى أنه من الخطر على أى شاعر ناشىء أن يواجه ما يتضمنه الشعر الحديث من تعقيدات من شأنها أن تعصف بخصوبته وتفضى إلى جدبه مثلما تفعل المحاضرات الأكاديمية فى الفنون المعاصرة . وأثلج صدره

أن يجد فى مختارات دى لامار عدة قصائد لشاعره المفضل توماس هاردى الذى أحس بوشائج القربى تربطه به . ومن فرط اعجابه بهاردى كرس الفترة من ١٩٢٣ حتى ١٩٢٤ للتوفر على قراءة أشعاره . ويعترف أودين فى هذا الشأن أنه دأب على تهريب دواوين هاردى إلى حجرة الدراسة وحمله معه أيام الأحاد وفى عنبر النوم حيث وجد متاعب فى قراءتها بسبب كبر حجمها . وكان من الطبيعى أن تتأثر اشعاره بفلسفة توماس هاردى المتشائمة .. ولأن هذا التشاؤم لم يكن أصيلا فى طبيعته كان من السهل أن يختفى من شعره بمرور الوقت . يقول أودين فى معرض التعبير عن أعجابه بتوماس هاردى : "الذى أقدره فى هاردى ومازلت أقدره إلى يومنا الراهن أكثر من أى شىء آخر هو نظرته الشبيهة بنظرة الصقور . وأعنى بهذا أسلوبه فى النظر إلى الحياة من علٍ وارتفاع شاهق" . وهو نظرة نراها أوضح فى نثر هاردى من شعره مثل الفصل الأول من روايته "عودة ابن البلد" .

وفى سبتمبر عام ١٩٢٣ اتجه أودين فى دراسته الى علم الأحياء بناء على رغبته ورغبة والديه حيث تدرب على تشريح الجهاز العصبى لبعض الكائنات الحية . ومن الواضح أن قوله فى الثلاثينات إن وظيفة الشاعر تشبه وظيفة الجراح يرجع إلى ممارسته للتشريح البيولوجى . وفى عام ١٩٢٤ التقى وهو فى السادسة عشرة من عمره لأول مرة من حياته بواحد من شواذ الجنس البالغين يعمل بالصحافة اسمه مايكل دافيدسون الذى لعب دورا هاما فى تشجيعه على المضى قدما فى قرض الشعر . وحاول دافيدسون أن يتقرب إليه مغازلا

فصده وأعرض عنه بسبب نفوره من شكله وليس لأية أسباب أخلاقية . واعتاد دافيدسون أن يرسل إليه قصائد تتضمن رغباته الشاذة ولكن أودين آثر أن يتجاهلها . ورغم هذا استمرت العلاقة بينهما على خير مايرام . وفى تلك الفترة أرسل شاعرنا الى دافيدسون قصائده ملتمسا لديه النصح والمشورة بشأنها ، فلم يبخل عليه بها . وكان دافيدسون يشترى كتب النقد والدواوين الحديثة الصدور ويهديها الى أودين الذى تعرف من خلالها على شعر الشاعر الانجليزى ألفريد إدوارد هاوسمان (١٨٥٩ - ١٩٣٦) الذى امتدحه لقدرته الفائقة على التعبير عن حساسية المراهقين الذكور وراق له أسلوبه العدوانى فى مخاطبة الله . وبالتدريج تمكن أودين من استحداث أسلوب شعرى مستقل ومتميز . عندئذ بدأ يسطر الشعر فى موضوعات غير شاعرية وغير مألوفة مثل مناجم الرصاص والآلات الخاصة بالتعدين والضخ . وسعى مايكل دافيدسون لدى احدى دور النشر حتى أقنعها عام ١٩٢٤ بنشر ديوان لشعر التلاميذ بعنوان "أشعار من المدارس الخاصة" . والجدير بالذكر أن العام التالى (١٩٢٥) الذى شاهد تخرج أودين من مدرسة جريشام والذى أمضاه فى الاختلاء بنفسه والسير بمفرده لمسافات طويلة والعزف على آلة الأورج كان واحدا من أسعد أيام حياته .

وقبل انتهاء الفصل الدراسى الأخير فى مدرسة جريشام توثقت علاقته بتلميذ أصغر منه بسنتين اسمه جون بودنى الذى شعر بغرام الشاعر له . غير أن أودين لم يحاول مراودته

عن نفسه . ويبدو أنه ندم فيما بعد على ذلك . وألقى على مسامع بودنى محاضرات عن الشذوذ الجنسى والعادة السرية كما حدثه كثيرا عن علم النفس الذى أظهر اهتماما باكرا به وعن اكتشافات سيجموند فرويد فى هذا العلم . ويذكر بودنى فى هذا الشأن انه لاحظ أن حديث أودين معه اتسم بالنضوج ورجاحة العقل على نحو لا يتناسب مع صغر سنه .

وفى أخريات أيامه فى مدرسة جريشام ضرب أودين بتعليمات المدرسة عرض الحائط وتصرف بشقاوة بالغة فكان على سبيل المثال يتسلق المواسير فى الصباح الباكر والكل نيام ليقفز منها إلى غرفة مكتب بودنى . يترك له رسالة ويصحح له واجباته المدرسية . وفى تلك الفترة عانى من احساس مدمر برداءة شعره وعدم قيمته . وذات يوم كان يسير برفقة زميله بودنى فإذ به يتركه فجأة ويتجه نحو بحيرة صغيرة ويخرج من جيوبه مخطوطات أشعاره ليلقى بها فى مائها مصرحا بأنه قرر استبعاد الشعر تماما من حياته وان العلم هو الطريق الوحيد لانقاذ البشرية . ولكنه عندما رأى الأوراق تطفو على سطح الماء لم يطاوعه قلبه لفقدانها فخاض فى ماء البحيرة ليستعيدها . وقبيل تخرجه من مدرسة جريشام لعب دور كاليبان فى مسرحية شكسبير "العاصفة" على نحو بارع للغاية . وبعد التخرج من المدرسة أخذه أبوه إلى النمسا للسياحة وتعلم اللغة الألمانية . وبعد عودته التحق بجامعة أكسفورد التى أعتبر أنها أفضل من العيش مع أمه ـ رغم شدة حبه لها ـ تحت سقف واحد .

متمرد شاذ في جامعة أكسفورد :

استطاع أودين أن يحصل من كلية كرايست تشرش بجامعة أكسفورد على جائزة صغيرة . فقد تمكن من اعطاء الاجابة الصحيحة عن سؤال في علم الأحياء طرحه عليه عالم البيولوجيا المعروف جوليان هكسلى . فعندما سأله هكسلى عن نوع احدى العظام أجاب بأنها عظمة الحوض لطائر وهو ما عجز أقرانه عن اكتشافه .

وفى جامعة أكسفورد بدأ أودين يدخن التبغ والغليون بشراهة مبررا هذا بقوله : "إن فطامى لم يكتمل ، الأمر الذى يقتضى منى أن أقوم بمص شىء ما" . ويقول لنا ستانلى فيشر زميله فى دراسة علم الأحياء انه اعتاد أن يستفيض فى تلاوة الشعر على مسامعه بطريقة غير شاعرية ونبرة رتيبة تخلو من المشاعر والأحاسيس . وظل حتى نهاية عمره يحتفظ بذاكرة قوية مكنته من ترديد أجزاء طويلة من كتابات الآخرين عن ظهر قلب . ولم ترق له الدراسة . بجامعة أكسفورد . ورأى أنها تقوض فرص الإنسان فى أن يصبح شاعرا ذا شأن . ووصف هذه الجامعة بأنها مؤسسة مصطنعة لا تربطها بالعالم الحقيقى أية صلة . وفى أكسفورد لم تخرج أحاديثه عن اربعة موضوعات : الهجوم على جامعته ، واستحالة قضاء أجازاته مع أمه بسبب شجاره المستمر معها ، واستحالة الايمان بوجود إله تربطه بالبشر صلات شخصية ، وحرصه على أن يكون شاعرا كلاسيكيا وليس شاعرا رومانسيا .

وفى أجازة عيد الميلاد لعام ١٩٢٥ استضافه زميله ستانلى فيشر فى بيت العائلة فكان ضيفا ثقيلا ومزعجا . فذات يوم أحدث جلبة لا تليق عندما استيقظ من نومه كعادته فى الفجر والتهم الطعام بكميات هائلة دون أدنى اعتبار لاحتياجات الجالسين بجواره على مائدة الطعام . وأتلفت سجائره المشتعلة قطع الأثاث . وكان إذا أوى إلى الفراش لا يكتفى بأغطيته المعتادة بل تمتد يده إلى أى شىء مثل سجادة الغرفة أو السلالم أو الستائر لتكوين كومة ثقيلة يتدثر بها . وفى احدى المرات لم يجد شيئا يغطى به نفسه سوى صورة ضخمة فى براوز . وفى فترة استضافته لأودين تلقى ستانلى فيشر مكالمة تليفونية من صديقه كريستوفر إيشروود يدعوه إلى منزله فى لندن بعد أن طفش من جامعة كامبردج فاعتذر ستانلى بوجود أودين معه . وتساءل ايشروود إذا كان ضيفه هو نفس الشخص الذى عرفه وزامله فى مدرسة ريبتون . فلما رد عليه بالايجاب بادر بدعوة ستانلى وضيفه إلى منزله . وهكذا نزل أودين ضيفا على ايشروود . وتعمد أودين قبل أن يودع ايشروود فى ختام زيارته أن يذكر أمامه بطريقة عابرة للغاية أنه أصبح الآن يقرض الشعر . فاعترت الدهشة أودين الذى استقر فى ذهنه أن أودين أبعد ما يكون عن تذوق الأدب والاهتمام به وأنه لا يهتم بشىء فى حياته سوى الهندسة والمناجم والآلات . وعلى أية حال طلب ايشروود منه أن يعرض عليه شيئا من انتاجه الشعرى .

وفى الجامعة تعرف بزميل آخر يدرس التاريخ يدعى دافيد أيرست . ولفت نظر أيرست فى شاعرنا "حدة وعنفوان خياله

البارد كالثلج" . ولاحظ صديقاه ستانلى ودافيد انغماسه المنتظم فى ممارسة الشذوذ الجنسى الذى سعى إلى تبريره بمختلف الأعذار والأسباب . فهو أحيانا يعزو هذا الشذوذ إلى الكبت المروع الذى فرضه نظام الشرف عليه وعلى بقية التلاميذ فى مدرسة جريشام . والجدير بالذكر ان الشذوذ الجنسى تفشى بين طلبة جامعة أكسفورد وأساتذتها فى الجيل السابق على جيل أودين مباشرة . يقول الشاعر فى هذا الشأن انه اكتشف فى أكسفورد ان الشذوذ الجنسى يكاد أن يرتبط بالذكاء ارتباطاً لا محيص عنه . ولم يخف أودين شذوذه الجنسى عن زملائه فقد أعتاد أن يغيب عنهم أمسيات بأكملها يقضيها فى مغامرات اللهو والمجون . فإذا عاد إليهم قص عليهم تفاصيلها بطريقة اكلينيكية وروى لهم بصفاقة تجاربه الشاذة . ومارس شاعرنا الجنس الشاذ مع بعض زملائه فى نفس الجامعة أو بعض أصدقائه من خارجها . وتلخص أسلوبه فى ممارسة الشذوذ على النحو التالى . يختار أودين من يتوسم فيهم استعدادا للاستجابة إليه . ثم يزورهم فى حجراتهم بالجامعة ويغلق الباب بالمفتاح . ثم يقول لصاحب الغرفة دون حياء أو خجل : "أنت تعرف السبب فى مجيئى إليك" . غير أنه أحيانا يمارس الجنس مع غرباء فى لقاءات عابرة أثناء رحلة فى قطار مثلا . وذات يوم ضبطه فراش الكلية فى فراش واحد مع طالب من كلية ماجدالين فاضطر إلى شراء سكوته بخمسة جنيهات وهو مبلغ كبير يفوق امكاناته المالية . ويظن بعض المقربين منه أنه استطاع أن يتخلص تماما من عقدة الذنب . ولكن يبدو أن هذا غير صحيح فقد كتب عام ١٩٢٧ إلى صديق له بالجامعة يقول : "مازال

باقيا في ذهني احساس بأن هناك شيئا بذيئاً في العلاقات الجنسية الشاذة" .

في مايو عام ١٩٢٦ أعلن العمال الانجليز الاضراب العام في لندن فقرر أودين الوقوف بجانبهم ومناصرتهم . وساعد على هذا موقفه العام الذي يميل إلى الليبرالية والاشتراكية . وعام ١٩٢٦ هو نفس العام الذي قرر فيه أن الدراسة العلمية لا تصلح له رغم أنه أمضى عام ١٩٢٥ بأكمله في دراسة علوم النبات والأحياء والكيمياء . ومن ثم طلب من كلية كرايست تشرش أن تسمح له بتغيير مادة التخرج فوافقت على طلبه . ومع هذا ظل يهتم بالقراءات العلمية من أجل متعته الخاصة حتى الأمر ، الأمر الذي انعكس على لغته وأخيلته الشعرية . ويمكن القول إن معرفته بالعلوم تفوق معرفة معظم الشعراء بها . واتجه أودين إلى دراسة الأدب الانجليزي غير أنه اصطدم بعقبة هي خلو كلية كرايست تشرش من قسم يتولى تدريسه . ولهذا سمحت له هذه الكلية بالالتحاق بكلية أخرى بنفس الجامعة هي كلية إكسترا .

ورغم انصراف أودين الى الشعر في تلك الفترة من حياته فقد أولى الرواية شيئا من اهتمامه . فراق له ترولوب وديكنز الذي حفظ بعض صفحات رواياته عن ظهر قلب . وكذلك راق له الروائيون الروس في القرن التاسع عشر . فضلا عن غرامه بالروائية الانجليزية جين أوستن وادمانه قراءة القصص البوليسية . ولكنه أزور عن الرواية الحديثة رغم اهتمامه البالغ بالحداثة في شعره . وفي مجال الشعر تخلى أودين عن سابق اعجابه بالشاعر الرومانسي ورذورث ، كما أنه أولى ظهره

للشاعرين الرومانسيين المعروفين كيتس وشلى . وأعجب شعراء المدرسة الميتافيزيقية التى شاع انتاجها الشعرى آنذاك بين طلبة الجامعة . وكان يفضل الشاعر الميتافيزيقي جورج هربرت على قرينه جون دون . وكذلك أظهر اعجابه بالشاعرين الانجليزيين الكلاسيكيين الكسندر بوب ودرايدن وكال لهما المديح . فهو يقول إن بوب فى أجود قصائده لا يباريه أحد فى قدرته الفائقة على مزج الرؤية باللغة ، كما وصف درايدن بأنه شاعر الحجى والعقل الذى يلجأ الإنسان إلى قراءة أشعاره كلما أصابه النصب ودب فيه الاعياء . ومن العجيب أنه أظهر اعجابا بالشعر الأنجلو ـ ساكسونى مثل "بيولف" الذى انفض عنه معظم دارسى الأدب الانجليزى . ولم تنجح معظم مواد منهج الأدب الأنجليزى بجامعة أكسفورد فى اغرائه بالتوفز على دراستها . ومن ثم نراه يزور عن كتب النقد الأكاديمية ويفضل عليها استخدام حدسه النقدى . ولكن قلة من الكتابات النقدية استطاعت أن تحظى باهتمامه مثل مبحثيه آى . أ . ريتشارد "العلم والشعر" و"مبادىء النقد الأدبى" . فضلا عن اهتمامه بالعروض أو بالجانب التقنى فى كتابات دابليو . ب . كير . وفى كثير من الأحيان تجاوزت اهتماماته حدود الشعر لتشمل علم النفس مثل نظريات يونج وفرويد . وساءه فى تلك الفترة من حياته انه لم يستحدث لنفسه بعد ـ وهو فى التاسعة عشرة ـ صوتا شعريا متميزا .

وفى صيف ١٩٢٦ تعرف أودين بطالب فى كلية كرايست تشرس اسمه دريبرج اشتهر بممارسة الشذوذ الجنسى على

نحو فاجر . والغريب فى الأمر أنه نشأت بين الاثنين علاقة فكرية وأدبية ليس للجنس أى أثر فيها . وهداه دريبرج إلى قراءة شعر ت . س . إليوت فراقت له قصيدته المعروفة "الأرض الخراب" التى أدرك انها تعبر أحسن تعبير عن طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه وما يعانيه هذا المجتمع من خواء روحى . وبادر أودين بشراء نسخة من ديوان إليوت "أشعار من عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩٢٥" . وما أن فرغ شاعرنا من قراءة هذا الديوان حتي توجه إلى أستاذه لوجهيل ليخبره أنه قام بتمزيق كل أشعاره . فلما سأله عن السبب أجاب بأنها قصائد رديئة بالمقارنة بقصائد إليوت . وأضاف انه يود أن يحتذى حذو الشاعر العظيم . وقد اتسم انتاجه الشعرى فى تلك الفترة بمحاكاته لأشعار اليوت فامتلأ شعره بالاشارات غير الواضحة والمصطلحات العلمية الغامضة والصور والأخيلة التى تبدو غير مترابطة . ولم يكتف أودين بمحاكاة أسلوب إليوت الشعرى فحسب بل انه تبنى موقفه النقدى الكلاسيكى العام كما جاء فى مقال إليوت الشهير "التقاليد والموهبة الفردية" (١٩١٩) حيث يدعو صاحبه الشعراء إلى نبذ العواطف الذاتية والهرب منها واستبدالها بنظرات مجردة وموضوعية . والجدير بالذكر أن محاكاة أودين لشعر إليوت لم تدم طويلا ولم تتجاوز مرحلة الطلب بالجامعة . وبعد انصرافه عن إليوت أولى الشاعرة إميلى ديكنسون اهتمامه كما أظهر اعجابه بشعر ويلفرد أودين وخاصة معالجته الموضوعية لمشكلة الحرب وفضله على شعر ساسون الذى عاب عليه معالجته لموضوع الحرب بعاطفة مفرطة ومبالغ فيها . وكذلك ترك شعر جيرالد مانلى هوبكنز فيه أثرا

عميقا . وعلى أية حال يعترف أودين بأن تأثره بلغة الشعر العادية كما يستخدمها توماس هاردى تفوق أثر معظم الشعراء فيه .

ولاحظ زميله ستانلى فيشر عند زيارته لعائلة أودين أن أمه امرأة متصلبة لا تلين لها قناة وأنه تقرع ابنها دائما وتعترض على كل أقواله وأفعاله وتحمل الكراهية لما يقرضه من شعر وتبدى انزعاجها الشديد بسبب نبذه للدين . وذات يوم خطر لأودين أن يستضيف زميله الجامعى دافيد ايرست بين عائلته ولكنه عاد وغير رأيه بسبب أمه التى رماها علنا بالجنون . وحتى يهرب من رتابة الحياة معها سافر إلى جزيرة وايت لينزل ضيفا على صديقه كريستوفر ايشروود الذى كان يقضى أجازته هناك . واعتاد شاعرنا عادة غريبة وهى تعبيره عن أى شىء يخطر على باله بصوت عال يسمعه الجميع ، الأمر الذى سبب الحرج الشديد للصديق المضيف . ولكن خفف من حرجه بعض الشىء أن بعض أحاديث أودين مع نفسه كانت أحيانا تدور حول موضوعات أدبية وفكرية مثل قوله بصوت عال فى يوم من الأيام : "إن العقل بطبيعة الحال هو الشىء الوحيد الذى له أهمية . إن اللون بكل تأكيد لا يهمنى فى كثير أو قليل . ولكنى أعلق أهمية بالغة على الشكل . فالشعر يجب أن يتكون من صور الشكل وأخيلته . اننى أمقت الأصيل والزهور كما أنى أمقت البحر لأن البحر يفتقر إلى الشكل" .

وأدرك ايشروود أن ضيفه يحمل له الاعجاب ويعتبره اخا أكبر يحتكم إليه ويلتمس لديه المشورة فى الشئون الأدبية . ومن ثم كان يعرض انتاجه الشعرى عليه ليأخذ رأيه فيه

ويجرى عليه كثيرا من التعديلات بناء على هذا الرأى . واعترف ايشروود لأودين انه ارتبط على نحو رومانسى بعلاقة لواطية مع طالب بجامعة كامبردج وأن هذه التجربة تركته فى حالة من القلق والاضطراب جعله يفكر فى التخلص من حياته . ومن ناحيته ظل أودين يلح عليه ويلاحقه بأفكاره المتحررة عن الجنس بهدف إعادة الاتزان النفسى إليه . وفى تلك الفترة اشترى ايشروود مسدسا ينتحر به . غير أن أودين تدخل ليعيده إلى صوابه . وعبثا حاول ايشروود الابتعاد عن صحبة أودين ، فقد نجح فى ذلك لعدة أسابيع فقط . ولم تمض شهور قلائل حتى توثقت الصلات بينهما .وتحولت إلى علاقة لا تخلو من المتعة الجنسية وإن كانت تخلو من كل أثر للرومانسية . وليس أدل على قوة الوشائج بينهما من أن ايشروود اعتاد عندما يأوى إلى فراشه أن يتدثر بمعطف أودين حتى يغلبه النعاس . وهو يحس بقرب صديقه منه . واتفق الاثنان على استبعاد العواطف من علاقتهما وألا يأخذانها مأخذ الجد . بل إنهما كانا فيما بينهما يسخران من هذه العلاقة كما يسخر كل منهما من هيئة ومنظر الآخر . فعلى سبيل المثال سخر ايشروود من أصابع أودين القصيرة الغليظة التى لم يكتمل نموها ومما أسماه عينيه الصغيرتين الصفراوتين الشاحبتين . فى حين سخر أودين من جسم ايشروود القصير الممتلىء المنهدم ودماغه الضخم . وكما أسلفنا خلت علاقتهما من الرومانسية واستمدت جذورها من رغبتهما المشتركة فى الرجوع إلى أيام زمان . ويذكر ايشروود فى هذا الشأن : "إن قيمة ممارستنا للجنس معا تكمن فى أنها أبقت خاصيته الراهقة فى علاقتنا حية ونابضة

كما لو كان بمقدورنا أن نرجع سويا إلى الماضى كلما شعرنا بالرغبة فى ذلك" ، "ومعنى هذا أن علاقتهما الجنسية كانت السبيل إلى عودتهما إلى أيام التلمذة وذكرياتها" .

كان أودين يسدل الستار فى غرفته ويقرأ على ضوء مصباح كهربائى فى وضح النهار . وفى صيف عام ١٩٢٦ تعرف بطالب اسمه جون بتجمان فى كلية ماجدالين . فضلا عن أن صلاته آنذاك توثقت بالشاعر سيسل داى لويس وركس وارنر . ولكن صلته بداى لويس كانت أقوى بكثير من صلته بوارنر . وأعجب أودين بعقل الشاعر ماكنيس المتقد والحاد . والجدير بالذكر أن السواد الأعظم من المثقفين والأدباء الأنجليز فى فترة الثلاثينات اتجهوا إلى الماركسية . ولهذا سمى هذا العقد بالعقد الأحمر . وأظهرت كوكبة من هؤلاء الأدباء أمثال سيسيل داى لويس وستيفن سبندر وكريستوفر ايشروود عطفهما على النظام الشيوعى . ورغم أن أودين لم ينضم إلى الحزب الشيوعى وان اهتمامه بالسياسة فى عمومه كان محدوداً فقد تأثر بهذا الجو اليسارى العام . وأغلب الظن أن صداقته لكثير من الأدباء اليساريين كانت السبب فى جنوحه الى اليسار . ومن ثم يمكن القول إن تمرده أيام طلب العلم فى جامعة أكسفورد تجلى فى شذوذه الجنسى وخروجه على الأعراف التقليدية أكثر من ايمانه بالماركسية والثورة الشيوعية . وعلى أية حال رفض شاعرنا أن تكون للشعر أية علاقة بالسياسة . وكان من عادته إذا أبدى رأيا أو عبر عن وجهة نظر أن يفعل ذلك على نحو قاطع وتسلط . وكان على وعى كامل بهذا الجانب من شخصيته فهو يقول عن نفسه :

"اننى بطبيعتى أميل إلى أن أكون معلما أو مستبدا برأيي" . والجدير بالذكر أن سيسيل داى نفسه وهو شاعر وجد عسرا فى فهم شعره بسبب استغراقه فى الغموض . فضلا عن امتلائه بالمصطلحات العلمية والنفسية والفلسفية . ولكن هذا لم يمنعه من محاكاته .

وفى أكسفورد تعرف شاعرنا بطالب مستجد يدرس التاريخ فى كلية كرايست تشرش اسمه بيل ماك إلوى . ولا يستطيع الباحثون أن يقطعوا بطبيعة العلاقة التى ربطت بينهما فالكثير منهم يعتقد أن هذا اليافع رفض أن يستجيب لنداء أودين الجنسى . غير أن البعض يذهب إلى غير هذا . وفى أجازة عيد الميلاد عام ١٩٢٦ وافق ماك إيلوى على السفر مع أودين فى رحلة إلى النمسا . ويبدو أن شاعرنا أقام علاقة جنسية بصاحبة البنسيون الذى نزل فيه هناك : وهى احدى علاقاته الجنسية السوية النادرة التى تختلف عن سائر علاقاته الشاذة . وفى عام ١٩٢٧ قام أودين بالاشتراك مع الشاعر سيسيل داى لويس فى تحرير ديوان من المختارات الشعرية يحمل عنوان "أشعار من أكسفورد" . وفى يولية من نفس هذا العام سافر شاعرنا مع والده فى رحلة إلى يوغوسلافيا التى لم ترق له ، وأعقبتها رحلة أخرى إلى أوربا .

ومن الثابت أن أودين ترك أثرا عميقا فى أقرانه من طلبة جامعة أكسفورد لدرجة أنهم كانوا يستشهدون بأقواله وأحكامه فى أوراق اجاباتهم . وكان المهتمون منهم بقرض الشعر يعرضون عليه انتاجهم ويلتمسون المشورة لديه . ويرجع الفضل إلى كريستوفر إيشروود فى تعريفه بشاعر

معروف من نفس جيله هو ستيفن سبندر الذى لاحظ أن أودين يجد متعة كبيرة فى تسيير حياة الآخرين - وبخاصة حياتهم الجنسية - وفق هواه . وتأثر سبندر فى بداية حياته الشعرية - مثل داى لويس - بأسلوب أودين فأخذ يقلده فى تأليف قصائد تحتوى على ألفاظ أبعد ما تكون عن الشاعرية .

وفى خريف عام ١٩٢٧ قدمه صديقه بيل ماك إلوى إلى طالب رياضى مستجد اسمه جابريل كاريت وقع شاعرنا فى غرامه بمجرد أن رآه . وسبب له هيامه بكاريت ألما ممضا عبر عنه فى قصيدة ألفها فى نفس العام . فقد رفض كاريت الاستجابة لنزواته . وتتسم هذه القصيدة بالغموض وصعوبة التفسير كما أنها تمتلىء بالصور الغريبة والأخيلة غير المألوفة ورغم فشله فى حب كريت فقد ظل يحمل الود العميق له . ويذهب بعض الباحثين إلى أن شاعرنا تعمد أن يتورط فى هذه العلاقة الشائكة حتى يستثير هذا الحب الفاشل قريحته الشعرية . واستضاف كاريت - وهو ابن استاذ فلسفة فى الجامعة - شاعرنا فى منزل عائلته التى تعيش فى ضواحى اكسفورد . غير أن مسلكه معها لم يكن لائقا . فهو لا يتورع عن استخدام الألفاظ السوقية فى حضرتها .

وفى بيت كاريت التقى شاعرنا بطالب آخر اسمه ريتشارد جروسمان كان يولى السياسة والشعر والنشاط الرياضى اهتمامه . كان جروسمان اليافع الوسيم يمر بمرحلة دقيقة فى حياته الجنسية . ويبدو أن أودين تمكن من الايقاع به فى احدى المناسبات على أقل تقدير . وفى تلك الفترة فكر شاعرنا بالاشتراك مع كريستوفر ايشروود فى اصدار بعض المجلدات

التى تحتوى على اعترافات الطلبة الجنسية وهو مشروع لم ير طريقه إلى النور . ولهذا اقتحم أودين أدراج مكاتب أصدقائه فى الجامعة بحثا عن أية اعترافات . وعثر بالفعل على مجموعة من الخطابات فى درج جابريل كاريت أرسلها إليه من امريكا الجنوبية واحد من زملائه القدامى فى مدرسة سيدبرج ، فقام بنسخها وتعمد أن يقرأها على مسمع استاذ فى كلية أول سولز اسمه أ . ل . راوز عرف بالشذوذ الجنسى . وسبب هذا الوضع حرجا شديدا للأستاذ الذى منعه من مواصلة قراءة الخطابات .

وفى الفترة من يناير حتى أبريل عام ١٩٢٨ ألف أودين مجموعة من القصائد الغنائية القصيرة التى تدور حول الفشل فى الحب الجنسى بسبب التقاليد والضغوط الاجتماعية ثم اتجه بعد ذلك شطر تأليف الدراما الشعرية . وفى صيف عام ١٩٢٨ تقدم لأداء امتحان البكالوريوس فى الآداب . وعندما ظهرت النتيجة جاء اسمه بين طلبة المرتبة الثالثة (التى تعادل تقدير مقبول فى النظام العربى) ، وانخرط فى البكاء لهذه النتيجة المهينة التى لا يحصل عليها إلا الخائبون . وفيما بعد عزا الشاعر سوء نتيجته إلى كسله وافتقاره إلى الاستعداد الأكاديمى وهو رأى لا يجانبه الصواب . فقد كان ينظر إلى الأدب على أنه إنتاج فنى وليس مادة للدراسة والتشريح والتحليل .

وبعد إعلان النتيجة فى منتصف صيف ١٩٢٨ ذهب ليعيش بعض الوقت مع عائلة صديقه ستيفن سبندر فى شمال لندن . وكان سبندر قد اشترى آلة طباعة باليد بدائية بهدف

طبع انتاجه الشعرى عليها . وطلب منه أودين أن تطبع ديوانا يضم قصائده . ولكن المطبعة بلغت حدا من السوء جعلها تتوقف عن العمل فى منتصف الطريق ، فاضطر أودين إلى استكمال طباعة الديوان فى مطبعة خارجية . ولما خرج الديوان الى النور أهداه شاعرنا الى صديقه كريستوفر ايشروود . ويخلو هذا الديوان من العناية باستخدام علامات الوقف التى قال شاعرنا عنها فيما بعد انه لا يفهمها ولا يعرف لها أية فائدة غير مساعدة القارىء على التقاط أنفاسه . وكالعادة شاعت فى شعره الألفاظ والاشارات الغامضة والمحيرة التى تستغلق على الأفهام . ولكن حتى الذين عجزوا عن فهم شعره أحسوا بأنهم أمام صوت شعرى جديد ومتميز . واعترف أودين لسبندر بأنه يلجأ إلى استخدام العقل والحدس أكثر من استخدامه للعواطف والأحاسيس . فهو يقول فى هذا الشأن : "معنى هذا أنه يتعين علىّ معالجة الحياة عن طريق العقل والحدس وحتى أستطيع الاحساس بأى شىء يجب علىّ اكتساب المعرفة واكتساب أكبر قدر منها" . وبطبيعة الحال ساعده على اكتساب المعارف تمتعه بذاكرة فوتوغرافية . فقد كان يكفيه أن يتفحص أى كتاب حتى يتمكن من حفظ بعض صفحاته . فضلا عن تمتعه بقدرة مذهلة على التوصل الى لب أى كتاب والاهتداء الى أهم فقراته بمجرد تفحصه .

وبعد تخرجه من جامعة أكسفورد خطر له أن يتزوج فتقدم لخطبة ممرضة تدعى شيلا ريتشاردسون تعمل فى عيادة نفسية فى مدينة برمنجهام . ولا يعرف الدارسون على وجه

التحديد الأسباب التى حدت به إلى ذلك فالبعض يعزوها إلى طبيعته الجنسية المزدوجة أو حنينه الجارف إلى العيش فى كنف أسرة ولكنه سرعان ما نبذ فكرة الزواج من امرأة وقرر السفر إلى برلين فى ألمانيا حيث يمكنه ممارسة إباحيته الجنسية في حرية مطلقة . والجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الثقافة الأجنبية السائدة فى انجلترا آنذاك كانت الثقافة الفرنسية فقد فضل عليها أودين الثقافة الألمانية كنوع من الاحتجاج على ثقافة جيل بأسره . والغريب في الأمر أنه كان يعرف الفرنسية ويجهل الألمانية عندما قرر السفر إلى ألمانيا . وفى أغسطس عام ١٩٢٨ كتب إلى صديقه دافيد إيرست يقول : "سوف أسافر إلى برلين لأقضى فيها عاما : فهل برلين ياترى شريرة للغاية" ؟!

برلين الشريرة واهتمام أكبر بالسياسة :

كانت برلين فى الثلاثينات تعانى من الكساد الاقتصادى وانتشار البطالة بشكل رهيب . فلا غرو أن تحولت إلى مباءة للشذوذ الجنسى وهو الأمر الذى أغرى شاعرنا بزيارتها والعيش فيها . وهناك اعتاد ارتياد الكباريهات ولعب الليل والحانات وبيوت دعارة الذكور المنتشرة فى جميع أرجاء المدينة وتعرف على رجل من شواذ الجنس تخرج فى جامعة كامبردج اسمه جون لايارد الذى لعب دورا خطيرا فى صياغة أفكار الشاعر وتشكيلها بدعوته الفاجرة إلى ممارسة المثلية والاباحية الجنسية مقتديا فى ذلك بمعلمه ورائده عالم النفس الأمريكى هومرلين . وتتلخص دعوة لايارد (التى تأثر بها كريستوفر ايشروود أيضا) فى رفض المواصفات الأخلاقية

والتقاليد الدينية التى تكبل غرائز الإنسان وتقف عائقا أمام سعادته . فالكبت فى نظره هو الخطيئة الحقيقية واستسلام الإنسان لغرائزه ونوازعه الطبيعية هو السبيل الوحيد إلى صحته النفسية . وهو رأى سبق ليسجموند فرويد ود . هـ . لورانس أن عبرا عنه . والجدير بالذكر أن أودين فى شبابه لم يظهر اعجابا بروايات لورانس أو شعره . ولكنه أظهر شديد الاعجاب بآرائه الفكرية كما عبر عنها فى كتابه "فانتازيا الشعور" (١٩٢٢) .

كان أودين مريدا وفيا لأستاذه لايارد ينفذ تعاليمه الداعرة لفاسقة حتى قبل أن يلتقى به . وهذا ما يؤكده مسلكه المنحل يام الطلب فى جامعة أكسفورد . وحز فى قلبه أن بعض لشبان الذين وقع فى غرامهم لم يستجيبوا لرغباته الشاذة ، لأمر الذى جعله يكتب شعرا يهاجم فيه هؤلاء الشباب الذين رسفون فى أغلال التقاليد وقيود المواصفات . والغريب ان ايارد الذى كان يعانى من سقم النفس واهتزاز العقل ويظن نه إنسان سوى وطبيعى من الناحية الجنسية لم يدرك ميله ى المثلية إلا بعد أن التقى بأودين . وكأن شاعرنا قد فجر يه نزعته المكبوتة إلى الشذوذ . يقول لايارد فى معرض كرياته عن التقائه بأودين : "كان جميلا جدا . وكان وجهه عما وملائكيا للغاية . ذلك النوع من الوجوه الذى يتضح لنا ه فى الحقيقة شرير" .

وعندما التقى لايارد بشاعرنا أخذ يشرح له نظريات مرلين الاباحية باستفاضة وعلى مدى ساعات ، الأمر الذى ب لب شاعرنا وجعله ينسى نفسه ويتأخر فى العودة إلى

بيته فى ضواحى برلين . فاضطر إلى قبول استضافة لايارد له . ونظرا لأن لايارد لم يكن لديه غير سرير واحد فقد اقترح عليه أن يناما معا فى نفس الفراش . ويعترف لايارد انه رغم أنه لم يسبق له ممارسة الشذوذ الجنسى من قبل فقد شعر على الفور برغبة فى احتضان ضيفه . ولكن أودين رفض الاستجابة إليه قائلا إنه على علاقة بشاب اسمه بيبس . ولكنه يعترف فى يومياته التى بدأ كتابتها فى عام ١٩٢٩ انه غير رأيه بعد ذلك بفترة قصيرة ووافق على الاستجابة لرغبات لايارد الشاذة . غير أن هذه التجربة جاءت مخيبة لآماله فقد وجدها كئيبة وخالية من اللذة . وسرعان ما اختفى الجنس من علاقتهما التى تحولت إلى صداقة . وانصرف أودين إلى معاشرة المراهقين والشباب الذين التقى بهم فى المواخير والبارات والحانات والذين كانوا على استعداد لأن يبيعوا أجسادهم للزوار الأجانب مقابل المال والهدايا . ويكفينا أن نعرف أنه كان هناك في برلين وحدها فى فترة الكساد العظيم عام (١٩٢٩) ما لا يقل عن مائة وسبعين بيتا من بيوت دعارة الذكور تحت رقابة البوليس وإشرافه . كان المال أساس العلاقة بين شاعرنا وبين عشيقه بيبس . ويلقى لايارد مزيدا من الضوء على هذه العلاقة فيقول إن أودين كان يستعذب أن يقوم حبيبه بضربه ضربا خفيفا . ويبدأ العراك بينهما بتبادل قذف المخدات ثم ينتهى باللكمات . وبعدها يتوجه الاثنان إلى حجرة النوم لممارسة الجنس . وكان أودين يشعر بالكسوف إذا لاحظ أن هناك من يراقبه . والغريب أنه لم يفكر آنذاك فى فسخ خطوبته من شيلا فقد كان يظن حتى ذلك الحين أن شذوذه الجنسى شىء عابر وسحابة صيف لن تلبث أن

تنقشع ، وأنه سوف يعود فى نهاية المطاف إلى العلاقات الجنسية السوية .

وفى برلين أعاد أودين كتابة مسرحيته الشعرية "مدفوع على الجانبين" التى بدأها فى انجلترا كقصيدة من الشعر . وتعكس النسخة المعدلة الأثر الكبير الذى تركته فيه آراء لايارد . والنسخة المعدلة تفوق الأصل فى غموضها لدرجة أن ت . س . إليوت نفسه عجز عن فهمها ولكن شعورا منه بقيمتها وافق على نشرها فى المجلة التى يصدرها بعنوان "ذى كريتيريون" . ومن ناحيته عزا أودين غموض المسرحية إلى طبيعته الكسولة التى تمنعه من بذل الجهد لتوضيح واستجلاء أفكاره .

وفى يناير عام ١٩٢٩ قرر الشاعر أن يترك العائلة التى يعيش معها فى مدينة برلين واستأجر عشة متواضعة بالقرب من أحد المواخير . وفى تلك الفترة استمر فى نظم القصائد الداعية إلى الأباحية الجنسية واتباع تعاليم لايارد . واتسمت هذه القصائد بالغموض والتعقيد اللذين يتحملان التفسير على عدة مستويات . وحين جاء صديقه كريستوفر ايشروود لزيارة برلين فى مارس عام ١٩٢٩ قام باصطحابه إلى باراتها وقدمه إلى بعض الصبية والغلمان . وفى احدى تلك البارات تعرف ايشروود بعشيقه بوبى ، وهو ما سوف نفصله فى الفصل التالى .

أحصى الدارسون عدد الغلمان الذين عرفهم أودين فى برلين فى الفترة من عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٢٩ فوجدوا أنهم

تسعة أوردت المراجع العلمية أسماءهم . واعتمد أسلوبه فى اصطيادهم على ارتياد الحانات والبارات . وهو يقول فى هذا الشأن انه كان بامكانه ارضاء شهواته عن طريق بيوت الدعارة والمواخير ولكنه آثر أن تكون علاقته يرتبط بهم عاطفيا ويقيم صلات مستقرة بعض الشىء معهم . ويستشهد فى هذا الصدد بقول إيشروود إن الفسق الكامل هو نهاية اللذة ، وهذا يعنى ضرورة تخلى العاشق عن جانب من حريته من أجل إقامة علاقات غرامية أكثر ثباتا . وعاش أودين على أمل لم يتحقق إلا بعد هجرته إلى أمريكا مفاده أن يجد عشيقا يعيش معه طول العمر . وأثمرت مغامراته الجنسية فى برلين بعض القصائد . كما أن اتصاله بالشباب المنحرف فى البارات ألهمه بتأليف مسرحية شعرية غير منشورة بالاشتراك مع ايشروود بعنوان "الاصلاحية" التى غيرا عنوانها عند الانتهاء من كتابتها إلى "أعداء الأسقف"

وفى تلك الفترة كان أودين على علاقة بشاب يدعى جيرهارت قدمه الى لايارد الذى بدأ أثره فيه يضحل . وعرض جيرهارت على لايارد أن يصبح عشيقه من وراء ظهر أودين وقبل لايارد هذه الخيانة ولكنه شعر بالعجز الجنسى عندما حاول أن يمارس الجنس معه . فندم على خيانته لأودين دون طائل . فها هو سرق منه غلامه دون جدوى . عندئذ قرر لايارد التخلص من حياته بأن أطلق رصاصة من مسدسه داخل فمه . ولكن الرصاصة بدلا من أن ترديه قتيلا استقرت فى جمجمته فى مكان لا ضرر منه . وبعد أن غاب عن الوعى بضعة دقائق أفاق ليكتشف انه بخير فاستقل سيارة أجرة

وتوجه بها إلى مسكن صديقه أودين وسلمه المسدس المحشو بالذخيرة ورجاه أن يخلصه من حياته . ورق قلب أودين فود لو استطاع أن يريحه مما هو فيه من كرب ولكنه خشى أن يقبض البوليس عليه ويحكم القضاء عليه بالاعدام . ولهذا رفض الاستجابة له ، وقام بنقله إلى المستشفى حيث استخرج الأطباء الرصاصة من رأسه . وبعد مرور بعض الوقت تماثل لايارد للشفاء واسترد صحته . وعندما روى أودين هذه القصة الفاجعة لصديقه ايشروود تأثر بها وضمها فى روايته "الذكرى" . وتشاء الأقدار أن يتخصص لايارد بعد ذلك فى نظريات العالم النفسى المعروف يونج ويحصل على درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد ثم يتزوج ويطول العمر به فيموت فى سن الثمانين .

كان أودين أصلا لا يحفل بالسياسة ويهتم فقط بالعلاقات الخاصة غير أن ظروف ألمانيا المضطربة عام ١٩٢٩ جعلته يهتم بها . ومع تنامى المد النازى بدأ يشعر بالتعاطف على الحزب الشيوعى الألمانى الذى تعرض لاضطهاد السلطة له . وتنكيلها به . وعندما علم بمقتل عدد كبير من الشيوعيين على أيدى الشرطة المانية تناول محنتهم فى احدى قصائده . ولعلها كانت أول مرة يظهر فيها اهتماما واضحا بالسياسة . وفى نهاية مايو ١٩٢٩ غادر برلين بهدف التجول فى أرجاء ألمانيا . وكانت علاقته بعشيقه جيرهارت قد انتهت بعد أن سرق منه نقوده واختفى بها ثم يعود ليسرق من أودين المسدس الذى كان لايارد ينوى الانتحار به واستبدل أودين جيرهارت بغلام آخر هو أوتو كوزول . وانزعج أهل قرية

رونيشوت عندما أصر شاعرنا على تشنيف آذانهم بعزفه العالى والمتواصل على البيانو الموجود فى محطة السكة الحديد بالقرية . فضلا عن أنه صدم مشاعرهم عندما رأوه يتصارع مع عشيقه أوتو فى الحقول وهما عاريان تماما فقام الأهالى باستدعاء الشرطة التى لاحقت أوتو عندما اكتشفت أنه هارب من اصلاحية أحداث .

أحب أودين ألمانيا من كل قلبه لدرجة أنه أحس بحنين شديد إليها بعد عودته إلى بلاده انجلترا عام ١٩٢٩ . وكان لا يزال يفكر فى الزواج من شيلا خطيبته . غير أن ايشروود الذى نزل ضيفا عليه فى ألمانيا حاول أن يثنيه عن اتمام الزواج . ويبدو أنه نجح فى تغيير رأيه فى الزواج . فقد كتب حينذاك يقول إن جانبا من جاذبية ممارسة الشذوذ الجنسى يكمن فى العقبات التى تعترض طريقها وفى العذاب الناجم عنه ، فى حين أن حب الرجل والمرأة بالمقارنة يبدو ميسورا وسهلا ومستأنسا . ويتضح مما كتبه عام ١٩٣١ الى صديقته مارجريت جاردنر انه حسم المسألة بشكل نهائى لصالح الشذوذ الجنسى . والجدير بالذكر أن القوانين فى بريطانيا حتى ذلك الوقت كانت تجرم الشذوذ الجنسى وتعاقب الممارسين له بالحبس (كما حدث فى محاكمة أوسكار وايلد) ، الأمر الذى دفع بكثير من الشواذ الى اتخاذ أسباب الحيطة والحذر . والغريب أن أودين تصرف على سجيته كما لو كانت هذه القوانين غير موجودة ولم يحاول أن يخفى شذوذه الجنسى عن أصدقائه ممن وثق بهم وتوسم فيهم السماحة . عندما أنتهى من كتابة مسرحية "إصلاحية الأحداث" قام

باهدائها على كل من أوتو عشيقه وبوبى عشيق صديقه ايشروود .

أودين يمارس التدريس والسفر والشذوذ فى انجلترا :

بعد عودته إلى انجلترا عام ١٩٢٩ اضطر شاعرنا أن يعتمد فى معاشه على والديه . فلم يكن له عمل أو دخل ثابت ، فى حين أن أخويه جون وبرنارد كانا يعتمدان تماما على نفسيهما فبرنارد الذى هاجر إلى كندا يملك مزرعة . أما جون فكان يعمل جيولوجيا فى الهند ويهوى تسلق الجبال الشاهقة فلا غرو أن أهدى إليه ويستان مسرحيته الشعرية "الصعود الى قمة ف ٦" .

ومما زاد من تأزم شاعرنا النفسى ان والديه كانا على علم بشذوذه الجنسى . وفى صمت كابدت أمه حسرتها . أما الأب فاتخذ موقفا براجمانيا فقد عبر عن استعداده للتغاضى عن شذوذ ابنه بشرط أن يخفيه عن المجتمع والناس . وعندما حانت لشاعرنا فرصة العمل كمدرس خاص فى اللغة الاتينية لصبى يعيش مع عائلته في لندن لم يترذد فى قبول هذا العمل الذى أداه على أكمل وجه وبضمير حيج . وفى بداية عام ١٩٣٠ نما الى علمه أن زميله الشاعر سيسيل داى لويس يتأهب لترك وظيفته كمدرس في احدى مدارس اسكتلندا فتقدم لشغل هذه الوظيفة الشاغرة فى فصل الصيف من نفس العام . وراقت له مهنة التدريس فظل يمتهنها لمدة خمسة أعوام .

كانت المدرسة الاسكتلندرية الصغيرة التى التحق أودين

للعمل بها واسمها أكاديمية لارتشفيلد ذات ماض عريق فقد تخرج فيها عالم الأنثروبولوجيا المعروف السير جيمس فريزر مؤلف مرجع "الغصن الذهبى" وجون لوجى بيرد مخترع التليفزيون . وأسندت إليه المدرسة تدريس اللغتين الانجليزية والفرنسية والاشراف أحيانا على طلبة القسم الداخلى والتحكيم فى ألعاب التلاميذ وأنشطتهم الرياضية . ويذكر عنه تلاميذه شدة شراهته فى التدخين واتساخ يده بالحبر وعادته الغريبة فى قضم أصابعه المتسخة بدخان التبغ بفمه . وكمدرس استطاع شاعرنا عن طريق الاتيان ببعض الأفعال البلهوانية والبذيئة ترويض الصبية . وهو يقول فى هذا الشأن انه يؤمن بضرورة أن يتحول المدرسون الى أراجوزات . فالمدرس الذى يستطيع الوقوف على رأسه أو عزف البيانو بأصابع قدمه قمين بجذب انتباه التلاميذ اليه ، الأمر الذى يمكنه من السيطرة عليهم .

وتعتبر فترة اشتغاله بالتدريس فى أكاديمية لارتشفيلد نقطة تحول فى حياته . فبعد عزوفه عن قراءة الصحف أخذ ابتداء من عام ١٩٣٠ يطالعها ويولى السياسة شيئا من اهتمامه . ولكن الأهم من هذا اتقاد قريحته الشعرية وإقبال المجلات ودور النشر على نشر أعماله . ففى تلك الفترة وافق الشاعر الكبير ت . س . إليوت بوصفه مسئولا فى دار نشر فابر وخابر على نشر ديوانه "قصائد" ولم يمانع فى اضافة "مدفوع من الجانبين" إلى الديوان . فضلا عن أنه كلفه بعرض الكتب لنشرها فى مجلة "كريتريون" التى يرأس تحريرها كما أن بعض المجلات الأخرى مثل "الليسنر" و"نيوستسمان" و"أشعار جديدة" . وقد تميز عرضه للكتب

فى هذه المجلات بالاستفاضة فى اقتطاف فقراته ما استطاع إلى ذلك سبيلا بغية إثارة اهتمام القراء بمطالعة النصوص الكاملة لهذه الكتب . ومن ثم تعمد أن يجيىء تعليقه عليها فى أضيق الحدود . غير أن الغموض شاب شعره المنشور مثلما شاب كتاباته النقدية . فلا غرو أن استقبل النقاد ديوانه الأول الذى نشره إليوت بكثير من الملامة والتقريع . ومما زاد من غموض الديوان كثرة ما ورد فيه من أخطاء بسبب رداءة خطه من ناحية وكسله فى تصحيح البروفات من ناحية أخرى . كما أنه استخدم بعض المفردات في قصائده من أجل جرسها وليس من أجل ما تحمله من معان ، الأمر الذى يدل على شدة اهتمامه منذ باكورة حياته بالتكنيك وليس بالمضمون . ويذهب النقاد إلى أن بعض أجزاء "مدفوع من الجانبين" تستغلق على العقل ولا يفهمها غير المحللين النفسيين . علما بأن شاعر المستقبل ديلان توماس الذى كان آنذاك فى السادسة عشرة اشترى نسخة من ديوان "قصائد" وظل يعيد قراءته حتى تهلل من كثرة الاستعمال .

وفى عام ١٩٣١ ألف أودين أربع قطع نثرية ضمنها كتابه الخطباء" المنشور عام ١٩٣٢ . ويدل بعضها على شدة تأثره فى مبدأ حياته بآراء الكاتب النفسى الألمانى جورج جروديك ومفادها أن الأمراض التى تبدو عضوية ليست فى أصلها سوى أمراض نفسية . وكانت هوايته أن يتولى تشخيص أمراض أصدقائه وردها الى أسباب نفسية . ويدل بعض قطعه الأخرى على تأثره بإيمان د . هـ . لورانس بالحدس واللاوعى وشكه فى قيمة الوعى والعقل . والجدير

بالذكر أن أودين استخدم فى كتابة بعض قطعه النثرية على نحو قريب من الأسلوب السوريالى . وانه شيئا فشيئا أخذ يتخلى عن سابق ايمانه بآراء لايارد ود . هـ . لورانس أو انه على أقل تقدير لم يعد يؤمن بها بنفس القوة التى آمن بها فى الماضى .

قلنا إن أودين أخذ يهتم فى أوائل الثلاثينات بالسياسة ولكن اهتمامه بها ظل محدودا . فقد كتب عام ١٩٣٢ قصيدة من جزءين بعنوان "عام جديد سعيد" تتضمن تعريضا بالسياسة وزراية بها . وقد أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى واحد من شواذ الجنس تعرف به حديثا اسمه جيرالد هيرد الذى تنوه القصيدة به . ويخلق بنا أن نذكر أن جيرالد هيرد لعب دورا بارزا في حياته الفكرية بعد أن انحسر عنه نفوذ لايارد . كان هيرد عندما تعرف به شاعرنا فى أوائل الأربعينات من عمره يقدم فى محطة الإذاعة البريطانية برنامجا بعنوان "هذا العالم المدهش" يهدف إلى تبسيط العلم حتى يفهمه عامة المستمعين . أضف إلى ذلك إنه ألف كتابين هما "صعود الإنسانية" عام (١٩٢٩) و"الجانب الاجتماعى من الدين" عام (١٩٣١) كما أنه أصدر مجلة لم يقيض لها أن تعيش طويلا كرسها للدفاع عن المذهب الانسانى القائم على العلم . غير أنه انصرف فيما بعد إلى تأليف القصص البوليسية . كان هيرد يعيش مع عشيق له ثرى يدعى كريس وود فى حى الويست أند الراقى فى لندن . ويذكر ايشروود أن أودين شارك هيرد أهتمامه بالعلوم على نحو غير متخصص وأنه كثيرا ما رآهما مستغرقين فى

مناقشات علمية . آمن هيرد بأن محنة الإنسان تكمن في انقسامه على ذاته بسبب طغيان المادة والجوانب الاقتصادية على دخيلة نفسه ، الأمر الذى يفضى إلى اصابته بالعصابية ثم يؤدى به إلى الثورة فى نهاية الأمر . وقد بلغ اعجاب أودين بهيرد مبلغا جعله يعتبره العاقل الوحيد فى مجتمع من المهرجين والأفاقين . فضلا عن أنه آمن بكل كلمة وردت فى كتابه المحدود الانتشار "الجانب الاجتماعى من الدين" .

ويخلق بنا أن نشير إلى أن ت . س . إليوت كتب عام ١٩٣٠ إلى هربرت ريد معبرا عن قلقه من عدم ايمان أودين بأى مبدأ أخلاقى وايدولوجى . ورغم أن إليوت لم يشك للحظة واحدة فى قدرته على اتقان التكنيك فقد خشى أن يؤدى افتقاره الى المعتقدات الدينية والأخلاقية والأيدولوجية إلى تعطيل قدرته على التطور التكنيكى .

وفى فترة اشتغاله بمدرسة لارتشفيلد (التى تركها فى الفصل الدراسى لصيف عام ١٩٣٢ ليلتحق بمدرسة الدوانز فى كولوال) ارتبط أودين من الناحية الجنسية بشاب . ولكن العلاقة بينهما ما لبثت أن انتهت بانتهاء فترة بقائه فى لارتشفيلد . وفى نفس هذا العام تكونت فى لندن فرقة مسرحية جديدة اقترح عليه كل من مديرها ومصممها جون بودنى (وهو نفس الغلام الذى راق فى عينيه أيام التلمذة فى مدرسة جريشام وقابله بالصدود) أن يتعاون مع فرقتهما المسرحية وخيراه بين تأليف باليه كورالى بعنوان "أورفيوس" أو مسرحية بعنوان "رقصة الموت" . ويبدو أن الاقتراح أحيا فيه عاطفته القديمة نحو بودنى ، الأمر الذى

جعله يرسل إليه كى يوافيه بصورة فوتوغرافية حديثة له . ورغم صدود بودنى السابق فقد قبل عند التقائهما أن يجمع الفراش بينهما . يقول بودنى فى هذا الشأن أن شهوة الجسد وحدها هى التى حركت شاعرنا . وانتهز بودنى علاقته بالشاعر كى يعرض عليه انتاجه الشعرى ويأخذ رأيه فيه . ولكن حكم أودين على هذا الانتاج لم يتأثر مطلقا بعلاقته به ، إذ أنه لم يتردد فى توجيه النقد اللاذع له وتنبيهه إلى مواطن الضعف فيه .

وفى مدرسة الداوتز كان أودين يقوم بتدريس علوم الرياضة والأحياء الى جانب اللغتين الانجليزية والفرنسية . وكانت هذه المدرسة تعنى بتنمية هوايات تلاميذها ومواهبهم وخاصة الرسم والموسيقى . وبسبب اشتغاله بالتدريس وحبه له أصبح لشاعرنا (من واقع خبرته) رأى فى مناهج التدريس وأساليبه ، فهو يرى أنه من الخطأ تدريس الناشئة روائع الأدب الانجليزى التى يتذوقها الكبار دون أى اعتبار لتجارب الصغار . ومن ثم فإنه يقترح أن تكون هناك علاقة بين المناهج وبين بيئة التلاميذ . ورغم أنه حبذ حفظ التلاميذ لروائع الشعر عن ظهر قلب فإنه اشترط ضرورة شرح مفرداته شرحا وافيا قبل حفظه . ولم ير شاعرنا أى جدوى فى الاستفاضة فى شرح مواطن الجمال فى هذا الشعر للصغار . وذهب إلى أن أفضل أسلوب لتعليم الشعر للناشئة هو تشجيعهم على قرضه . ودعاه هذا إلى أنشاء مجلة مدرسية اسمها "البادجر" لنشر ما تنتجه قرائح التلاميذ من شعر وأدب .

قلنا أن أودين اتجه إلى قراءة الماركسية أيام دراسته

بجامعة أكسفورد دون أدنى التزام بأيدولوجيتها . صحيح أنه دعا إلى الثورة ولكن هذه الثورة كانت أبعد ما تكون عن الماركسية بل هي ثورة نفسية هدفها الاطاحة بكل مظاهر الكبت وأسبابه التى تؤدى الى شقاء الإنسان وتعاسته . ومعنى هذا أنه أراد إشعال ثورة على طريقة د . هـ . لورانس الذى دعا الى تحرير الغرائز واللاوعى من ربقة العقل واستبداد الوعى وليس على طريقة كارل ماركس الساعية إلى الإطاحة بالطبقة الرأسمالية كى تحل محلها طبقة البروليتاريا . وهذه الدعوة إلى الثورة النفسية أكثر وضوحا فى شعره من وضوحها فى نثره . وليس أدل على هذا من أنه نشر فى أغسطس عام ١٩٣٢ قصيدة بعنوان "شيوعى فى عيون الآخرين" فى مجلة "القرن والعشرون" ، تتضمن هجوما - من منطلق الحب والأخاء الإنسانى وليس من منطلق ايدولوجى - على الذين يضطهدون الطبقة العاملة ويسومونها الخسف والعذاب . ولولا أن أول بيت فيها يبدأ بكلمة "أيها الرفاق" وأن عنوانها يحتوى على لفظ "شيوعى" لما شعر قارئوها مطلقا بيساريتها . وفى هذه القصيدة يدعو الشاعر إلى اطلاق الغرائز من عقالها حتى لا يؤدى كبتها إلى تدمير النفوس وإصابتهم بالأسقام النفسية . علما بأن أودين قام فيما بعد بتغيير كلمة "الرفاق" الشيوعية الى كلمة "الأخوة" وهى كلمة إنسانية عامة . ومما يؤكد أن تأثره بالماركسية لا يعنى إيمانه بها من أنه أسهم فى مناظرة منشورة عام ١٩٣٥ بعنوان "الفنون فى يومنا الراهن" ذهب فيها إلى أن سيجموند فرويد له نفس أهمية كارل ماركس فى تشخيص أمراض المجتمع وعلله .

في صيف عام ١٩٣٢ عكف شاعرنا تحت تأثير حب جديد بشاب يصغره بعدة أعوام على تأليف مجموعة من السوناتات في العشق تميزت عن سابق قصائده الغنائية غير معهودة في شعره وبما أظهره الشاعر من استعداد أكبر للإندماج العاطفي في تجارب العشق الذي بدأ يكابده بدلا من وقوفه فيما مضى بعواطفه بمنأى عن هذه التجارب . ومن ثم فقد خفت في هذا الشعر الجديد حدة وعيه بالذات وتضاءل إعماله الشديد للعقل . ومع هذا فقد احتفظ شعره بنفس غموضه القديم وصعوبة فهمه . ويرد الدارسون هذا التحول الذي أصاب أودين إلى سببين أولهما انه وصل إلى مرحلة النضوج وأن عواطفه أصبحت أكثر استقرارا وعمقا عن ذي قبل ، فهو لم يعد ينظر إلى تجاربه الجنسية على أنها نوع من مغامرات المراهقة ، أي أنها شيء عابر لا يلبث أن يذهب لحال سبيله ، كما أنه بدأ يأخذ عشقه مأخذ الجد تماما مثلما يأخذ الواله السوي عشقه لحبيبته . فلا غرو أن يطرأ على أسلوبه تغير ملحوظ قال بصدده إنه بدأ مع هذا التغير في التخلي عن عادته السابقة في صياغة قصائده بتركيز وأحكام شديدين لا يسمحان باستخدام كلمة واحدة زائدة يمكن الاستغناء عنها ، الأمر الذي جعل قراءة شعره شيئا عسيرا ومملا . وفي تلك المرحلة من حياته وقع تحت تأثير الشاعر الأيرلندي المعروف بيتس بعد أن كان في باكورة حياته واقعا تحت تأثير كل من توماس هاردي وت . س . إليوت .

وفي عام ١٩٣٣ انتصرت النازية واستولت على الحكم في ألمانيا ، الأمر الذي دفع مؤلفنا إلى معالجة السياسة في

مسرحيته الجديدة "رقصة الموت" المنشورة فى نفس العام . غير أن اهتمام أودين باجراء التجارب التكنيكية والفنية فى هذه المسرحية يفوق اهتمامه بالسياسة . وليس هذا بالأمر المستغرب فقد سبق منذ سنوات أن صرح لكريستوفر إيشروود بأن الوقت قد آن للتخلص من المسرح الواقعى الحديث كما أرسى قواعده الكاتب المسرحى الروسى المعروف تشيكوف . ولعل المسرحية الشعرية التى ألفها شاعرنا بعنوان "مدفوع من الجانبين" تتضمن أول محاولة من جانبه للتجريب . ثم أوغل فى التجريب فتعمد أن يضمن مسرحيته الجديدة "رقصة الموت" كثيرا من أشكال المسرح الترفيهى وغير الراقى مثل موسيقى الصالات والبانتوميم واستعراضات الكباريهات . وهذه المسرحية لا تزعم أنها تقدم شعرا جادا . فالكثير من أجزائها لا يعدو أن يكون رجزا . ولم يستمر عرض هذه المسرحية فى لندن سوى لفترة قصيرة . ورغم أن الناقد ف . ر . ليفز هاجمها بضراوة فإن اليأس لم يتطرق قط إلى قلب مؤلفها الذى قدم فى ذات الوقت مسرحية "سفينة نوح" التى قام بتمثيلها طلبة مدرسة الدوانز . ويرجع تاريخ هذه المسرحية إلى العصور الوسطى . وقد سبق لأودين أن قدم مسرحية "أورفيوس" للكاتب الفرنسى كوكتو على خشبة مسرح نفس المدرسة . وفى يونية عام ١٩٣٥ قام بانتقاء مجموعة مختارة من القصائد التى ألفها طلبة المدرسة واصدارها فى ديوان بعنوان "لسان الشاعر" لقى نجاحا باهرا وحظى بتقريظ النقاد . وكان هدفه من نشر هذا الديوان أن يبين أن الشعر ليس سوى ذلك الكلام الذى يسهل حفظه . وهو تعريف للشعر غاية فى البساطة . يقول أودين فى شرح

مفهومه البسيط للشعر : "سوف نسيء إلى الشعر أبلغ إساءة إذا قصرناه فقط على معالجة أهم تجارب الحياة . الشعر ليس أفضل أو أسوأ من الطبيعة الإنسانية . فهو مثلها يجمع بالتناوب بين العمق والضحالة والتعقيد والسذاجة والغباوة والذكاء والدعارة والطهارة" .

وفي عام ١٩٣٥ قبل أودين عن طيب خاطر اقتراحا بزواجه من إريكا ابنة الكاتب الألماني الكبير توماس مان حتى يخلصها من براثن هتلر والنازية ويوفر لها فرصة الحصول على الجنسية البريطانية . ورغم أن هذا الزواج كان مجرد شكل أو خدمة قدمها أودين إلى إمرأة استجارت به دون أن ينطوى على أية علاقات عاطفية أو جنسية من الطرفين فإنه ظل يرتبط به طول العمر دون أن يخطر على باله أن يتخفف منه . واعترافا منها بما أسداه إليها شاعرنا من جميل أوصت له بعد وفاتها ببضعة آلاف من الدولارات .

وفي أغسطس من نفس العام (١٩٣٥) قام أودين برحلة في سيارته إلى أوربا واصطحب معه اثنين من طلبة مدرسة دوانز السابقين هما ميشيل بيتس وبيتر روجر الذى يبدو انه كان على علاقة لواطية بأودين . وفي العام السابق لرحلته (١٩٣٤) انتهى من تأليف مسرحية بعنوان "الصيد" استقى مادتها من بعض المقطوعات التى سبق أن كتبها وقام بعرضها على صديق عمره ايشروود الذى أدخل عليها كثيرا من التعديلات لدرجة أنه غيرها تماما عما كانت عليه . وهكذا فاجأ أودين دار النشر فابر وفابر بنص مسرحى مغاير تماما عن النص الذى اتفق معها على نشره بعنوان "الصيد" وقدم

لها مسرحية مختلفة كل الاختلاف عنوانها "الكلب تحت الجلد" عام (١٩٣٥) . ورغم امتعاض ت . س . إليوت المسئول عن النشر من اخلال أودين بشروط التعاقد فقد قبل نشر النسخة المعدلة ولكن دون إشارة إلى اسهام ايشروود فيها ، الأمر الذى أغضب شاعرنا من هذا التجاهل لجهود صديقه .

الاشتغال بالسينما ومزيد من الأسفار :

قرر أودين أن يهجر مهنة التدريس واتجه إلى كتابة مادة الأفلام التسجيلية التى تنتجها مصلحة البريد البريطانية : ورغم أن دخله من مهنته الجديدة كان نصف دخله من التدريس فإنه قبل الاضطلاع بها عن طيب خاطر . ومع هذا كانت أسعد فترات حياته تلك التى قضاها كمدرس فى مدرسة دوانز وخاصة لأنها من أخصب فترات عمره . وعندما اتجه الى السينما كلفه المخرج جون جريرسون بكتابة مادة فيلمين تسجيليين يدور أولهما حول قطار الليل الذى يحمل البريد إلى اسكتلندا . أما الفيلم الثانى - وهو من النوع التجريبى - فيتناول حياة عمال المناجم فى شمال إنجلترا . ونظرا لضآلة المبلغ المخصص لانتاج هذين الفيلمين عهد مخرجهما بوضع موسيقاهما إلى مؤلف مغمور ولكنه موهوب اسمه بنيامين بريتين الذى صعد نجمه فيما بعد فى عالم الموسيقى الانجليزية . ومن خلال فيلمه الأول "بريد الليل" نجح أودين أن يبين أنه يمكن استخدام الشعر فى السينما ، كما نجح بنيامين بريتين فى وضع الموسيقى المصاحبة لهذا الشعر . ولقى هذا الفيلم عند عرضه فى أوائل عام ١٩٣٦ نجاحا

عظيما وحقق مكاسب طائلة وحظيت موسيقاه باهتمام واسع بين الجمهور . ولم يخف على عين أودين الفاحصة أن يدرك أن الموسيقار الناشيء الموهوب كان يميل بالقوة وليس بالفعل إلى الشذوذ الجنسى فتضافر مع كريستوفر ايشروود على اقناعه بممارسته . وتشير بعض قصائد أودين إلى الدور الذى اضطلع به فى هذا السبيل . كما أن القصيدة التى ألفها فى مارس عام ١٩٣٦ . بعنوان "الليل يخفي الأرض الجامدة" وأهداها الى بريتين الذى وضع موسيقاها تشير إلى الحب الذى يحمله شاعرنا للموسيقار وصدود هذا الموسيقار عنه . وقد صرح بيتر بيرز صديق عمر بريتين بصحة هذا الأمر . وهذا ما تؤكده شهادة ايشروود نفسه .

لم تمض بضعة شهور على اشتغال أودين بالتأليف السينمائى حتى قدم استقالته من عمله فى السينما فى فبراير عام ١٩٣٦ . وشجعه على ذلك بطبيعة الحال ما أصاب من نجاح على كتابة بعض المسرحيات مثل "الكلب تحت الجلد" التى قدمت على خشبة المسرح فى ٣٠ يناير عام ١٩٣٦ واستقبلها النقاد بقدر غير ضئيل من المديح والثناء .

وتدور مسرحيته التالية "الصعود إلى قمة ف ٦" المنشورة عام ١٩٣٦ حول مناقشة مفهوم البطولة كما أنها تطرح بعض القضايا والتساؤلات . والمسرحية مستمدة من واقعة حقيقية فقد توفى أخو ناظر مدرسة الداونز فى عام ١٩٣٤ أثناء صعوده إلى قمة ايفرست ، الأمر الذى جعل شاعرنا يتساءل : ما عسى أن يكون السبب الذى يدفع إنسانا مفكرا وانطوائيا ومحبا للقراءة إلى تسلق الجبال وتعريض

حياته للخطر . وتناول ايشروود فى هذا الانتاج المسرحى المشترك قضية هامة فحواها أن الناس الذين يأتون ببعض الأفعال التى تبدو بطولية كثيرا ما يبعدون كل البعد عن البطولة . فالدافع اليها فى كثير من الأحيان لا يعدو أن يكون مرضا عصابيا يعانى منه البطل المزعوم مثل بطل مسرحية "الصعود إلى قمة ف" الذى يسلق قمه هذا الجبل حتى يثبت لنفسه أنه الرجل القوى الذى أرادته أمه أن يكون . فضلا عن أن المسرحية تطرح قضية هامة هى الاختيار بين حياة النسك والاستغراق فى التأمل ومعرفة الذات التى تمثل طوق النجاة وبين الاستجابة لمطالب الزعامة وقيادة الجماهير واثارة اعجابهم وهى أمور تفضى إلى التهلكة والدمار . وبعد نجاح مسرحية "الصعود إلى قمة ف ٦" التى أسهم فيها شاعرنا بأشعاره أحس أودين انه لا مناص أمامه من مغادرة انجلترا حتى لا يتحول فى نهاية الأمر إلى جزء من النظام البورجوازى الحاكم والفاسد الذى يحمل عظيم المقت والاحتقار والذى يتمنى لو استطاع الاطاحة به .

ثم قام أودين بزيارة قصيرة إلى البرتغال حيث عاش كريستوفر ايشروود مع واحد من غلمانه بعضا من الوقت . وبعد البرتغال سافر أودين إلى ايسلندا فى اسكندنافيا . وشجعه على ذلك أن أحد أصدقائه من المدرسين فى مدرسة برانيستون كان يتأهب للقيام برحلة مدرسية إلى هذه البلاد . وعرض على ناشريه فابر وفابر تمويل رحلته إلى هناك نظير وعد بتأليف كتاب رحلات عن ايسلندا . يتولوا نشره فوافقوا على ذلك . كان مؤلفنا منذ نعومة أظفاره يتحرق شوقا لرؤية

هذه البلاد البعيدة التى انحدرت عائلته منها قبل أن يهاجر والده إلى بريطانيا . وتصور احدى قصائد أودين رحلته البحرية إلى ايسلندا واقتراب السفينة التدريجى من شواطئها . وحتى يقتل ملل السفر الطويل توفر على قراءة قصيدة بيرون المعروفة "دون جوان" واستمتع بها . وبعد وصوله إلى ايسلندا عرف أن الشذوذ الجنسى ظاهرة نادرة وغير مألوفة هناك . ولفت نظره قدرة الكثير من الايسلنديين المتعلمين العاديين على قرض الشعر . وفى ايسلندا وقع شاعرنا فى حيص بيص فقد عجز عن البدء فى كتابة كتاب الرحلات الذى وعد ناشريه به . واستعان أودين بزميله الشاعر لويس ماكنيس فى نشر ديوان يحل محل كتاب الرحلات المزمع - قبلت دار النشر فابر وفابر نشره عام ١٩٣٦ بعنوان "انظر أيها الغريب" ولكن شاعرنا طلب من دار النشر الأمريكية راندوم هاوس تغيير عنوانه إلى "على هذه الجزيرة" عندما أعادت نشره عام ١٩٣٧ . وحظى هذا الديوان بثناء معظم النقاد عليه ومن بينهم أدوين موير وستيفن سبندر . ونفدت جميع نسخ الكتاب فى زمن قياسى لا يزيد عن ستة أسابيع . ولم يشذ عن تقريظ الكتاب سوى قلة من النقاد من بينهم ف . ر . ليفز الذى ظل يشن حملاته الشعواء على أودين حتى نهاية العمر متهما إياه بالافتقار إلى النظام وأنه ينسج أشعاره من عصابيته وذكرياته الشديدة الخصوصية .

الاشتراك فى الحرب الأسبانية .. تجربة فاشلة :

عندما نشبت الحرب الأهلية الأسبانية عام ١٩٣٦ بين القوى القومية والفاشية التى يمثلها الدكتاتور فرانكو ، وقوى الجمهورية والديموقراطية التى يساندها المثقفون الليبراليون واليساريون شعر أودين برغبة ملحة فى الانضمام إلى صفوف الجمهوريين يدفعه إلى ذلك احساسه الدفين بالذنب بسبب نكوصه عن الاشتراك فى الزود عن وطنه فى الحرب العالمية الأولى .. غير أنه امتنع عن الاشتراك فى القتال الدائر رحاه فى أسبانيا واكتفى بالتطوع كسائق عربة اسعاف . رحل أودين إلى الأراضى الاسبانية وسط ضجة إعلامية ضخمة ولولا انشغال كريستوفر ايشروود آنذاك بغلامه الألمانى هاينز لما تردد فى أن يفعل نفس الشىء . غير أن سفر شاعرنا إلى أسبانيا كان دون طائل فقد ذهب وعاد دون أن تفيد منه الحرب الأهلية الاسبانية شيئا . وهو الأمر الذى جعل واحدا من شانئيه يسخر من عدم اشتراكه فى القتال وايثاره باستمرار للعافية والسلامة . ولم تساعد سياسة الصمت المطبق التى التزم بها أودين ازاء هذا الموضوع فى القاء الضوء على الأسباب التى حالت بينه وبين الاشتراك الفعلى فى الحرب الاسبانية . فهو لم يفعل أكثر من أنه اشتغل لفترة قصيرة كمذيع فى محطة بث إذاعى يستخدمها الجمهوريون للدعاية لقضيتهم . وفى أسبانيا مر شاعرنا بتجربة أشد ما تكون دلالة على مدى تأصل الكنيسة فى وجدانه ولا وعيه . فقد ساءه كثيرا وصدم مشاعره (وهو الكافر بالمسيحية) أن يرى الكنائس مغلقة والقساوسة معلقين على المشانق . وسببت له

حدة هذا الشعور انزعاجا شديدا لأنه لم يكن مجرد نتيجة ايمانه بالسماحة والليبرالية أوقعته لكل صنوف التعصب . وهكذا اكتشف أودين فجأة أن تجاهله الواعي للكنيسة ورفضه الدين لمدة ستة عشر عاما لم يمح تأصل الكنيسة وطقوسها فى أعماقه .

ورغم مناصرته للاشتراكية فى صراعها ضد الفاشية فإنه لم يفعل هذا من منطلق سياسى بل من منطلق إنسانى . وقد تناول الحرب الأهلية الأسبانية فى احدى قصائده التى اتهمها الشيوعيون بأنها لا تتناول هذه الحرب فى قليل أو كثير .

وعلى آية حال لاحظ الدارسون أن نغمة جديدة من المرارة والتشاؤم بدأت تسرى فى أشعاره بعد تجربته الأسبانية .

العودة إلى حظيرة الدين :

فى عام ١٩٣٧ فكر أودين ومعه ستيفن سبندر فى زيارة أمريكا لالقاء بعض المحاضرات هناك . ولكن هذه الرحلة لم تتحقق آنذاك . غير أن دار النشر الأمريكية راندوم هاوس اقترحت أن تتعاون مع دار النشر الانجليزية فابر وفابر في تكليف شاعرنا بالقيام برحلة الى الشرق الأقصى وتأليف كتاب رحلات على غرار كتابه المنشور بعنوان "خطابات من ايسلندا" (١٩٣٧) بالاشتراك مع لويس ماكنيس . واتفق أودين مع كريستوفر ايشروود (الذى اشترك معه مؤخرا فى

تأليف مسرحية تجارية بعنوان "على الجبهة" المنشورة عام ١٩٣٨) على السفر سويا الى الصين . وتعالج هذه المسرحية ذات الطابع السياسى والتى تكاد أن تخلو من الشعر باستثناء أناشيد الكورس عبث الحروب وسخف تأليه الزعماء وتقديسهم . وتتضمن المسرحية أيضا هجوما على الشيوعية وتعريضا بفكرة الجيوش الشعبية كما عرفها من خلال تجربته الأسبانية .

وفى نفس العام (١٩٣٧) حصل أودين على ميدالية تمنح لشاعر المجيد الذى ينتج أفضل ديوان شعر فى آخر عام حيث لايتجاوز عمره الخامسة والثلاثين . ويرجع السبب فى ختياره للحصول على هذه الجائزة إلى تحمس أمير الشعراء نذاك جون ماسفيلد بتقديمه الى الملك جورج السادس فى صر باكنجهام . واقتضى بروتوكول البلاط منه أن يرتدى بذة ذيل لايملكها ، الأمر الذى اضطره الى اقتراضها من صديقه سيريل كونولى . وأنحى عليه شانئوه باللائمة لقبوله هذا لتكريم واعتبروه بمثابة ردة عن يساريته وايمانه بالاشتراكية دليل على تحوله ـ وهو فى العقد الرابع من عمره ـ الى محافظة . غير أنه حظى بتقدير كبار النقاد ورجال الأدب مثال ادوين موير وجراهام جرين والسير هيو والبول وديلان وماس . ولم يغتر شاعرنا بالتكريم أو الثناء كما أنه لم يأخذه أخذ الجد . ولعل النقد الوحيد الذى أخذه مأخذ الجد هو لك الذى وجهه الى شعره كل من صديقه كريستوفر ايشروود عشيقه تشستر كولمان .

سافر أودين وايشروود بالبحر الى الصين يوم ١٩ يناير ١٩٣٨ واجتمع الأصدقاء فى ميناء دوفر لتوديعهم . وكان من بين المودعين لهما الروائى الانجليزى أ . م . فورستر وورود ماكولى . ولطول الرحلة أزجى المسافران وقت فراغهما بالنقاش المستفيض وتبادل الرأى فى بعض القضايا الميتافيزيقية اتضح لايشروود منها ان قلب صديقه أودين لايزال يتعلق بالدين المسيحى وطقوسه التى رضع لبنها منذ نعومة أظفاره . ويذكر ايشروود فى هذا الشأن أنه لاحظ أن الجزء الذى اسهم به أودين فى مسرحية "على الجبهة" يتضمن ايماءات دينية . ولعب لقاء شاعرنا بتشارلس وليامز دورا بارزا فى عودته الى حظيرة الدين . فرغم ممارسة وليامز للشذوذ الجنسى فقد امتلأت نفسه بصفاء وطهارة لا حد لهما . وبدأ أودين يضيق ذرعا بسخرية صديقه ايشروود من الدين وزرايته به وقال له محذراً : "حذارى .. حذارى ياصديقى . إنك إذا استمررت على هذا النحو فسوف ينتهى بك الأمر يوما ما بالعودة الى حظيرة الدين" . وهذا ماحدث لايشروود بالفعل فى قابل أيامه .

وفى شهر نوفمبر ١٩٣٩ أى بعد مرور شهرين من اندلاع ألسنة الحرب العالمية الثانية ذهب أودين لحضور سينما فى يوركفيل فى منطقة مانهاتن التى يقطنها كثير من المهاجرين الألمان حيث شاهد فيلما عن غزو القوات النازية لبولندا وما أن ظهر المواطنون البولنديون على شاشة السينما حتى تعالت صيحات نفر من المشاهدين الألمان ينادى بسفك دمائهم :

"اقتلوهم" ، الأمر الذى أحزن شاعرنا حزنا لا مزيد عليا وجعله يعيد النظر فى ايمانه بالمذهب الانسانى الليبرالى ويقضى على تفاؤله بالطبيعة البشرية ويعيده الى حظيرة الدين . لقد كان تفاؤله بالطبيعة البشرية وراء ايمانه بعدة أفكار وفلسفات بدءا بالماركسية ومرورا بالفرويدية وما بعدها وانتهاء بالمذهب الانسانى الليبرالى . وتصور فى تبسيطه للأمور أن الانسان بمقدوره تحقيق السعادة فور تخلصه من الكبت الجنسى أو الاطاحة باستبداد الطبقة البورجوازية بطبقة البروليتاريا . ولكن التجربة التى مر بها فى سينما يوركفيل قضت على كل أسباب تفاؤله بالطبيعة البشرية . بل إنها جعلته يدرك سذاجة وسطحية مثل هذا التفاؤل ويلوذ بالدين من هذا الشر البشرى المستطير . وعبر شاعرنا عن هذه المحنة فى احدى قصائده التى اعترف فيها بأن نبذ المطلقات التى تشكل جوهر الدين خطأ وعبر عن أسفه لتهاوى هذه المطلقات تحت معارك الفكر الليبرالى الذى يدفع الى الشك فى صحة هذه المطلقات . وساعده على استعادة ايمانه بالدين أنه قرأ كتابا فى اللاهوت من تأليف تشارلس وليامز بعنوان "أصل اليمامة" يرجع إليه الفضل فى تعريفه بكتابات الفيلسوف الدينى الوجودى الكبير كيركجارد الذى خلبه بأصالته وحدة بصيرته . بدأ أودين فى قراءة كيركجارد فى أواخر عام ١٩٣٩ وأوائل عام ١٩٤٠ وتحت تأثير أفكاره عاد لأول مرة منذ مراهقته الى ارتياد الكنيسة ولكن بصورة تمهيدية وتجريبية على حد قوله . ومعنى هذا أن عودته الى الكنيسة حتى ذلك الوقت لم تكن كاملة أو نهائية .

وطبقا لآراء كيركجارد الدينية التى اقتنع بها أودين فإن الفرد فى اهتدائه الى الله يمر بثلاث مراحل أولاها المرحلة "الجمالية" وفيها يعيش هذا الفرد من أجل حاضره ومتعته الراهنة فقط . وتتمثل هذه المرحلة فى الفترة التى قضاها أودين كطالب فى جامعة أكسفورد ولكن الفرد سرعان مايكتشف أن هذه المرحلة "الجمالية" غير كافية لاسعاده . ومن ثم نراه ينتقل الى مرحلة أرقى هى المرحلة الأخلاقية التى إذا اختارها تمكنه من إصدار الأحكام الأخلاقية . والاستمساك بها . وتنطبق هذه المرحلة الثانية على الفترة التى أظهر فيها أودين اهتماما بالسياسة ومشاكل المجتمع . ولكن الفرد سرعان ما يدرك أن هذه المرحلة غير كافية لاسعاده لأنها تستبعد من دائرة تجربته فكرة الأبدية والسرمدية . وهى الفكرة التى تاقت روح شاعرنا الى الايمان بها بعد تجربته الأليمة فى سينما يوركفيل . وفى هذه المرحلة يصبح أمام الانسان خياران لا ثالث لهما وهما أن يستسلم لليأس أو يلوذ برحمة الله . وهى مرحلة لا يصل إليها الانسان عن طريق العقل ولكن عن طريق الايمان . وهى ليست خطوة يخطوها الانسان فى مدارج التطور والارتقاء بل هى قفزة يقفزها فى الفراغ . هذه القفزة تتمثل فى التسليم المطلق لله . ومثل هذا الخيار الأخير قمين بأن يحقق للفرد حريته وهو خيار ثابت لايهتز لأنه يرتكز على أساس راسخ . ففى طريق هذه القفزة فى الفراغ يتجاوز الفرد كافة أنواع التفكير العقلانى ويستشرق عالما جديدا من النورانية .

لم يقبل كثير من الانجليز هجرة أودين وايشروود الى أمريكا ببساطة وخاصة لأنها جاءت فى أحلك فترات الحرب فى انجلترا التى تعرضت لقذف القنابل المتواصل والمركز من جانب الطائرات الألمانية . ودمغهما البعض بالنذالة والجبن بأن سلوكهما عار على الشعر . وقال الأديب سيريل كونلى عن موقفهما أنه أبلغ دليل على عزلة الأدب والأدباء الانجليز عن السياسة في عقد الثلاثينات ورفضهم الاشتراك فى أحداثها . وقد رسم الروائى المعروف ايڤلين وده صورة ساخرة لأودين وايشروود بسبب هجرتهما الى الولايات المتحدة في روايته "ارفعوا المزيد من الأعلام" لقد أعطى أودين أعذاراً لهجرته إلى أمريكا ولكن يبدو أن السبب الحقيقى وراء إيثاره لأمان وسلامة العيش هناك على مواجهة أخطار الحرب فى انجلترا يكمن فى تعلقه الشديد بعشيقه الأمريكى الجديد تشستر كولمان ، وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل فى وقت لاحق .

وبمناسبة حلول عام ١٩٤٠ نظم أودين قصيدة طويلة تتكون من ألف وسبعمائة بيت بعنوان "خطاب العالم الجديد" التى أهداها الى مضيفته السيدة اليزابيث مايور التى جعلت من منزلها فى لونج أيلاند بيت ضيافة ينزل فيه كوكبة من الفنانين والأدباء أمثال الشاعر أودين والموسيقار برتين . ورغم شدة استمساكها بالتقاليد والأعراف فإنها تغاضت عن شذوذ ضيوفها وتعمدت أن تغض الطرف عنها . ودعا أودين فى "خطاب العالم الجديد" الى الحب بين البشر ، وترجع أهمية هذه القصيدة الى أنها تتضمن صياغة شعرية لتلك

الأفكار الدينية التى استقاها شاعرنا من كتاب "أصل اليمامة" لتشارلس وليامز ثم أضاف إليها تعديلات أجراها على قطعة نثرية سبق أن ألفها أودين وعبر عن عدم رضائه عن مستواها بعنوان "الغزير الانتاج والملتهم" ومن الخطل أن نظن أن الشاعر توهم أن أمريكا هى جنة الله على الأرض . بخطاباته التى أرسلها من أمريكا الى صديقته دودز التى تعيش فى انجلترا تدل على ادراكه للجوانب المدمرة التى ينطوى عليها التصنيع سواء فى أمريكا أو أوربا وكيف أنه أدى إلى استئصال الجذور التى تربط الانسان بمجتمعه فالآلة حولته الى جزيرة منعزلة . والفرق بين أوربا وأمريكا فى هذا الشأن يكمن فى أن أمريكا تواجه هذه الحقيقة المريرة فى حين أن أوربا تخدع نفسها وتتظاهر بأن هذه الجذور لا تزال موجودة . هذا وقد نشرت دور النشر الأمريكية فى نفس عام ١٩٤٠ ديوانا من الشعر بعنوان "وقت آخر" .

وفى خريف العام السابق (١٩٣٩) كلفته منظمة شيوعية تدعى منظمة الكتاب الأمريكان بتدريس الشعر لأعضائها . ولكنه ترك هذه المنظمة عندما اعترضت على نشره مقالا عن الشاعر الايرلندى بيتسى فى مجلة بارتيزان ريفيو التى اعتبرتها مجلة تروتسكية . ثم مارس أودين التدريس فى معهد علمى آخر بنيويورك هو المدرسة الجديدة للأبحاث الاجتماعية . وفى تلك الفترة من حياته قرر أن يضم قصيدته الطويلة "خطاب العام الجديد" فى ديوان تكون فيه هذه القصيدة حجر الزاوية وأطلق على هذا الديوان اسم "الرجل

المزدوج" (١٩٤١) وهو عنوان استقاه تشارلس وليامز من الفيلسوف الفرنسى مونتانى وضمنه مبحثه اللاهوتى "أصل اليمامة" . والجدير بالذكر أن جولومان أخا زوجته اريكا لاحظ ان تغيرا دينيا أخذ يطرأ عليه فى تلك الفترة . فهو يقول : "لاحظت انه بدأ يختفى لمدة ساعتين فى أيام الآحاد ثم يعود بعدها ووجهه يطفح بالبشر . وبعد انقضاء بضعة أسابيع أسر الىّ بأن السبب فى اختفاءاته الغامضة هى ذهابه الى الكنيسة البروتستانية الابسكوبالية" . وهكذا استعاد الشاعر معتقداته وممارساته الدينية التى تشربها فى طفولته . فهو منذ اكتوبر ١٩٤٠ فصاعدا يحرص على حضور مناولة صباح الأحد الباكر ويتجنب حضور القداديس المتأخرة حتى لا يضطر الى الاستماع الى الوعظة . فضلا عن أنه كان يصلى بانتظام . والغريب أن عودته الى الدين لم تكن مفاجئة بل أتت بطريقة تدريجية وهادئة للغاية . غير أن ايمانه لم يكن قط مبنيا على العقل بل قائما على التسليم . فالايمان رغم لا عقلانيته هو سبيله الى الوصول الى منظومة فكرية يمكنها أن تفسر الوجود الانسانى بأسره . وهى منظومة ظل يجد فى طلبها طيلة حياته الراشدة . ويمكن القول إن اهتداءه الى الدين كان عملية ذهنية بحتة وليس تجربة روحية . صحيح انه يذكر انه فى حياته اللاحقة استمع مرة أو مرتين الى صوت الله وانه أحيانا اعتبر الصلاة نوعا من الاستماع أكثر من كونها نوعا من الحديث يقول أودين فى هذا الشأن : "إن الجزء الجاد من الصلاة يبدأ عندما ينتهى المصلى من توسلاته ويرهف السمع

لينصت الى صوت يمكن أن أسميه الروح القدس" . ولكن شاعرنا رغم هذا يستبعد العنصر الصوفى من إيمانه . فضلا عن أن اقتناعه بالدين المسيحى لم يمنعه من الايمان بمجموعة من المعتقدات المتناقضة مثل اعتقاده بوجود الشيطان والسحر الأسود وقراءة الكف وقدرة القطط على تواصل الخواطر والأفكار عن بعد .

ويبدو أنه لم يكن مقتنعا تماما بقيامة السيد المسيح من الأموات غير انه اظهر اقتناعا بمذهب سقوط الانسان كما يتمثل فى قصة طرد آدم من الجنة وفسره على أساس نفسانى . ورأى فى سقوط الانسان رمزا لتلك النقطة فى تاريخ الانسان التى بدأ فيها وعيه بالذات يتكون وأصبح يدرك ان بإمكانه تحقيق الحرية والاستقلال . ولم يشغل باله كثيرا التفكير فى تلك المشكلة الميتافيزيقية الأبدية وهى وجود الشر والألم على الأرض . ويذكر ستيفن سبندر أن أودين ترك فيه أحيانا الانطباع بأنه يكاد أن يخلو تماما من أى احساس حقيقى بالخطيئة أو الذنب رغم أنه مافتىء يردد فكرة كيركجارد القائلة بأن الانسان خطاء يقف بخطاياه وحيدا فى حضرة الله ذى الجلال . ومن الغرابة بمكان أن عودته الى حظيرة الدين المسيحى لم تمنعه من الاستمرار فى ممارسة الجنس الشاذ . يقول ايشروود فى هذا الشأن إن أودين كان يدرك تماما أن الدين الذى اهتدى إليه يحرم الشذوذ الجنسى ولكنه لم تبدر عنه أية بادرة تدل على عزمه على الامتناع عن ممارسته . وتعبر احدى قصائده عن المفارقة التى ينطوى

عليها هذا الموقف المتناقض ففيها يورد الشاعر وهو نصف
جاد ونصف مازح عبارة القديس أوغسطين الشهيرة :
"اجعلنى طاهرا يا إلهى . ولكن الوقت لم يحن بعد .. ولعله لم
يشعر بأن هذا الموقف يتناقض فى أساسه مع الدين لأسباب
ثلاثة أولها انه رأى أن الجنس ليس من الأمور التى يستطيع
الانسان أن يتحكم فيها أو يسيطر عليها وتعبر احدى قصائده
عن هذه الفكرة ففيها يقول الشاعر إن الرجل منذ ولادته يشعر
أن قضيبه عضو منفصل عنه بمعنى أنه لايخضع لارادته .
يرجع السبب الثانى فى انفلاته الجنسى إلى إيمانه ، شأنه
فى ذلك شأن القديس أوغسطين ، (على عكس القديس
توماس الأكوينى : بأن خلاص الانسان لايتحقق نتيجة أفعاله
مهما كانت خيرة أو طيبة ولكنه يتحقق بسبب لطف الله
بعباده . أما السبب الثالث والأخير فيتلخص فى أن الله خلق
جسد الانسان وزرع فيه رغبات الجنس . ومن ثم فإن
الاستجابة لهذه الرغبات ليست سوى تحقيق لمشيئة الله .
وفى رأيه أنه من الهرطقة أن ننكر على الانسان العمل وفق
مشيئة الله . ويتمثل هذا الموقف فيما كتبه أودين الى شستر
حبيب قلبه . "إن الله شاء عن طريقك ان يظهر لى شفافيتى
الروحية" . وقد صرح أودين انه كان يفكر فى عشيقه تشستر
كالمان عندما سطر قصيدته "الوقت سوف لايقول شيئا وقد
أخبرتك بذلك" ، و "اقفز قبل أن تنظر" . وتدل هاتان
القصيدتان على محاولة الشاعر هداية تشستر إلى الدين
المسيحى . ولكن هذه المحاولة ذهبت أدراج الرياح لأن

تشستر اليهودى (الذى استبعد والده الدين من تربيته) رفض ذلك . ويعجب الدارسون من أودين عندما عاد الى المسيحية اختار الكنيسة الاسكوبالية مكانا لعبادته وليس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التى هفت إليها نفسه ، ويعزون ذلك الى حنينه إلى العودة الى الكنيسة الانجلو ـ كاثوليكية التى اعتاد أن يرتادها فى طفولته . فقد كانت الكنيسة الاسكوبالية . فى أمريكا أقرب الكنائس إلى الكنيسة التى اعتاد عليها فى طفولته . والجدير بالذكر أنه أظهر فى عقد الأربعينات نوعا من التعاطف على المذهب البروتستانتى المتطرف والمتشدد المعروف بالمذهب الكالفينى الجديد . وهو مذهب يؤمن بالجبرية وأن الله يعرف سلفا مصير كل أمرىء قبل ولادته . غير أنه مالبث أن تخلى شيئا فشيئا عن ايمانه بالكالفينية الجديدة واتجه الى فهم المسيحية على أنها تنعم كوني أو "رقصة كونية" على حد تعبيره فى قصيدة "صلاة الساعة الأخيرة" وبدأ يرى فى العقيدة المسيحية جانبا يهتم بما أسماه روح الكرنفال أى جانبا يعنى بالاحتفال والابتهاج . ويذكر واحد من أصدقاء أودين أنه قال له ذات مرة بمنتهى الجدية : "أحب أن أظن اننى لو لم أكن شاعرا لوددت أن أصبح أسقفا انجيليا على أمل أن أكون ليبراليا فى تفكيرى السياسى ولكننى أعرف ـ من الناحيتين اللاهوتية والطقسية ـ اننى سوف أكون محافظا" .

رحلة الى الشرق الأقصى ثم الولايات المتحدة :

فى عام ١٩٣٨ شد ويستان أودين وكريستوفر ايشروود رحالهما الى الشرق الأقصى حيث شاهدا الحرب الدائرة رحاها بين اليابان والصين . وفى هذه الرحلة الى الشرق الأقصى تركزت جميع أضواء الشهرة والاعلام على أودين بحيث ظهر إيشروود مجرد تابع يدور فى فلكه . ورأى أودين بعض القتلى بين الجنود الصينيين ، الأمر الذى دعاه الى تأليف بعض القصائد عن آثار الحروب المدمرة . وبوجه عام راقت له الصين ولكنه تحفظ على جو الغموض والأسرار الذى يحيط بالحياة فيها . وكعادتهما فى كل مكان يزورانه انتهز أودين وايشروود فرصة وجودهما فى الصين لممارسة الجنس الشاذ مع بعض الشباب المنحرف ممن يرتادون الحمامات العامة : ويذكر أن الناقد الكبير وليام إمبسون تصادف وجوده فى الشرق الأوسط وتعرض لضياع كل نقوده ، فالتجأ الى أودين الذى سارع بنجدته رغم انه لم تكن تربطه أية صلة ، الأمر الذى جعل أمبسون يشعر نحوه بالامتنان والعرفان بالجميل . هذا وقد كان أودين كريما وشهما يخف لمساعدة كثير من المحتاجين من معارفه .

وبعد الصين توجه أودين وايشروود الى اليابان حيث زارا طوكيو ثم غادرا الشرق الأقصى فى طريقهما الى زيارة الولايات المتحدة . غير أن موظف الجوازات والهجرة فى السفارة الأمريكية فى الصين اعترض على دخولهما الأراضى

الأمريكية بحجة أنه لايوجد اى سبب مقنع لمنحهما تأشيرة دخول إليها . ولكن رفضه سرعان ماتحول الى قبول عندما ذكرا له انهما على علاقة بالسفير البريطانى فى الصين . وبمجرد وصولهما الى أمريكا استقبلهما جورج دافيد رئيس تحرير مجلة بازار هاربرز صديقهما القديم وأحد شواذ الجنس . وأراد جورج دافيز أن يكرم وفادتهما فأمدهما ببعض الغلمان . ولم تدم رحلتهما الى أمريكا أكثر من أسبوعين عادا بعدها الى انجلترا . ثم سافر أودين بعدها بوقت قصير إلى بروكسل حيث عكف على كتابة بعض القصائد من الصين اشترك بها مع كريستوفر ايشروود فى تأليف كتاب بعنوان "رحلة الى الحرب" (١٩٣٩) . وفى بلجيكا ارتبط أودين بعلاقة شاذة مؤقتة مع شاب أشار إليه باسم "جاك الصغير" . وفى تلك الفترة من حياته الف سلسلة من السونيتات تحمل عنوان "زمن الحرب" . وتعرض هذه القصائد للتاريخ الانسانى على نحو متشائم فقد خلص الى نتيجة قاتمة مفادها أن الجنس البشرى ليس منه رجاء وأن التاريخ يخيب الظنون والآمال على الدوام .

ويلاحظ الدارسون أن أودين لم يعرف الاستقرار بعد تلك الحياة الرعوية الهنيئة التى عاشها كمدرس بمدرسة داونز . فقد أخذ يجوب البلاد الأوربية لعله يهتدى الى مذهب فكرى يعوضه عن فقدان الايمان بمذهب هومرلين ولايارد ود . هـ لورانس الذى ينادى باستئصال شأفة الكبت والعقلانية وبضرورة اطلاق الانسان العنان لغرائزه وفطرته السليمة . ولم

تكن أسفاره الى ايسلندا وأسبانيا والصين الا محاولة من جانبه الى الاهتداء الى بديل يحل محل معتقداته السابقة فعندما سافر الى ايسلنده كان الأمل يحدوه الى أن ينأى بنفسه عن الحضارة الأوربية التى أصابها السقم حتى يتمكن من النظر اليها بحياد وموضوعية . ولكن أسفاره الى هذه البلاد جعلته يدرك انه ليس من السهل عليه أن يقطع الوشائج المتينة التى تربطه بأوربا وثقافتها .

حتى رحلته إلى أسبانيا للاشتراك فى الجانب غير العسكرى من الحرب الأهلية الأسبانية باءت بالفشل والاخفاق ثم جاءت تجربته الصينية لتؤكد فشل الحياة الانسانية برمتها . ومعنى هذا أن المجتمع الأوربى ومجتمعات الشرق الأقصى اصابته بخيبة الأمل التى أصابه المجتمع الانجليزى بها . لقد ظل أودين حتى عام ١٩٣٧ متفائلا يحلم بمشاركة الشاعر فى مجتمعه . ولكنه لم يمض عام واحد حتى تخلى عن تفاؤله . ففى قصيدة ألفها فى خريف عام ١٩٣٨ بعنوان "الرياض : كلام بالأمثال" نراه يعبر عن تشاؤمه ويأسه من اصلاح حال أوربا . فلا غرو أن يمم نظره شطر عالم جديد الا وهو الولايات المتحدة . ورغم ادراكه منذ البداية انها ليست الجنة الموعودة التى تداعب خيال الحالمين فإنها على اقل تقدير قادرة على أن تطرح أمام مواطنيها مجموعة من الخيارات يمكن الانتقاء منها . وهكذا تحول أودين اليسارى الثورى الى انسان ليبرالى محافظ ، وأدت خيبة أمله فى العالم الى فقدان اهتمامه بالسياسة . وفى تصديره للقصائد

المختارة التى ضمها ديوانه "كتاب اوكسفورد للشعر الخفيف" (١٩٣٨) عبر الشاعر عن سخطه على المجتمع الصناعى الذى يصيب الشعر الذبول فالشعر فى رأيه لم يزدهر الا فى المجتمع السابق على التصنيع الذى كان مجيئه سببا فى انفصام الشاعر عن المجتمع الانسانى بحيث أصبح لايخاطب الا عددا محدودا من الناس الذين يشاركونه خلفيته الثقافية فى حين أن الشاعر فى المجتمعات السابقة على التصنيع استطاع أن ينفذ بشعره الى كل الناس .

وعندما عرف الأديب جون ليمان الذى كان يتولى آنذاك الاشراف على دار هوجارث للنشر أن صديقيه ايشروود وأودين فى طريقهما الى الهجرة للولايات المتحدة طلب منهما تأليف كتاب رحلات عن أمريكا يماثل الكتاب الذى ألفاه عن الصين . وفى ديسمبر ١٩٣٨ سافر أودين الى فرنسا ليلقى محاضرة عن "مستقبل المسرح الشعرى" فى جامعة السوربون . ثم سافر بعدها مرة أخرى إلى بلجيكا ليجد عشيقا آخر اسمه بيير اضافه الى قائمة غلمانه الطويلة .

عاشق الروح أم عاشق الجسد :

فى ١٨ يناير سافر أودين وايشروود بالقطار الى ميناء ساوثهامبتون بانجلترا ليستقلا الباخرة تشابلين المتجهة الى أمريكا . وكان أ . م . فورستر فى وداعهما مثلما كان فى وداعهما عند سفرهما الى الصين .

وفي مدينة نيويورك شاءت الأقدار أن يلتقى شاعرنا بشاب يدعى شستر كولمان كان السبب فى تغيير مجرى حياته تغييرا كاملا . فقد وقع أودين فى غرام هذا الشاب من أول نظرة . وهو غرام قل أن نجد له نظيرا فى تاريخ الآداب العالمية كلها . فقد تحول هذا العشق فى نهاية الأمر الى علاقة روحية مجردة تقوم على الايثار والتضحية بالنفس والنفيس من أجل عيون المحبوب . وهو عشق داهم أودين دون سابق انذار ونزل عليه نزول الصاعقة وتبدأ القصة الغريبة والشاذة على النحو التالى :ـ

فى مساء يوم ٦ أبريل ١٩٣٩ اقامت منظمة أدبية يسارية تدعى جماعة الكتاب الأمريكيين بدعوة نجوم الأدب الانجليزى فى الثلاثينات وهم أودين وايشروود ولويس ماكنيس للحديث فى ندوة بدأها الشاعر ماكنيس بقراءة بعض فقرات مؤلفه "صحيفة الخريف" . ثم تحدث ايشروود الى الحاضرين عن الرحلة التى قام بها مع أودين الى الصين . وعندما جاء دور أودين أخذ يتلو من مخطوطة أبيات مرثية كتبها عن الشاعر الأيرلندى الكبير دابليو د . بيتس . وحضر الندوة مجموعة من طلبة كلية بروكلين تولت اصدار مجلة أدبية اسمها الأوبزرفر . وكان على رأس هذه المجموعة شابان هما والتر جيمس ميلر وتشستر كولمان . وراقت وسامة ميلر فى عين شاعرنا . وبعد انتهاء الندوة سعى ميلر الى ايشروود ليناقشه فى موضوع المسرح الشعرى . ومن جانبه سعى تشستر الى أودين طالبا منه تحديد مقابلة معه لاجراء حديث ينشره فى مجلة الكلية

وعندما حدد له أودين الموعد المطلوب كان يأمل أن يحضر تشستر بصحبة زميله الوسيم ميلر . ولكن تشستر خيبب أمله فقد حضر لاجراء المقابلة بمفرده . وفى بادىء الأمر لم يرق تشستر فى عين أودين الذى بدأ الضيق والضجر يعترياه وخاصة لأنه كان يتهيأ لاستقبال بعض الضيوف من بنى جلدته الوافدين من انجلترا ولاحظ شاعرنا أن تشستر يملك وجها ملائكيا وشهوانيا فى آن واحد .

كان تشستر شديد الاعتداد بالنفس ويعتبر نفسه ندا لأودين من الناحيتين الفكرية والثقافية . وشجعه على هذه الثقة الغريبة بالنفس انه استطاع فى سن السادسة عشرة أن يلتحق بكلية بروكلين بسبب نبوغه الدراسى . وكانت كلية بروكلين آنذاك لاتقل فى مستواها العلمى عن كليات جامعة هارفارد العريقة . وزاد من ثقة الغلام بنفسه أن والده وهو طبيب أسنان يهودى ناجح لم يشجعه على حب الفنون والآداب والموسيقى فحسب بل قدمه أيضا الى نفر من كبار المثقفين من معارفه وأصدقائه . وأثناء المقابلة بلغ الضجر بأودين مبلغا جعله يتمنى لو أنه استطاع التخلص من الغلام قبل وصول ضيوفه ولكن حماس أودين سرعان ما اشتعل فجأة عندما تطرق الحديث الى الأدب الانجليزى . فقد أشاد تشستر فى معرض حديثه على نحو عابر الى شاعر انجليزى غير معروف من شعراء عصر النهضة هو توماس دوجرز كان أثيرا الى قلب شاعرنا . وعلى الفور وفى غمرة حماسه نسى أودين نفسه وضيوفه الذين كان ينتظرهم وطلب من تشستر .. البقاء

لتناول الشاى معهم . ودون أن يدرى وجد أودين نفسه متيماً بهذا الغلام المليح الذكى الذى لايتجاوز الثامنة عشرة من عمره وفى اندفاعه الملتاث فى حب هذا الغلام أقسم على الزواج به مثلما يتزوج الرجل بالمرأة فاشترى دبلتين من الذهب ألبس احداهما فى أصبع الغلام . واعتاد الخروج مع تشستر الى الفنادق والظهور معه فى الأماكن العامة واصطحابه الى دار الأوبرا فى نيويورك مرة كل أسبوع . وبسبب الآلام في قدميه كان يقوم بخلع حذائه في دار الأوبرا وسط دهشة علية القوم وسيدات المجتمع الراقى . وعندما اشتد به ألم القدمين لم يجد حرجا في أن يذهب الي صحن الجامعة ويحاضر فيها وهو يلبس (زنوبة) . أحب أودين الموسيقى وخاصة موسيقى موزارت وفاجنر ولكن الأوبرات لم تكن تروق له فقد كان يعتبر أنها تقل فى قيمتها عن الباليه والسيمفونيات . ولكن تشستر الذى عشق الأوبرات استطاع أن يحببه فيها ويجعله من غلاة المتحمسين لها وخاصة الأوبرا الايطالية بوجه عام وأوبرا فيردى بوجه خاص . وتحت تأثير تشستر ومرحه بدأ أودين يتخلى عن جهامته وصرامته وأصبح لا يستغني عن صحبته . فعندما اضطره السعى . للرزق الى التدريس فى ولاية ماساشوتس لمدة أربعة أسابيع داوم الكتابة الى الغلام رغم قصر فترة غيابه عنه .

لم يكن الدكتور ادوارد كولمان والد تشستر بالرجل الساذج أو البسيط فقد أدرك منذ البداية السبب فى الصداقة التى ربطت بين ابنه وبين أودين الذى يكبره بنحو أربعة عشر

عاما . غير أن براجماتيته ونظرته العملية الى الحياة دفعته الى أن يأخذ العلاقة بينهما على عواهنها وأن يقبل شذوذ ابنه على علاته . كل مافى الأمر أنه طلب أن يتوخى جانب الحيطة والحذر فلا يصرح بشذوذه أمام بوبى جدته لأمه التى ماتت عام ١٩٢٥ أو الى أى واحد من أفراد العائلة . ولم يعترض الدكتور كولمان على علاقة ابنه بالشاعر الذى ارتاح الى شخصيته واقتنع بأنها تجمع بين النبل والشرف . وساورت السيدة بوبى الشكوك فى العلاقة التى تربط بين حفيدها والشاعر ولكنها آثرت أن تلتزم جانب الصمت . وعندما بلغ تشستر السابعة عشرة من عمره فى عام ١٩٣٨ لاحظ أبوه أنه يخالط أشخاصا مريبين . وفى ذلك العام زار الدكتور كولمان فى عيادته رجل ثرى للغاية فى منتصف العمر اسمه روبرت كنج . وعقدت الدهشة لسان والد تشستر عندما فاتحه هذا الزائر فى رغبته فى أن يتبنى ابنه وأبدى استعداده لالحاقه بجامعة هارفارد واصطحابه فى رحلات الى أوربا . وبدهشة بالغة سأل الدكتور كولمان زائره :

ـ أنا لا أفهم . ولماذا تشستر بالذات ؟

فأجابه روبرت كنج قائلا :

ـ إننى أرغب فقط فى القرب منه وأن أسافر معه وأنام بجواره .. أنت تفهمنى . إننى أعرف ماهو لأننى نفسى أنتمى الى ذات النوع أيضا .

واستفسر الوالد المشدوه عما يعنيه كنج بهذا القول فرد عليه بقوله :

ـ إنه من شواذ الجنس . أرجوك اننى أعلم ماعسى أن تفكر فيه وأنا آسف لذلك . ولكن ليس بوسعك أن تفعل شيئا حياله مثلما لم يكن بوسع عائلتى أن تفعل شيئا حيالى .

وهنا كظم الوالد غيظه واصطنع الهدوء قائلا :

ـ كيف يمكنك أن تقول عنه مثل هذا الشيء ؟ كيف يمكنك القول إنك « تعرف » ؟ أنت تقول إنك شاهدت تشستر فى دار الأوبرا فلابد أن تكون قد رأيته هناك بصحبة فتاة . فهو دائما يذهب هناك بصحبة فتاة .

ـ لقد داومت على مراقبته كل أسبوع فى دار الأوبرا . وأنا أعلم أن الفتاة لاتعنى شيئا بالنسبة إليه ، فهى مجرد صديقة لا أكثر ولا أقل .

وهنا قال والد تشستر عن اقتناع :

ـ إننى على يقين من أن لتشستر علاقات نسائية مع سيدات متزوجات .

فالتزم كنج الصمت ثم استطرد محدثا الدكتور كولمان برقة :

ـ أنا رجل ثرى وباستطاعتى أن أفعل كل شيء من أجله . وعلى كل حال فلسوف يجد تشستر رجلا غيرى ، فما المانع إذن أن أكون هذا الرجل . دعنى أتبناه فهو لايزال حدثا صغيرا وأنا أريده . وسوف لاتتندم على ذلك . والواقع انه حدث ذات يوم أثناء وجود تشستر فى شقتى مع بعض أصدقائه بأنه التقى بابن أخى إليوت الذى جاء لزيارتى . وبدأ

تشستر يغازله لأنه وجد جاذبية فى ابن أخى . ولهذا قابلت المحامى الذى يتولى إدارة شئونى فى اليوم التالى وطلبت منه استبعاد ابن أخى من وصيته .

وفى هذه اللحظة تذكر الدكتور كولمان أن زوجته الثانية التى طلقها فيما بعد واسمها سيد سبق لها فى لحظة غضب وانفعال أن وصفت تشستر ابنه من زوجته الأولى التى توفيت عام ١٩٢٥ بأنه « زهرة البيت الساخن » كناية عن شذوذه الجنسى . تذكر الأب كلمات زوجته الثانية فلدغته كعقرب .

وبعد هذه المقابلة الغريبة انتحى الدكتور كولمان بابنه تشستر جانبا وواجهه بما قاله ضيفه غير المرغوب فيه . وطلب الأب من ابنه ضرورة مصارحته بالحقيقة . وهنا امتقع تشستر واصفر واخضر وحاول المراوغة . لكن الأب لم يسمح له بالتهرب من الاجابة وأصر على معرفة الحقيقة كاملة . فاضطر الابن الى الاعتراف بصدق ماقاله روبرت كنج عنه . وكان للدكتور كولمان صديق يثق فى كفاءته يعمل طبيبا نفسيا اسمه الدكتور ركس فعرض ابنه تشستر عليه ولكن تشستر توقف عن زيارته عندما عرف منه إنه لم يقرأ أشعار ت . س . اليوت .

وفى صيف ١٩٤٠ قرر أودين اصطحاب عشيقه الى ولاية نيو مكسيكو لقضاء شهر العسل فيها . وعند بلوغ تشستر العشرين من عمره فى ٧ يناير ١٩٤١ أقام والده وجدته لأمه بوبى حفلة عيد ميلاد حضرها أودين الذى كتب بهذه المناسبة

قصيدة بعنوان « إلى تشستر حولمان » كان الشاب تشستر يملك شخصية قوية وطاغية تبهر كل من يقترب منها وكان الجميع يخشون لسانه اللاذع ولكنهم فى نفس الوقت يستملحون نكاته الطلية . واستشعر المحيطون به بكل وضوح انه يرغب رغبة أكيدة فى تدمير ذاته . وفى طفولته مر تشستر بتجربتين كان لهما أسوأ الأثر فى حياته أولهما أنه أحب عمته سادى الى درجة الجنون . وحدث أثناء لعبه ورماحه الصبيانى معها أن طلب منها أن تعده بألا تتزوج سواه وأن تنتظره حتى يكبر . ولم تدرك العمة فى براءتها وهى تقطع على نفسها هذا العهد أن الطفل سوف يأخذ كل كلمة تتفوه بها مأخذ الجد . وحين رأى تشستر عمته تزف الى آرفنج عريسها أحس بأنها خانته وغدرت به وطعنته طعنة نجلاء فى قلبه . وتألم لذلك ألما ممضا فأخذ يصرخ ويرفص برجله كمن أصابه مس من جنون . ووجدت العائلة مشقة هائلة فى تهدئته . وأثناء حفل الزفاف ظل الطفل يراقص عمته حتى دب الاعياء فى أوصاله . فحملوه وأرقدوه لينام على سريره فلما استيقظ ولم يجد عمته فى البيت شعر أنها خدعته وغررت به . أما التجربة المريرة الثانية فتتمثل فى أن علاقته بسيد زوجة أبيه الثانية كانت بالغة السوء وظلت كذلك حتى آخر لحظة في عمره ورغم أن علاقته بأخيه غير الشقيق منها ظلت حتى النهاية ودية للغاية فقد كانت تسخر من اهتمامه بالأدب وشغفه بالموسيقى وتضيق ذرعا بتفوقه الدراسى . واذا كان مايقوله تشستر عنها صحيحا فهى امرأة شريرة تسقيه اللبن مخلوطا بالماء وتتعمد

تشغيل المكنسة الكهربائية حتى تفسد عليه سماعه للموسيقى والسيمفونيات وتنزع اللحم من ريش الخراف الصغيرة حتى لايجد ما يأكله سوى الدهن . فضلا عن أنها كانت ترميه بالشذوذ الجنسى وتصفه ـ كما أسلفنا ـ بأنه زهرة البيت الساخن .

يرى بعض الدارسين انه من الجائز أن حب تشستر الجارف لأبيه كان السبب فى ممارسته للمثلية . فقد اعتبر ان كل النساء فى حياة أبيه (وكان رغم زواجه ثلاث مرات زير نساء) ينافسه فى هذا الحب الذى أراد الاستئثار به دونهن ، الأمر الذى دفعه الى كراهية الجنس اللطيف . وهذا يتناقض تماما مع عقدة الشاعر أودين الذى تعلق بأمه تعلقا غير عادى . فقد عاش بمفرده معها أيام الطفولة لأن والده كان غائبا يحارب على جبهة القتال فى الحرب العالمية الأولى كما أن أخويه كانا غائبين عن البيت بسبب انتظامهما فى الدراسة بمدارس داخلية .

عندما ألبس الشاعر أودين الدبلة فى أصبع عشيقه تشستر توقع منه الوفاء والاخلاص الذى كان جزءا لايتجزأ من طبيعته . ولكن طبيعة تشستر كانت على النقيض من ذلك ، فهو مثل أبيه من النوع الذى يزهد فى كل ماتملكه يداه ويستغرق باستخفاف فى اللهو ولايتعب أو يكل فى تغيير عشاقه تماما كما كان والده يفعل مع عشيقاته اللاتى لم يمنعه زواجه من اللهو معهن .

وفى يوليه ١٩٤١ اكتشف أودين أن عشيقه يخونه مع شاب انجليزى اسمه جاك لانسنج تخرج فى جامعة أكسفورد . وهو ابن واحد من الجنرالات البارزين . وزاد من مرارة أودين وحسرته انه هو الذى استضاف هذا الشاب عند وصوله من انجلترا الى أمريكا ومد إليه يد العون . ولم يكن لانسنج فى بادىء الأمر يدرك أن تشستر تربطه علاقة جنسية بأودين . وانزعج انزعاجا شديدا عندما علم بذلك فقد كان لايحب أن يسىء الى أودين الذى أحسن اليه . وقرر حتى يخرج من هذه الورطة الابتعاد عن تشستر . وعندما نما الى علم شاعرنا أن عشيقه يخونه مع لانسنج أصابته الغيرة القاتلة وجن جنونه فتسلل الى غرفة نوم تشستر الذى كان يعيش معه تحت سقف واحد وانقض عليه وهو نائم وضغط بقوة على رقبته حتى يخمد أنفاسه .

ولكن تشستر الذى استيقظ مفزوعا من نومه استطاع أن يدفعه بعيدا عنه وينقذ نفسه من الموت المؤكد . وهكذا أوشك أودين أن يكرر نفس مأساة فيرلين الذى كاد أن يقتل رامبو لنفس السبب . وعندما عاد أودين الى صوابه ارتاع لما فعله . ومن ذلك الوقت تخلى نهائيا عن فكرة استحواذه على تشستر الذى شعر بأنه مسلوب الارادة أمامه . واكتفى بولهه لهذا الشاب الساحر ورغبته فى إسعاده حتى لو كان لايبادله نفس الشعور أو ينام معه فى فراش واحد .

لم تكن انحرافات تشستر الجنسية التى لاتنتهى وخياناته

لأودين التى لاتنقطع خافية على الدكتور كولمان ، وعبثا حاول الوالد أن يرده عن ذلك وأن يجعله يقيم علاقة ثابتة ومستقرة مع الشاعر ونصحه بالعودة الى أودين قائلا : « عد الى ويستان فهو رجل شريف ولن تجد أبدا صديقا مثله » . وواقع الحال أن شاعرنا كان يتلهف الى حياة عائلية مستقرة وعلاقات عاطفية ثابتة ولأنه كان لايهوى أحدا غير تشستر فقد أصبح تشستر بمثابة الزوجة التى يركن إليها وليست بالضرورة الشخص الذى يمارس الجنس معه . ومن ثم حرصه الشديد واصراره العجيب على ضرورة اخلاص تشستر له . وهى فكرة بدت أشد ماتكون غرابة فى نظر جاك لانسنج وتشستر نفسه . وفى ذلك الوقت كانت هناك سيدة واسعة الثراء أسمها كارولين نيوتن اعجبت بالشاعر وأغدقت عليه الهدايا القيمة والمال فكان يأخذ منها هذا المال لينفقه على تعليم تشستر واستكمال دراسته العليا فى الأدب الانجليزى بجامعة ميتشيجان . والجدير بالذكر أن شاعرنا كما سوف نرى كان يجرب الجنس الطبيعى مع النساء من وقت إلى آخر بجانب علاقته المثلية الراسخة .

وفى عام ١٩٤٣ التحق تشستر بجامعة ميتشيجان لاستكمال دراسته العليا فى الأدب الانجليزى ولكنه اخفق فى استكمال هذه الدراسة وعاد الى نيويورك بخفى حنين ليواصل العيش مع أودين الذى لم يبخل عليه بشىء رغم ضائقته المالية : فضلا عن أن أودين قبل الاضطلاع ببعض الأعمال التافهة حتى ينفق عليه . وفى جامعة ميتشيجان نجح تشستر

فى شيء واحد هو مخالطة أعداد هائلة من الشواذ الذين يلتقطهم من الشوارع والحانات . وكان أودين يحدوه الأمل أن يثوب تشستر الى رشده ويبتعد عن تلك الحثالة ويعود اليه . ولكنه كان يخذله باستمرار ويفضلهم عليه وهو خانع ذليل لايملك من أمره شيئا ، ويقدم إليه المال دون ضيق أو برم . ومن الخطل أن نعتقد أن تشستر كان لايروق فى عيون الحسناوات . بالعكس فقد كن يتهافتن عليه ويتمنين رضاءه عنهن ومن بينهن فتاة متعلمة اسمها مرى فالنتين . ورغم أنه عاملهن بأدب ورقة بالغة فإنهن عجزن عن أن يحركن ساكنا فيه . وكان تعلقهن به وحبهن له يزداد كلما ازداد صده الرقيق المهذب لهن .

استمرت علاقة تشستر بجاك لانسنج حتى خريف عام ١٩٤٢ وفى تلك الفترة غادر أودين مدينة نيويورك لممارسة التدريس في ولاية بنسلفانيا حيث أرسل فى طلب لانسنج لمقابلته هناك . ويتضح من هذه المقابلة أن شاعرنا من النوع الذى يتعامى عن الحقائق التى لاتروق له ولايرى غير مايريد رؤيته . يقول لانسنج عن هذه المقابلة أن أودين استقبله بأدب جم وتهذيب شديد وأنه أراد أن يطمئن منه إلى أن عشيقه لايعرف فى حياته من الرجال سواه ولانسنج . وخشى لانسنج أن يصارحه بطبيعة تشستر الماجنة الفاسقة التى تعرف عددا لايحصى من العشاق كما خشى أن تكون صراحته سببا فى الوقيعة بين أودين وغلامه ولهذا آثر المراوغة وقال للشاعر إن تشستر ـ بقدر علمه ـ لايعرف سواهما .

وصدق الشاعر هذه الاجابة وارتاح إليها فقد كانت الاجابة التي يحلو له سماعها . في حين أن الواقع بخلاف هذا تماما فقد كان تشستر يجد متعة في إثارة غيرة وتنافس العشاق عليه كما أنه كانت تحلو له خيانتهم في وجوههم وعلي عينك ياتاجر . فقد كان هناك جانبان في شخصيته المريضة جانب ماسوكي وجانب سادى . ويتمثل الجانب الماسوكى في رغبته في تعذيب نفسه وتدميرها ، في حين تتمثل ساديته في رغبته في تعذيب عشاقه . وفي فترة ابتعاد تشستر عنه تعرف أودين عام ١٩٤١ بعشيق مؤقت اسمه رويس واجونر كان طالبا في جامعة ميتشيجان . وعندما رأى جاك لانسنج أن تشستر نجح في أن يلطش من أودين هذا العشيق المؤقت خشى على الشاعر أن تعصف به هذه الخيانة الجديدة . ومن ثم حذر رويس واجونر ونصحه بالابتعاد عن تشستر رحمة بأودين فأوغر ذلك صدرى تشستر ورويس عليه فدسا له لدى أودين الذى أصبح يمقت رويس مقتا لامزيد عليه ولا يطيق سماع اسمه .

وفي العام الدراسي ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ قامت جامعة ميتشيجان بتعيين الشاعر استاذا زائرا بها ولعله أغرب تعيين يمكن أن يحدث في أية جامعة في جميع أنحاء العالم . فقد كان أودين وقحا وعارى الوجه على نحو لايصدقه عقل . فعندما أجرت لجنة الاختيار (المكونة من عميد الدراسات العليا ورئيس قسم اللغة الانجليزية وآدابها وثلاثة أساتذة آخرين) المقابلة مع أودين لاستيفاء اجراءات التعيين بهتوا عندما أعلن الشاعر بكل وقاحة وفي وجوههم أنه يحب الغلمان

وانه يتقدم لشغل الوظيفة بسبب حاجته للمال . ولم ينبس واحد منهم ببنت شفة ولم يسىء اليهم شذوذه بقدر ما أساءت اليهم صفاقته . وأيضا فى تلك الفترة تقرب منه طالب وسيم فى السابعة عشرة من عمره يقرض الشعر اسمه بيتر هانس نشأت بينهما علاقة شاذة لم يقيض لها أن تدوم وانتهت الى الفشل .

وفى حياته اللاهية العابثة لم يتعظ تشستر بدروس الماضى فقد دأبت حثالة المجتمع فى الشوارع والبارات الذين يمارسون الشذوذ الجنسى معه فى مغافلته وخاصة وهو مخمور وسرقة كل مافى جيبه وتركه على الحديدة . فلايجد من يخف لنجدته سوى العاشق الولهان أودين . وأحيانا كان نفس الشخص يستغفله عدة مرات متلاحقة ففى ربيع عام ١٩٤٤ التقطه هذا الشاب المستهتر بحارا رافقه الى منزله . فلما أفاق من سباته اكتشف ان كل نقوده قد سرقت منه . وعندما عاد إليه البحار فى الأسبوع التالى سامحه واصطحبه الى منزله حيث سرق منه هذه المرة شيكا باسمه نجح فى صرفه بعد أن قام بتزوير توقيع تشستر ، وبدلا من تبليغ البوليس نراه يعفو عنه ويصحبه معه الى البيت ليسرق منه الألة الكاتبة فى هذه المرة الثالثة ، وكان الحثالة من مخالطيه لايكتفون بسرقته بل كثيرا ماكانوا يضربونه ويعتدون عليه والغريب ان ماسوكية تشستر والجانب الأنثوى فى شخصيته كانا يختفيان فى حضرة النساء ويظهران فقط فى حضرة هذه الحثالة . والغريب أيضا أن مالا يقل عن عشر نساء اعترفن بأنه مارس

الجنس الطبيعي معهن . وهو نفس الشيء الذى نجده فى مسلك أودين . فبعد أن وضعت الحرب الثانية أوزارها كان أودين على علاقة جنسية بامرأة على وشك الطلاق من زوجها اسمها رودا جاف تعشق اقتناء القطط السيامية وتعترف هذه المرأة بفحولة الشاعر فى الفراش . ويبدو أن هذه العلاقة التى انتهت نحو عام ١٩٤٧ بعد أن دامت أكثر من عام لم تكن مرضية له . فقد كتب يقول : « لقد حاولت أن تكون لى علاقة بامرأة ولكنى أخطأت خطأ جسيما . بل انها كانت خطيئة فهى لم تؤثر فى علىَّ الاطلاق وشعرت أنى أغش نفسى وأغش الآخرين . ويذهب الدارسون الى أن شخصية روزيتا فى قصيدته الهامة للغاية « عصر القلق » تمثل عشيقته رودا ، ورغم انصرافه من عشقها فقد ظلت العلاقة بينهما ودية .

وفى نهاية الحرب الثانية أخذت أحوال شاعرنا المالية فى التحسن وفكر فى شراء منزل يستقر فيه بعد أن تعب من حياة التجوال والتنقل . وراق فى عينيه وعينى الدكتور كولمان منزل قديم جميل تحيط به الأشجار . وغاب عن بالهما سوء حالته وحاجته الشديدة الى كثير من الترميم . واشترى أودين هذا المنزل العتيق وكتبه باسم كولمان وابنه تشستر مقابل ايجار تضاف اليه الفوائد المعتادة ، الأمر الذى جعل كولمان يشعر بامتنانه الشديد لاريحية هذا الشاعر . غير أن سوء حالة المنزل دفعت أودين فى النهاية الى بيعه بسعر يقل عن سعر شرائه بألف دولار . وأودع الشاعر ثمن البيت باسم تشستر حبيب القلب .

وبحلول عام ١٩٤٨ تخلى أودين تماما عن أى أمل فى الاستحواذ بمفرده على تشستر واستسلم استسلاما كاملا لكل أهوائه الملتاثة التى جعلته عاجزا تماما عن الانتظام فى أى عمل ، الأمر الذى جعله باستمرار عالة على الشاعر . ففى عام ١٩٤٧ على سبيل المثال وجد تشستر عن طريق صديق له وظيفة بالأمم المتحدة لم يعمر فيها طويلا بسبب كثرة تغيبه . فقد كان يكفى أن يقابل فى المواصلات العامة رجلا من جنسه يروق له حتى ينسى نفسه وينسى عمله وينزل من القطار لملاحقته ويجرب حظه معه . وكانت أحيانا تنتابه نوبات كآبة شديدة تعين على شاعرنا الولهان أن يصبر عليها حتى تنقشع .

وفى خريف ١٩٤٧ نجح أودين فى ايجاد عمل يتفق مع مشارب تشستر وعشقه للأوبرات والموسيقى الكلاسيكية . فقد عرض عليه الموسيقار سترافنسكى أن يؤلف كلمات نص أوبرالى أو ليبرتو كان يزمع تلحينه بعنوان « الهبوط الى الحضيض » واقترح أودين أن يشترك تشستر معه فى تأليف الليبرتو فاعترض سترافنسكى على ذلك . ولكن أودين استطاع ان يقنعه بموهبة تشستر الفذة وفهمه العميق للموسيقى ، فقبل اشراكه فى العمل . وفى فبراير ١٩٤٨ انتهى أودين وتشستر من كتابة الليبرتو المطلوب . ولم يكن هذا ممكنا لولا اندامجهما الروحى الكامل . وفى ابريل من نفس العام ابحر العاشقان إلى أوربا وانتهز الشاعر هذه الفرصة لزيارة والده بصحبته تشستر . فاستنفر منظر هذا

العشيق مشاعر الأب ونكأ جراحه فتفوه بصوت مسموع ببعض الألفاظ الجارحة له ، بالاضافة الى توجيه الشتائم والاهانات الى اليهود . ثم سافر العاشقان بعد ذلك إلى نابولى بايطاليا حيث أقلتهما المعدية الى جزيرة صغيرة خلابة اسمها اسكيا اشتهرت بأنها الملاذ الذى يلجأ اليه شواذ الجنس من انجلترا وامريكا وسائر انحاء أوربا . ووجد بعض أهل الجزيرة فى هذا الرقيق الأبيض تجارة رابحة فلم يتورع غلمانهم وأطفالهم من بيع أجسادهم للزوار الأجانب ولم تكن المناظر الخلابة فى اسكيا هى التى أغرت أودين وتشستر بزيارتها على نحو متكرر بل كان السبب فى ذلك انخفاض قيمة الليرة الايطالية مما جعل نفقات المعيشة فيها زهيدة للغاية . ناهيك عن الفتنة التى تميز بها الغلمان الايطاليون هناك . وكان لميكانيكى الجزيرة غلام فى نحو التاسعة عشرة من عمره ارتضى أن يستجيب لنزعاتهما الشاذة مقابل أجر يتقاضاه منهما . والغريب كما أسلفنا أن شاعرنا لم يجد أدنى تعارض بين ممارسة اللواط وممارسة الشعائر الدينية . فقد كان فى الجزيرة كنيسة كاثوليكية اعتاد أودين الذهاب إليها بانتظام حيث مارس فيها طقوس العبادة الكاثوليكية الأثيرة الى قلبه بما فيها من كثرة النهوض والركوع .

وبعد جزيرة اسكيا الايطالية عاد أودين فى نفس عام ١٩٤٨ إلى أمريكا للتدريس فى المدرسة الجديدة للأبحاث الاجتماعية فى حين سافر تشستر إلى فرنسا لبعض الوقت . وفى أثناء سفره الطويل بالبحر أحس شاعرنا انه لايقوى على

فراق حبيبه فظل يكتب اليه من فوق ظهر الباخرة التى تقله الخطاب تلو الخطاب معبرا عن اشتياقه اليه ولهفته على معرفة أخباره ورغبته فى الاطمئنان عليه . وزاد من لوعته أن روحه تلظت من ألم الفراق . فقد أصبح حبه لتشستر بمرور الوقت حبا روحيا خالصا لاشأن للجسد فيه . وقد كتب أودين فى ٢١ فبراير ١٩٤٩ يصف تشستر بأنه « الرفيق الوحيد الذى لاتستطيع حياتى غير الجنسية الاستغناء عنه » .

وعبثا حاول أودين تحفيز تشستر إلى الاعتماد على نفسه فى كسب رزقه . فقد تعمد فى بادئ الأمر أن يقرضه المال بصفة سلفة يتعين عليه ردها إليه . ولكن هذه السياسة لم تجد معه فتيلا ، الأمر الذى أضطر الشاعر الى الاستسلام لمطالبه دون قيد أو شرط ، فضلا عن إرسال طرود الأطعمة اليه فى فترات إقامته بمفرده فى أيطاليا حيث انتهج نفس السياسة الماجنة الفاسقة التى سبق أن انتهجها فى نيويورك . فهو كالعادة يخرج الى الشوارع ويرتاد الحانات والبارات ليلتقط فى آخر الليل حثالة البشر الذين يرافقونه إلى منزله ويمارسون الجنس الشاذ معه فإذا صحا من سكرته وجد ان كل نقوده قد سرقت منه وأنه أصبح خالى الوفاض . وكثيرا ما كان تشستر يحرج أودين بالاقتراض من أصدقائه وعدم سداد الديون عليه ، الأمر الذى أوجب على الشاعر الوفاء بهذه الديون . ومما زاد الطين بلة أن كثيرا من معارف أودين لم يتورعوا عن استغلال طيبته ورقة قلبه . وبعث تشستر الى الشاعر يبلغه عزمه على الرجوع من ايطاليا الى أمريكا فى ٢٩

ديسمبر ١٩٤٨ فتهلل أودين وغمرت الفرحة العارمة قلبه . ولكن تشستر أرجأ عودته أكثر من مرة دون أدنى اكتراث بمشاعر عاشقه ، الأمر الذى أضنى فؤاده وزاده ايمانا ـ مثل شاعره المفضل توماس هاردى ـ بأن الدنيا تقبل على الخسيس وتولى ظهرها للأصيل .

والجدير بالذكر أن الفترة التى جرب فيها أودين معاشرة النساء امتدت من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٨ أقلع بعدها نهائيا عن الممارسات الجنسية السوية ، ورغم حبه الروحى الجارف لتشستر فإنه مارس الجنس الشاذ مع غيره من الغلمان وخاصة بعد أن أصبح على وعى كامل بخيانة تشستر له . ففى الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٣ أقام علاقة مثلية مستقرة مع دارس للموسيقى اسمه كيث كالاهان الذى بلغ ادمانه للخمر مبلغا جعل معهد الموسيقى الذى يتلقى فيه تعليمه يقوم بطرده . وكعادته خف أودين لمساعدته فبحث له عن مدرس موسيقى خاص أجزل له العطاء حتى يواصل كالاهان دراسته الموسيقية على يديه . ورغم صدود تشستر الجنسى عن أودين فإنه لم يفكر قط فى اصطحاب كالاهان فى أسفاره مثلما فعل مع تشستر . وعندما توطدت علاقة الشاعر بعشيقه الجديد كالاهان أسر اليه بحقيقة مشاعره نحو تشستر فقال أن علاقته بتشستر اشبه ماتكون بعلاقة زوجية راسخة ودائمة ومستقرة رغم خلوها من الجنس . وأصبح شاعرنا عاجزا عن الاستغناء عنه وخاصة بعد أن جمعت بينهما كتابة ليبرتات الأوبرات . وسارت حياة أودين على النحو التالى : فى

لربيع والصيف يسافر برفقة تشستر الى أوربا ثم يسافر ودين بمفرده فى الخريف والشتاء الى نيويورك حيث يكد رينصب ويجمع المال من أجل معاشه ومعاش تشستر . وليس دل على اهتمام شاعرنا الشديد بالعلاقات الاسرية المستقرة تقديسه لها من أنه استطاع ـ رغم شذوذه الجنسى ـ أن يقيم لاقات صداقة وطيدة مع بعض العائلات المتماسكة دامت لى مر الأيام . وأنست اليه بعض الأسر المحترمة فطلبت منه ن يصبح أبا روحيا لأطفالها الحديثى الولادة الذين سموا اسمه . فضلا عن أنه اعتبر انجاب الأطفال ضرورة لاغنى نها لتعمير الأرض واستمرار الحياة فيها . بل أنه أثناء إقامته جزيرة اسكيا الايطالية عرض على امرأة ان تتزوجه كى جب له طفلا . لم يمنع اتمام الزواج إلا أن المرأة رفضت ا العرض . والجدير بالذكر أن تشستر شاركه حبه العميق لأطفال ولكنه فاق أودين فى قدرته الفذة على مداعبة الأطفال لتعامل معهم بسهولة ويسر .

ويبدى كالاهان بعض الملاحظات ذات الدلالة من بينها مان أودين فى فترة من حياته بالسحر وأثره فى حياة ياس . (وهو ايمان استمده من تأثره الشديد بالشاعر يرلندى بيتس) . ويستشهد كالاهان على ذلك بأن أودين بتمزيق صورة تشستر وهو عريان الى قطع صغيرة ثم تجميعها ولصقها ليعيدها إلى أصلها وهى عادة منتشرة الشعوب البدائية المؤمنة بالسحر حين تلجأ الى الانتقام أعدائها . ويلفت كالاهان نظرنا كذلك الى جانب عجيب فى

نفسية أودين الذى لم يمانع فى أن يخونه كالاهان أو أى عشيق آخر طالما أنها خيانة عابرة . ولكنه كان يتأزم نفسيا عندما يدرك أن مثل هذه الخيانة تنطوى على حب حقيقى ودائم .

يقول إرفنج ويس الذى عرف أودين عن كثب وكان يزوره في أوقات متفرقة ومفاجئة انه لفت نظره فى علاقة الشاعر بتشستر إنها علاقة متينة وراسخة بدأت بالجنس ثم تحولت الى فهم روحى وفكرى ووجدانى متبادل وعميق . ويؤكد ارفنج أن تشستر لعب دورا هاما فى تشكيل ذوق الشاعر الموسيقى . ولم يقتصر التعاون بينهما على تأليف كلمات الأوبرات فحسب بل فى ترجمة بعضها أيضا . ورغم ذلك ظل أودين مقتنعا بأن الاوبرات ينبغى أن تغنى بلغاتها الأصلية وليس من خلال الترجمات . اشترك أودين وتشستر فى ترجمة ليبرتو أوبرا « الناى السحرى » التى عرضها التليفزيون الأمريكى عام ١٩٥٦ وليبرتو « دون جيوفانى » لموزارت وليبرتو « الخطايا السبعة المميتة » و « صعود وسقوط مدينة الماهاجونى » لبرتولد بريخت . والجدير بالذكر أن إعجاب أودين وبريخت كان متبادلا فقد قام أودين بترجمة بعض أعمال بريخت من الألمانية الى الانجليزية . غير أن بريخت أظهر امتعاضه الشديد من الثياب الزرية التى يرتديها الشاعر الانجليزى . وقد قام تشستر بمفرده بترجمة بعض الليبرتات الأخرى كما أنه نظم عددا من القصائد التى امتدحها أودين وساعده على تنقيحها ونشرها فى ثلاثة دواوين هى « عاصفة

في كراستلفرانكو » (١٩٥٦) و « الغائب الحاضر » (١٩٥٧) و « الاحساس بالمناسبة » (١٩٧١) .

وبقدر ماكان تشستر بوهيميا يرفض الخضوع لأى نوع من أنواع النظام بقدر ماكان أودين يحيا حياة النساك والرهبان من حيث التزامه الصارم والدقيق بروتين حياة يومى لايحيد عنه قيد أنملة . فهو يستيقظ قبل الساعة السادسة صباحا ويأوى الى فراشه مبكرا بين التاسعة والعاشرة مساء . وينقطع للكتابة من الصباح حتى الظهر لدرجة انه يرفض في تلك الاثناء الرد على التليفون . والغريب أنه بحلول الساعة الثالثة بعد الظهر كان يلازمه شعور بالكآبة لم يجد له تفسيرا سوى أن تلك الساعة بالذات كانت تذكره بالساعة التى مات فيها السيد المسيح . فلا غرو إذا رأيناه يؤلف عام ١٩٥١ ديوانا بعنوان « صلاة الساعة الثالثة » والذى لاشك فيه أن انتظام حياته فى مثل دقة الساعة زاد من غزارة انتاجه الأدبى . ولكن هذا الانتظام لم يمنع من تعرضه لتقلبات المزاج . فقد كان أحيانا يبدأ يومه بمزاج متعكر فيقول : « إن مزاجي معتل اليوم » وهو فى مثل هذه الحالة يصبح انسانا يستحيل التعامل معه . وكان بطبيعته يجنح الى الانفراد بنفسه ، الأمر الذى بث الرهبة منه حتى فى القدامى من أصدقائه . وقد وصفه واحد منهم بأنه « وحش ولكنه وحش حبيب الي النفس » وعلى النقيض من ذلك كان كريستوفر ايشروود لطيف المعشر ورقيق الحاشية يتعامل مع الناس بألفة ويسر . وعلى أية حال كان تشستر الشخص الوحيد

الذى يمكنه أن يتعامل معه عندما تصيبه نوبات اعتلال المزاج .

وبعد حياة شاذة هنيئة قضاها أودين وتشستر فى جزيرة اسكيا الايطالية أصبحت هذه الجزيرة بمضى الوقت مصدرا للازعاج والمضايقات وخاصة بعد افتضاح أمرهما . ففى عام ١٩٥٢ اكتشف أودين أن بعض أهالى الجزيرة دسوا سما زعافا لقطته لوسيا فحزن على وفاتها حزنا شديدا . وبدأت المشاكل تتفاقم عندما قرر ساندو عشيق تشستر الايطالى أن يتزوج من فتاة أحلامه وكعادة الكاثوليك فى الاعتراف قبل الزواج اعترف ساندو لقسيس الجزيرة بممارساته الشاذة مع تشستر وعبر عن ندمه وتعهد بالاقلاع النهائى عنها . وأيضا بدأت المشاكل مع أودين عندما احتدم الخلاف فى شتاء ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ مع جيوكوندو خادمه الايطالى الذى عهد اليه بمهمة رعاية منزله فى اسكيا فى فترات غيابه . وكان من عادة أودين أن يرسل الى هذا الخادم من نيويورك شيكا بالأجر المحدد له . ويبدو أن الشاعر أخطأ ذات مرة وأضاف صفرا الى قيمة الشيك . وحاول جيوكوندو صرف الشيك ولكن البنك رفض لأن رصيد أودين فيه ليس كافيا . وعندئذ طاش عقل جيوكوندو الطماع الذى بدأ يذيع اسرار البيت والأعمال الشائنة التى تجرى فيه . بل إنه ذهب الى حد التلميح بأن المبلغ الكبير المكتوب فى الشيك ليس سوى مكافأة له من الشاعر الكبير نظير « خدمات خاصة » قدمها إليه بحسن نية وطيبة قلب . بالنظر الى صغر مساحة الجزيرة وتردد بعض

كبار الشخصيات الانجليزية عليها فاحت رائحة فضائح تشستر وأودين الذى كان آنذاك فى ذروة مجده الأدبى تتهافت الدوائر العلمية والأدبية على تكريمه . ومن أهم مظاهر هذا التكريم حصوله عام ١٩٥٧ على جائزة فلترنيللى البالغ قيمتها ثلاثين ألف دولار . وخطر للشاعر أن يشترى المنزل الذى عاش فيه مع عشيقه تشستر فى جزيرة أسكيا . ولكن صاحب البيت أصابه الجشع عندما علم بأمر الجائزة المالية الكبيرة التى حصل عليها فطلب ثمنا باهظا لايتناسب مطلقا مع قيمته الحقيقية . ولهذا عدل أودين عن شرائه وخاصة لأنه أصبح مستهدفا بسبب اللغط الذى ثار حوله وحول تشستر وقرر شاعرنا ان يستقر مع تشستر فى النمسا حيث أخبرهما صديق لهما بوجود منزل تحيط به حديقة واسعة غناء معروض للبيع فى قرية كيرخسنتين التى تبعد سبعة وعشرين ميلا عن غرب العاصمة فيينا . فتقدم الشاعر عام ١٩٥٨ لشرائه باثنى عشر ألف دولار ثم عمل على تحديثه وادخال كثير من التحسينات ووسائل الراحة عليه . ودرج الشاعر بصفة منتظمة وحتى وفاته عام ١٩٧٣ على قضاء فصلى الربيع والخريف فيه . وغمرت السعادة العارمة فؤاده عندما آلت إليه ملكية هذا المنزل لدرجة أنه نظم قصيدة شكر لله لما أسبغه عليه من نعماء . وكثيرا ما أشار فى قصائده الى تلك القرية النمساوية التى اختارها مستقرا له حيث عاش وسط احترام وتبجيل أهل القرية الذين أطلقوا اسم الشاعر على الشارع الموصل الى بيته . وهناك أيضا واظب على الذهاب الى

الكنيسة الكاثوليكية لحضور القداس الباكر . وعند وفاته ورى الثرى في فناء هذه الكنيسة

قلنا إن حياة أودين مع تشستر كانت أقرب إلى الحياة الزوجية سواء كانت فى نيويورك أو ايطاليا أو النمسا . فأودين هو رجل البيت الذى يكد ويكدح من أجل الحصول على الرزق ، فى حين يسهر تشستر على راحته يدير شئون البيت ويشترى لوازمه ويطبخ ويرد على التليفونات التى لاينقطع رنينها والتى لم يشأ رب البيت أن يرد عليها . كما أن تشستر تولى ابعاد الفضوليين والزوار المزعجين عنه . وعلقت احدى الصديقات على العلاقة الحميمة بينهما بقولها إن أية علاقة زوجية ناجحة لايمكن أن تكون أسعد من هذه العلاقة . ولو أن تشستر قبل أن يشاركه ممارسة الجنس لاكتملت سعادته . وليس فى مقدور الدارسين أن يعطونا تفسيرا معقولا أو مقبولا لاصرار تشستر على الامتناع عن معاشرة أودين بالذات فى حين أن سفاهاته الجنسية لاتحصى ولاتعد . ويدل غرام الشاعر بتشستر علي أن عواطفه الجنسية ظلت غير ناضجة لاتتجاوز مرحلة-المراهقة : فقد عجز ارتباطه المؤقت والعابر بعدد من العلاقات الجنسية الشاذة أن يعوضه عن حبه الرومانسي الدائم والمقيم لتشستر .

وفى الخمسينات تعرف أودين بطبيب باطنى اسمه دافيد بتروتتش ارتاح اليه وجعله صديقه وطبيبه الخاص . ويقول البعض أن السبب الحقيقى فى ارتياح الشاعر اليه يرجع الى أن هذا الطبيب مكنه من الحصول على كميات كبيرة من مادة

البندرزين المخدرة التى كان يتعاطاها بانتظام والتى كان لايستطيع الحصول عليها بسهولة أثناء إقامته فى أوربا . وقد أهدى أودين الى هذا الطبيب احدى قصائده التى نظمها بعنوان « فن الشفاء »

وفى الفترة التى عمل فيها أودين أستاذا للشعر بجامعة أكسفورد من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٠ لم ينقصه شىء غير بعد تشستر عنه فكان يعيش على أمل اللقاء به فى بيتهما فى النمسا فى فصلى الربيع والصيف حيث يحضران حفلات الموسيقى فى سالزبورج وفيينا . وفى أوائل الستينات أسر أودين الى صديق له اسمه الدكتور ستيفنس انه يحتفظ بعشرين ألف دولار فى حسابه الجارى فى البنك . وعبثا حاول صديقه أن ينصحه بتحويل هذا المبلغ الكبير إلى وديعة لكى تدر عليه عائدا . ولكن أودين رفض متعللا بعلة غريبة مفادها انه أخذ يشعر ابتداء من عام ١٩٦٣ ان صحته تتدهور وانه إذا قدر له أن يموت قبل أن يحين موعد فك الوديعة فسوف يعجز تشستر المسكين عن تدبير المبلغ المطلوب لجنازته .

فى عام ١٩٦٣ تسبب طيش تشستر ونزقه فى إثارة فضيحة بجلاجل فى الصحافة النمساوية فقد وقع هذا العابث فى غرام لص يعمل ميكانيكى سيارات اسمه هيو استخدم سيارة أودين الفولكس فى السطو على المنازل . وتم ضبطه وتقديمه الى المحاكمة فحكمت عليه المحكمة بالحبس لمدة تزيد عن عام وأدى هذا بطبيعة الحال الى جر رجل أودين وتشستر فى موضوع السطو الذى لاشأن لهما به ، وخرجت

الصحف النمساوية بمانشيتات مثيرة عن « كاتب أمريكي يعيش في فيينا » ورغم أنها لم تذكر اسمه صراحة فقد كان واضحا للعام والخاص أنها تقصده .

ولكن جنوح النمساويين آنذاك الى المحافظة الجنسية ـ شأنهم في ذلك شأن الانجليز والأمريكان في ذلك الوقت ـ لم يكن بالشيء المريح للشاعر الذي لم يعد يصرح بشذوذه مثلما كان يفعل في شبابه . فضلاً عن أن تشستر في النمسا وجد صعوبة بالغة في العثور على رفاق السوء . فقد تعين عليه للعثور عليهم أن يسافر سبعة وعشرين ميلا شرقي مدينة فيينا . ولهذا نصحه صديقه القديم الان أنسين الذي كان يقيم بصفة دائمة في أثينا (حيث يسهل الاستمتاع بالمثلية) أن يعيش في العاصمة اليونانية . واقتنع تشستر بالفكرة وسافر بالفعل الى هناك عام ١٩٦٣ وهو في الأربعين من عمره . وفي أثينا عشق تشستر لآخر مرة في حياته . وكان حبه هذه المرة دائما وعميقا وعاصفا . أحب شابا في الواحد والعشرين من عمره اسمه يانيس بوراس يفيض بالفحولة والحيوية . ورغم أن هذا الشاب لم يكن أصيلا من شواذ الجنس فقد استطاع تشستر بقوة شخصيته الشيطانية أن يقنعه بالرحيل معه الى فيينا واستمرت علاقة يانيس بوراس به لمدة خمس أعوام . ابتداء من ١٩٦٣ حتى وفاته المفجعة عام ١٩٦٨ عندما كان يانيس يقود وهو مخمور سيارة أودين الفولكس في ساعة متأخرة من الليل وبصحبته فتاتان فقد أوقف يانيس السيارة فجأة في منتصف الطريق الطوالي

وأطفأ أنوارها فجاءت شاحنة تسير بسرعة كبيرة لتصطدم بها من الخلف وتهشمها تماما . ومات يانيس بوراس على الفور وتشوهت جثته تشويها مفزعا . ولما علم تشستر بنبأ وفاة عشيقه اليونانى حزن عليه حزنا لا حد له وأصبحت حياته بلا طعم أو معنى . وعبثا حاول أودين أن يواسيه أو يخفف عنه . وبعد نقل جثة يانيس الى اليونان حيث تم دفنه فى جبانة الكنيسة الأرثوذكسية فى قرية ليفاداكى استقبلهما الأهالى عند وصولها إليها بالاهانات والشتائم فقد ساد بينهم اعتقاد بأنهما مسئولان عن وفاته . وأيضا أقتنع أهل يانيس وأصدقاؤه ان الثرى الأمريكى (تشستر) الذى جاء لقريته هو المسئول عن وفاته

وبعد فجيعة تشستر فى وفاة يانيس عاش عيشة التهتك والعربدة فى اليونان حيث غرق لأذنيه فى المسكرات ومضاجعة الجنود اليونانيين . وساء الضباط أن يروا عساكرهم يزورونه تحت جنح الظلام فأوعزوا الى صاحب البيت بطرده . ولم ينقذه من التشرد فى الشوارع غير طبيب طيب القلب اسمه الدكتور باسيل برويموس رق لحاله فقبل أن يأويه فى منزله . ومن ناحيته واصل أودين رحلة الفسق والمجون حتى بلوغه سن الستين فقد استمر يمارس الشذوذ الجنسى مع بعض أفراد الطبقات العليا الأمريكية كلما سنحت له الفرصة لذلك . والغريب أنه رغم تحسن أحوال شاعرنا المادية فانه لم يفكر فى أن يترك سكنه المتواضع فى نيويورك . وعندما أوفدت احدى المدارس وفدا من طلبتها

تحت اشراف بعض المدرسين لاجراء مقابلة معه فى منزله عاملهم بلطف ورد برفق على استفساراتهم ونصحهم بضرورة اتقان اللغة اللاتينية كما نصح الطلبة المهتمين بالشعر ألا يقدموا على قرضه إلا بعد بلوغهم سن الأربعين . وبعد خروج الطلبة مسرورين من منزله عبروا عن دهشتهم من أن يقطن شاعر عظيم مثل أودين ذلك البيت القذر أو العشة على حد تعبيرهم .

وعندما تدهورت صحة تشستر قرر مغادرة اليونان والعودة الى نيويورك حيث انغمس فى الشراب . وتمزقت نياط فؤاد الشاعر وهو يرى حبيب قلبه مصرا على تدمير نفسه . فقد تسبب افراطه فى الشراب فى اتلاف كبده واصابة قلبه الضعيف بمزيد من الوهن وخاصة لأنه كان يعانى فى طفولته من الحمى الروماتيزمية التى تركت فيه آثارا وبيلة . وعندما أدرك تشستر سوء مآله تحسر على حاله . ولكن عينيه لم تفارق صورة عشيقه الذى اختطفه الموت منه فى غمضة عين . لقد توهم تشستر إنه سوف يجد العزاء والسلوى فى نيويورك . فلما جاء اليها لم يطق البقاء فيها أكثر من يومين قرر بعدهما العودة إلى اليونان من حيث جاء غير عابىء ببدنه السقيم وجسده الناحل ودنو أجله . وعبثا حاول أودين أن يستبقيه الى جواره في نيويورك حتى يعينه على بلواه وحتى يتمكن الشاعر نفسه من تحمل الوحدة التى بدأ يحس بشدة وطأتها عليه . وعبر أودين عن قسوة هذه الوحدة عليه فى قصيدة ألفها فى أغسطس ١٩٧١ بعنوان « الوحشة » .

لم يكن حال أودين أحسن بكثير من حالة عشيقه تشستر . فقد بدأت صحته تسوء في منتصف الستينات وأخذ يعاني من مرض القلب . ونصحه الطبيب - وهو صديق له - بالاقلاع عن الشراب والتدخين وتعاطي مخدر البندرزين . ولكنه ضرب بنصيحة الطبيب عرض الحائط . وأحس الشاعر انه لم يعد يقوى على احتمال الحياة بمفرده في نيويورك وخشي أن يموت دون أن يتنبه الى موته أحد ، وغمره في عام ١٩٧٢ حنين جارف للعودة الى اكسفورد تلك البلدة الجميلة التي أمضى فيها شبابه وأحلى أيام عمره والتي كرمته جامعتها بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية . وعبر شاعرنا عن رغبته في أن يقضي البقية الباقية من عمره بالقرب من كليته كرايست تشرش حيث تعلم وعلم . وعلى الفور أجتمع المسئولون بالجامعة ليستجيبوا اليه ويرحبوا به بينهم . ووفروا له مسكنا مناسبا وقريبا من كليته الأثيرة الى قلبه . ووافقت الجامعة على مخالفة أعرافها فسمحت له بقضاء فصلي الربيع والصيف بعيدا عنهما وتركيز كل محاضراته في فترة وجيزة . ولكن سرعان ماتبين أنه يعيش في وهم وأن اكسفورد لم تعد نفس المكان أو الزمان الذي عهده بسبب ازدحامها بالطلبة وتحولها من مكان هادىء الى مكان صاخب . حتى كافتيريا الجامعة المجاورة (الكادينا) التي عرفها وأحبها لم يعد لها وجود . وأصبح الجيل الجديد من الطلبة يمر عليه دون أن يحفل به بعد أن كان زملاؤهم في الماضي يتهافتون عليه ويأتون اليه وحدانا وزرافات . وزاد الطين بلة أنه تعرض

لحادثة سرقة خمسين جنيها من حافظة نقوده الأمر الذى جعله يردد « لقد عدت الى اكسفورد كى يسرقونى » واشتد عليه احساسه بالوحدة فأدرك أن اكسفورد لم تعد تصلح له . وجرفه الحنين كي يعود الى نيويورك التى أصبحت دون أن يدرى مستقرة في وجدانه لايستطيع فراقها أو البعد عنها ، فشد رحاله اليها ليجتمع شمله مع أصدقائه ومعارفه فيها .

وفى صيف عام ١٩٧٣ سافر أودين كعادته إلى النمسا ليلتقي برفيق عمره تشستر . وشاءت المقادير أن يكون ذلك آخر لقاء بينهما . فقد ذهب تشستر لحضور أوبرا ريجولتو فى فيينا في حين أحيا أودين أمسية شعرية فى الجمعية النمساوية للأدب فى هذه المدينة .

وفى ختام الأمسية دعته هذه الجمعية لتناول العشاء ولكنه اعتذر لشعوره بالتعب والارهاق . ثم توجه الى الفندق كى يستريح . وهناك استراح الى الأبد وهو فى السادسة والستين فقد صعدت روحه الى بارئها أثناء نومه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ .

وجاءه تشستر الى حجرته بالفندق الذى ينزل فيه ليوقظه حسب طلبه فى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى . وفى يوم ٤ أكتوبر من نفس العام دفن الشاعر فى مدافن الكنيسة الكاثوليكية في قرية كيرتشتستين التى اختارها مستقرا له .

وبعد الجنازة عاد تشستر الى أثينا ليعيش عيشة الفسق والتهتك رغم تدهور صحته واعتلالها بشكل واضح . وكعادته

كان يغشى البارات والحانات بحثا عن الجنس المحرم . وفى مايو ١٩٧٤ غادر اليونان ليعود الى قرية كيرتشتستين النمساوية . وكتب الى دوروثى فارنان زوجة أبيه الثالثة يبلغها عن عزمه على بيع المنزل الذى اشتراه أودين بعرقه وكده ليئول بعد وفاته إليه . ولم يمانع الشاعر فى حالة وفاته فى أن يوصى تشستر به الى عشيقه يانيس بوراس عند أيلولته إليه . ولو أن هذا الميكانيكى الجاهل تماما باللغة الانجليزية قد عاش لآل إليه المنزل الذى صرف عليه الشاعر دم قلبه وشكر بسببه الله لما أسبغه من نعماء عليه . غير أن القدر شاء أن يموت يانيس بوراس قبل أودين ، الأمر الذى اضطر تشستر الى كتابة وصية جديدة أوصى فيها بعفش هذا المنزل الى عشيقه اليونانى الجديد نيكوس بيروس . وتوهم نيكوس الجشع أن تشستر أوصى له بكل محتويات المنزل فطالب بحقه فى أيلولة أوراق الشاعر الهامة ومكتبته واسطواناته إليه .

وهذا ما لم يتحقق فقد سافر تشستر الى لندن فى يولية ١٩٧٤ حاملا معه جميع مخطوطات وخطابات الفقيد ، وخوفا من أن تتبدد هذه الثروة الأدبية نصحه بعض الخلصاء بسرعة إهدائها الى مكتبة نيويورك العامة .

وفى الواقع لم يكن تشستر بحاجة على الاطلاق الى بيع منزل أودين فى النمسا . فقد ترك له الشاعر دخلا يكفيه لتغطية نفقات المعيشة فى اليونان لولا حياة السفه والتبذير التى استغرق فيها . ومن نيويورك تلقى تشستر عن طريق

المحامين مبالغ تكفى لاعاشته طوال الشهر . ولكن عشاقه كانوا يسرقونها منه منذ أول يوم فى الشهر . الأمر الذى دفعه الى الاستدانة من أفراد الجالية الأمريكية فى أثينا . وفى احدى المرات ذهب كعادته الى البار وهو يحمل فى جيبه أكثر من ألف دولار ، فلما أصبح الصباح وجد أن عشيقه الذى عاد به فى آخر الليل قد اختفى بعد أن سرق منه هذا المبلغ الكبير .

ومن سخرية القدر أن تشستر قبل وفاته بأسبوعين أعطى بالمجان البيت الذى امتلكه أودين بشق الأنفس الى مديرته السيدة جوزيفا ستروبل كما تدل على ذلك سجلات محكمة نولينباخ بالنمسا . ويتضح من هذه السجلات ان تشستر قام فى ٢ يناير ١٩٧٥ ببيع المنزل والحديقة الى السيدة ستروبل نظير مبلغ ١٢٥ دولارا تدفعه له شهريا مدى الحياة مع احتفاظه بحقه فى استخدام البيت فى فترات زيارته للنمسا . ولم تدفع المشترية أية مقدمات أو مبالغ متجمدة . وليس هناك سخرية من القدر أكثر من انها استولت على البيت بعد أن دفعت لتشستر قسطا شهريا واحدا . فقد توفى تشستر وتم دفنه بمدافن اليهود فى أثينا فى ٢٠ فبراير ١٩٧٥ أى بعد اتمام عقد البيع بنحو شهر واحد .

ولابد أن القدر أمعن فى سخريته عندما أبى أن يحقق لتشستر أمنيته الأخيرة . فقد طلب حرق جثته ونثر رمادها على قبر عشيقه يانيس بوراس فى ليفادامكى . ولكن الحكومة

اليونانية رفضت ذلك لأنه يخالف قوانينها التى تمنع حرق جثث الموتى .

هذه قصة أودين الذى لم تترك حداثته وتجديداته التكنيكية بصماتها فى الشعر الانجليزى الحديث فحسب بل فى المسرح الشعرى الحديث فى انجلترا بأسرها .

كريستوفر إيشروود

كريستوفر إيشرود كاتب متنوع الاهتمامات فهو روائى ومؤلف سينمائى ومسرحى مرموق . ارتبط اسمه بالدعوة الى السلام ونبذ الحروب وباتجاهه الى اعتناق فلسفة الشرق والتصوف الهندى .

ولد كريستوفر إيشروود - واسمه بالكامل كريستوفر وليم برادشو ايشروود - يوم ٢٦ أغسطس ١٩٠٤ (وفى عام ١٩٤٦ بعد أن هاجر الى الولايات المتحدة آثر علي أن يختصر اسمه الى كريستوفر إيشروود فى الأوراق الرسمية) وعند ولادته غمرت الفرحة قلوب العائلة فقام جده لأبيه برفع العلم على منزله مبشرا بولادة الطفل ومعبرا عن ابتهاجه لمقدمه تزوج أبوه - وهو ضابط اسمه فرانك - من سيدة اسمها كاثلين . وأثمر زواجهما طفلين أكبرهما هو كريستوفر الذى أنجبته أمه بعد ولادة متعسرة ومؤلمة ثم ريتشارد الذى جاءت ولادته بعد عدة سنوات أكثر سهولة ويسرا . وينحدر مؤلفنا من عائلة ميسورة الحال وإن لم تكن شديدة الثراء . اشترى أجداده منزلين ريفيين كبيرين هما مربل هول وويبرسلى هول عام ١٦٠٦ الأمر الذى يؤكد عراقة تاريخ العائلة التى تعود الى نهاية القرن السادس عشر . وعندما احتدم الصراع بين

البرلمان الانجليزى والملك تشارلز الأول قرر هذا البرلمان محاكمته بتهمة الخيانة . ولكنها وجدت صعوبة بالغة في العثور علي قاض مستعد لمحاكمته فقد كان معظم القضاة الانجليز آنذاك يعتبرون مثل هذا العمل انتهاكا للقانون . غير أن جد عائلة ايشروود الكبير القاضى جون برادشو قبل الاطلاع بهذه المهمة يناصره الشاعر البيرويتانى المعروف جون فيلتون الذى امتدح هذا القاضى لأمانته واستقامته وعلمه الغزير . ويبدو أن الدور البارز الذى لعبه هذا القاضى فى تاريخ انجلترا حدا بمؤلفنا الى التوفر على دراسة التاريخ . يقول إيشروود إن عائلته تضم عددا من المجانين والشواذ وهو الأمر الذى أثلج صدره ، ويضيف الى ذلك نزوع بعضهم الى الجريمة . ويبدو أن هذا غرس فى نفسه منذ نعومة اظفاره غرامه بقصص الرعب فلا غرو إذا رأيناه فى حياته اللاحقة يؤلف فيلما سينمائيا عن فرانكشتين وقد أصيب جده لأبيه ـ وهو ضابط جيش أيضا ـ بالفالج وهو لايتجاوز الواحد والعشرين من عمره ، الأمر الذى أرغمه على التقاعد المبكر دون أن يمضى على التحاقه بخدمة الجيش أكثر من أربع سنوات . واقعده الشلل عن الحركة وأفرط فى الشراب فكان يبول على نفسه أحيانا . ودعاه هذا الى التفكير فى أن يربط الى جسده قربة يبول فيها ويمكن نزعها بعد امتلائها . وتدل كتابات الصبى كريستوفر أنه كان يحمل لجده كل مودة ومعزة وأنه لم يشمئز من بلل البول ورائحته التى اقترنت به .

تلقى فرانك والد مؤلفنا العلوم العسكرية بكلية

ساندهيرست وفى عام ١٨٩٢ التحق بنفس الكتيبة التى كان أبوه أحد أفرادها ، والى جانب دراسته العسكرية عشق فرانك الرسم بالألوان والموسيقى والغناء والتمثيل . فضلا عن غرامه بقراءة الروايات والكتب التى تتناول المجتمع الشرقى والبوذية والصوفية . ويبدو أنه تأثر فى ذلك بالرحلات التى قام بها أخوه هنرى الى بلاد الشرق وراقت لفرانك أديان الشرق لما تضمنته من دعوة الى تقوية الارادة وتأمل الذات ولم يقتنع بتنظيمات الكنيسة المسيحية على عكس زوجته كاثلين التى آمنت ايمانا كاملا بسلامة الكنيسة الانجليكانية ورفضت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .

واعتبرت أتباعها شرذمة من الشواذ وعبثا حاولت الزوجة اقناع زوجها بسلامة وجهة نظرها الدينية وقد تأثر كريستوفر وشقيقه ريتشارد بأفكار والدهما التى تنكر الدين المسيحى فاتجها مثله الى فلسفات الشرق وأديانه ينهلان منها . ولكن هذا لايعنى أن مؤلفنا سار على نفس الدرب الذى سبق لأبنه أن سار فيه فقد كان يختلف عن والده فى عدة وجوه كان فرانك يميل الى المحافظة ويمقت الأفكار البوهيمية والراديكالية ومسلك الطبقة العاملة فى حين أنها جميعا راقت فى نظر الابن كما أن الأب وزوجته ـ بخلاف الابن ـ كانا يجلان نظام الزواج ويحملان كل التقدير له .

أحبت كاثلين ولديها حبا لامزيد عليه وسجلت ملاحظاتهما عن تطور ابنها كريستوفر فى يومياتها منذ أيام التلمذة حتى عام ١٩٢٨ هو العام الذى نشر فيه روايته « حميم المتآمرين »

وقبل أن يبلغ كريستوفر الثالثة من عمره أستخدمت أمه مربية تدعى أنى أفيش ظلت فى خدمة العائلة مايزيد عن أربعين عاما . ورغم شقاوته معها فانه وجد فى صدرها الحنون الطمأنينة والأمان لدرجة أنه أسر إليها وليس الى أمه بالأحلام المزعجة التى تطوف بخياله وبخوفه من الظلام . فكانت تروى له الحكايات المسلية حتى ينام وتعلمه أغنيات الأطفال فضلا عن أن أباه كان يتمتع بالقدرة المذهلة على رواية الحكايات الخيالية التى خلبت لبه . وغرس الأب فيه حب الفنون والموسيقى والرسم وسرت شائعة بين أفراد العائلة أن شبح الملك تشارلز الذى حاكمه القاضى جون برادشو وانتهى الأمر باعدامه يسكن منزل ماربل هول ويتجول فى أرجائه حاملا رأسه المقطوع تحت إبطه . وفى أحد الأيام تعرض الطفل لحادثة غامضة أثناء غياب الوالدين عن المنزل . فقد خيل للطفل فى منامه أن أباه نقله بين ذراعيه الى غرفة الخدم الداخلية فصرخ مستنجدا بمربيته التى أسرعت اليه لتدخل الطمأنينة الى قلبه المذعور . ويبدو أن التفسير الذى يجلو غموض هذا الحادث أن أحد الخدم تنكر فى شخص والده وحمل الطفل أثناء نومه الى غرفة الخدم ليدخل فى روعه أن البيت مسكون .

وعلى أية حال شعر الطفل بسعادة غامرة عندما أهداه والده لعبا للأطفال يبنى منها المسارح وعمقت فيه الأم حب المسرح بأن ألفت له بعض المواقف المسرحية وعلمته القيام

بتمثيلها . فضلا عن أنها علمته أداء بعض الرقصات . والغريب أن كريستوفر فى طفولته استهوته ملابس أمه وأدوات زينتها . ولكنها لم تنهره عن ارتداء بعض ملابسها وقمصانها . بل إنها سايرته فألبسته الفراء وأدوات الزينة أحيانا ، أى أنها شجعت فيه التخنث .

لم يتأثر كريستوفر بوالده ووالدته فحسب بل تأثر بعمه الأصغر جاك أيضا فاقتفى اثره وأظهر ما أظهره من اهتمام بالديانات الشرقية ، وخاصة فلسفة الهنود المعروفة بالفيدانتا وشجعته والدته على أن يشاركها سعادتها فى تأليف كتيب صغير فى شتاء عام ١٩١٠ - ١٩١١ بعنوان «تاريخ أصدقائي » وفى نفس العام بدأ الأب فى اعطائه دروسا أولية فى اللغة الفرنسية التى كانت الأم تتحدث فى البيت بها أحيانا يقول ليثون ستراتشى إن الطبقات العليا فى المجتمع الانجليزى آنذاك اتجهت الى استخدام اللغة الفرنسية لتحل بذلك محل اللغة الألمانية السائدة فى العصر الفكتورى ولهذا كان من الطبيعى أن تصبح اللغة الفرنسية اللغة الأجنبية الأولى التى درسها كريستوفر ليس فى البيت والمدرسة فقط بل أيضا أثناء زيارته المتكررة الى فرنسا . وبالرغم من هذا فقد كره هذه اللغة فى صدر شبابه وامتنع عن التحدث بها ، وفضل عليها اللغة الألمانية كنوع من الاحتجاج على ثقافة جيله .

والجدير بالذكر أن كريستوفر أيشروود اجتاز فى صباه أول تجربة جنسية أدت به فى نهاية الأمر الى الاستمناء . وصورت

له خيالاته الجنسية إنه يركض متخنا بالجراح على أرض المعركة وقد تمزقت ثيابه وأصبح شبه عريان تحيط به امرأة بعطف وحنان لتشمله برعايتها . وفى مايو ١٩١١ التحق كريستوفر بمدرسة بنات تعمل ساعة واحدة فى اليوم . ولم يكن فى هذه المدرسة سوى خمسة صبيان . وفى المدرسة أظهر الصبى قدرة على الكتابة على نحو جيد غير أنه كان ضعيفا فى مادة المطالعة فسعى والده الى سد هذا النقص فى البيت . وحثته أمه على الاتجاه نحو المسرح بأن قرأت له كتاب تشارلز ومارى لامب المعروف « حكايات من شكسبير » وفكر فرانك فى ترك الجيش والالتحاق بوظيفة مدنية . غير أن اضراب عمال النقل فى أغسطس ١٩١١ حال دون ذلك . وكان من الواضح أن ولاء فرانك كان فى صف السلطة ضد عمال النقل . وعندما أنجبت أمه كاثلين فى أكتوبر ١٩١١ رضيعا (هو تشارلز) اعتبر كريستوفر ولادته بمثابة معجزة يعجز عن فهمها وفهم الغموض المحيط بها . وكرر الأب محاولة ترك الخدمة العسكرية ولكن وزارة الحربية رفضت ذلك ، وقامت بنقله للعمل فى بلدة ليمبريك بايرلندا حيث التحق ابنه بمدرسة مخصصة أصلا للبنات ضمت اليها عددا محدودا من الأولاد .

وفى منتصف عام ١٩١٢ أعلن الصبى كريستوفر على عائلته إقامة اسبوع شكسبير المسرحى لقراءة وتمثيل مقتطفات من أعماله . وقام بتعليق برنامج هذا الأسبوع على باب الغرفة التى يلعب فيها ودعا والديه الى حضور جميع حفلاته المسرحية المنزلية التى تخيل فيها أن الحيوانات تلعب

أدوار البطولة فجعل الأرنب يلعب دور ماكبث واستغرق تمثيله مسرحية ماكبث ربع ساعة فقط لاغير . وهكذا اقتفى الابن أثر الأب وتاق الى أن يصبح ممثلا . فضلا عن أنه اتجه منذ صباه الى التأليف المسرحى . فألف مسرحية باللغة الفرنسية بعنوان « رسالة » بسبب اعجابه الشديد بالممثلة الفرنسية المعروفة سارة برنار ولكن الأسرة حظرت عليه تمثيلها عندما اقتحم بلا استئذان حجرة مليئة بالضيوف ليقدم اليهم عرضه المسرحي المرتجل . وفى ايرلندا ادرك كريستوفر منذ نعومة أظفاره الكراهية المشبوبة التي حملها الايرلنديون الكاثوليك للانجليز البروتستانت . فقد نصحته أمه التى هالها مارأته من نزوع الايرلنديين الى سفك الدماء والخروج على القانون بالابتعاد عن الأطفال الايرلنديين وعدم اللعب معهم . وكان الأطفال الكاثوليك فى الشارع يصرخون فى وجهه « أيها البروتستانتى القذر » وعندما كبر الصبى وصار على وعى بأبعاد المشكلة الأيرلندية وجد نفسه فى صف الايرلنديين المتمردين على الحكومة الانجليزية والمطالبين بالاستقلال عنها . كما وجد نفسه يعارض سياسة أنجلترا الاستعمارية نحو الهند . الأمر الذى أضفى على مواقفه السياسية اتجاها نحو اليسار . وفى خريف عام ١٩١٢ حدث شغب فى بلدة ليمبريك ضد البروتستانت أدى الى تحطيم نوافذ المحلات والحوانيت .

وفى أواخر ١٩١٢ ذهب كريستوفر لمشاهدة السينما (وكانت آنذاك صامتة) لأول مرة فى حياته فأصبح غرامه

بالشاشة الكبيرة . يفوق غرامه بالمسرح . وفيما بعد ألحقته العائلة بمدرسة جديدة معظم تلاميذها من البنين حيث بدأ يعرف الصراع والشجار مع أقرانه من الصبية . ولاحظت الأم تصاعد حدة التوتر السياسي في ايرلندا فآثرت أبعاد ابنها كريستوفر عنها والحاقه بمدرسة اعدادية في انجلترا . وفي ذلك الوقت بدأت نذر الحرب العالمية الأولى تلوح في الأفق . فآثرت الأم أن تعود بولدها من ايرلندا الى انجلترا لتلحقه بمدرسة سانت ادموند الداخلية في ابريل ١٩١٤ . وانتهزت كاثلين هذه الفرصة السانحة لقضاء بعض الوقت في لندن حيث اصطحبت ابنها لمشاهدة مسرحية شكسبير « حلم ليلة صيف » التي أخرجها رجل المسرح المعروف جرانفيل باركر وكذلك متحف مدام توسو للشمع متحف التاريخ القومي وحديقة الحيوان في ريخيت بارك . وكانت مدرسة سانت ادموند يديرها بعض أقارب العائلة . وقبل أن يتحول مبناها الى مدرسة كان برناردشو يقطنه بعض الوقت . وشكا ناظر المدرسة من أن كريستوفر لم يظهر أدنى اهتمام بدروس الدين الذي قامت المدرسة بالتركيز عليه إلى جانب تركيزها على تدريس الرياضيات واللغات اللاتينية والاغريقية والفرنسية وبالاضافة الى هذه المواد قامت المدرسة بتدريس مواد التاريخ والجغرافيا والأدب والموسيقى ولكن دون التركيز عليها . وفي المدرسة انصرف كريستوفر عن الدرس والتحصيل الى اللعب والشقاوة والصخب والكلام دون توقف واتضح للأم إنها ارتكبت خطأ عندما أرسلت ابنها الى مدرسة

يديرها الأقارب الأمر الذى جعل التلاميذ يعايرونه ويشكون منه . ورغم ذلك فقد استطاع بروحه الجذابة أن يكسب أقرانه الى صفه . غير أنه خيب أمل مدرس الألعاب الرياضية فيه عندما أخفق فى اتقان لعبتى الكريكيت وكرة القدم . ووجد كريستوفر متعة خاصة فى المصارعة والملاكمة وبسبب الحرب سافر أبوه الى فرنسا للاشتراك فى القتال ضد الألمان ليعود الى انجلترا فى فبراير ١٩١٥ ولاحظ فرانك عند عودته الى انجلترا أن ابنه يعرج عرجا واضحا وانه مصاب بالروماتيزم . فضلا عن اصابته اللاحقة بمرض الحصبة . وبعد عودة فرانك الى ميدان القتال فى فرنسا ببضعة شهور أعلنت السلطات العسكرية ان فرانك مفقود وتصور الجميع انه مات . ولهذا بدأ الاساتذة والتلاميذ يعاملون كريستوفر على أنه ابن بطل وشهيد .

وفى عام ١٩١٥ التحق بنفس المدرسة طفل فى الثامنة من عمره اسمه بستان أودين (شاعر الثلاثينات الانجليزى الشهير الذى تناولناه فى الفصل السابق وبدأت علاقة ويستان بكريستوفر تتوثق فى آخر عام دراسى أمضاه مؤلفنا فى مدرسة القديس ادموند اى فى عام ١٩١٧ ـ ١٩١٨ . كان أودين يشبه ايشروود فى طفولته فى عزوفه عن ممارسة النشاط الرياضى . غير أنه استطاع أن يجتذب اليه اقرانه بفضل اتقانه للعزف الموسيقى وقدرته على ادخال التسلية فى نفوسهم . ونحن نجد فى رواية ايشزوود (أسود وظلال) (١٩٣٨) واصفا للشاعر أودين فى طفولته تحت اسم

« هيوويستون » الذى يعتبر أول من علم كريستوفر دروسا فى الجنس فقد كان والده الطبيب يحتفظ بخزانة من الكتب والمراجع العلمية والطبية المكتوبة باللغة الألمانية ، تمكن ابنه ويستان أن يعثر على مفتاحها وأن يخرج منها بعض المجلدات المصورة فى علم التشريح ليعرضها على زميله كريستوفر . وقد سبق لنا أن فصلنا هذه الخلفية فى الفصل الثانى .

وعندما اقتربت الحرب العالمية الأولى من نهايتها عام ١٩١٨ قررت كاثلين اخراج ابنها من مدرسة سانت ادموند والحاقه فى يناير ١٩١٩ بمدرسة ريبتون التى كان الروائى الانجليزى الكبير جراهام جرين وهو أحد أقربائه من تلاميذها . ومن الشخصيات الانجليزية البارزة الأخرى التى التحقت بهذه المدرسة الناشر التقدمى واليسارى المعروف فكتور جولانز . ورغم انتشار اللواط فى مدارس انجلترا الداخلية فإن كريستوفر نجا من ممارسته فى فترة التحاقه بمدرسة ريبتون الداخلية . غير أن اقامة علاقات غرامية مع نفس الجنس كانت تطوف بمخيلته .

واهتم كريستوفر فى تلك المرحلة من حياته بقرض الشعر وقرب تخرجه من مدرسة ريبتون وقع فى العام الدراسى ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ تحت تأثير مدرسة التاريخ جراهام سميث وتلميذ زميل له يدرس التاريخ اسمه ادوارد ابوارد ويعطينا ايشروود صورة لهذا المدرس فى روايته « أسود وظلال » تحت اسم المستر هولمز كما أن زميله ادوارد أبوارد يظهر

فيها تحت اسم ألين تشارلز الذى حظى باعجابه الشديد بسبب ماعرف عنه من تمرد على النظام المدرسى بوجه خاص وعلى الدين وأعراف المجتمع بوجه عام ومؤلفنا لاينكر مقدار الأثر العميق الذى تركه كل من هذين الاستاذ والتلميذ فيه . وأمضى الزميلان كريستوفر وأبوارد الساعات الطوال فى مكتبة المدرسة ينقبان فى بطون الكتب . وفى عام ١٩٢١ وقعت بعض الأحداث الهامة فى حياة مؤلفنا ومنها أنه سافر مع زميله أبوارد الى كامبردج لأداء امتحان مسابقة فى التاريخ ورغم أن أبوارد تفوق عليه فقد حصل كريستوفر على جائزة مالية أكبر .

وكان كريستوفر آنذاك فى السابعة عشرة من عمره . وبعد الامتحانات سافر أبوارد عام ١٩٢٢ الى مدينة روان بفرنسا لتعلم اللغة الفرنسية . وفعل كريستوفر نفس الشىء فى وقت لاحق . وعلى اية حال سنحت لكريستوفر فرصة للسفر الى فرنسا ، ونفس الوقت فاسعده أن يلتقى بزميله أبوارد هناك . وفى فرنسا قرأ كريستوفر ديوان بودلير المعروف « أزهار الشر » بسبب تحمس زميله الشديد له وبلغ اعجابه بالشاعر بودلير حدا جعله يتوفر على ترجمة أحد أعماله الى الانجليزية فيما بعد وفى يوليه ١٩٢٣ عاد مؤلفنا من فرنسا الى بلاده .

عندما التحق كريستوفر بكلية كوربوس كريستى بجامعة كامبردج فى الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٢٥ أخفق فى دراسته فقد كان شارد الذهن سارحا فى خيالاته أثناء حضوره المحاضرات . واستمتع بحياة الدعة وآثر الانغماس فى الحياة

الاجتماعية المسلية . غير أن صداقته بأدوارد أبوارد أتاحت له فرصة الاطلاع فى مكتبته على مؤلفات كبار الأدباء والأديبات أمثال كاترين مانسفليد ووالت ويتمان وادجار الان بو وبودلير وفلوبيرت وغيرهم . واتفق كريستوفر مع ادوارد أبوارد على كتابة يوميات يسجلان فيها خيالاتهما المشتركة التى يسرحان فيها وقد شاهدت تلك الفترة الجديدة فى تأليف روايته « أسود وظلال » التى سبق الاشارة اليها والتى استقى عنوانها من الكاتب س . أ . مونتاجو . ولكن كريستوفر فى سنى نضجه أعاد صياغتها وضمنها سيرة حياته .

وفى أيام الطلب بجامعة كامبردج بدأ مؤلفنا يستشعر نزوعه الى الشذوذ الجنسى غير أنه لم يفعل شيئا ليضع هذا النزوع موضع التنفيذ حتى أخذ زميل له من نفس كليته زمام المبادرة فقد دخل عليه حجرته وأوصد بابها بالمفتاح ثم جلس على حجره من غير احم أو دستور . وعلى أية حال نشأت بينه وبين عدد من شباب الجامعة صداقات وثيقة ولكنها بريئة مثل صداقته بالطالب روجر بيرفور الذى أظهر اهتماما بالغا بالسينما وأسس نادى كامبردج السينمائى وعن طريقه ظهر كريستوفر ككومبارس فى أحد الأفلام وتقاضى جنيها وأربعة شلنات عن أداء دوره . ولكن التمثيل فى الأفلام لم يرق له . وكذلك توطدت فى لندن صلته بصديق اسمه هكتور وينتل الذى أطلق عليه اسم فيليب لينسلى فى رواية « أسود وظلال » ووجد مؤلفنا سعادة بالغة فى التجوال فى أزقة لندن وأحيائها القذرة . وتمرد كريستوفر على أسلوب تدريس الأدب فى

جامعة كامبردج وشاركه صديقه أدوارد أبوارد هذا التمرد وهو تمرد يرجع الى تشريح الأساتذة للنصوص الأدبية على نحو يزهق روح هذه النصوص ويجردها من نبض الحياة ولكن الصديقين المتمردين حرصا على حضور محاضرات أستاذ شاب هو أى . أ . ريتشارد (الذى ذاع صيته فى عالم النقد الأدبى فيما بعد) وتعلم الطالبات من هذا الأستاذ الشاب الاعجاب بالشاعر الجديد والمجدد معا ت . س . اليوت .

وبحلول موعد الامتحانات أصاب الهلع مؤلفنا فهو يكاد ألا يعرف عن المقررات الدراسية شيئا . وأوجد فى التمرد والتحدى مخرجا من مأزقه فقرر أن يشق عصا الطاعة على نظام التعليم السائد آنذاك فى جامعة كامبردج . وتعبيرا عن تحديه لهذا النظام قام ببيع كل كتبه الدراسية فى التاريخ باستثناء كتاب واحد آثر أن يحتفل بإلقائه فى ماء نهر الكام هو « تاريخ انجلترا الدستورى » تأليف الأسقف وليم ستب . ثم انصرف وصديقه أبوارد الى ركوب القوارب والاستماع الى موسيقى بيتهوفن وشوبيرت . وعندما جلس كريستوفر للاجابة عن اسئلة امتحان التاريخ حول الأسباب التى أدت الى هزيمة ملك انجلترا المخلوع تشارلز الاول ملأ أوراق الاجابة بمجموعة من الفقرات الساخرة والأشعار الرديئة التى تتهكم على الاسئلة الموضوعة . فعل كريستوفر هذا بجدية تامة وكأنه منهمك انهماكا حقيقيا فى الرد على الاسئلة . وبعد انتهاء الامتحان سافر الى لندن . ولم يمر أسبوع واحد على سفره حتى استدعاه أستاذه للحضور الى كامبردج على

عجل . وسأله أستاذه عن المبررات لتصرفه فلم يحر كريستوفر جوابا وظل صامتا . وهاج المسئولون فى الجامعة وماجوا وطالبوا بطرده . ولكن أستاذه اقترح شطب اسمه من سجلات الجامعة وبذلك لايكون له أى وجود فى سجلات الجامعة الرسمية رغم العامين اللذين أمضاهما فيها . وفى حياته اللاحقة شعر بالخجل مما فعل كما أن صديقه ادوارد أبوارد شعر بالذنب ولام نفسه كثيرا لأنه لم يحاول أن يمنعه أو يعيده الى رشده . وعندما علمت أمه كاثلين بهذا الأمر خاب أملها فيه فقد كانت تأمل أن يصبح ابنها فى يوم من الأيام استاذا بالجامعة .

وتعتبر علاقة كريستوفر بعمه الثرى هنرى أشد ماتكون غرابة . فقد نشأت بين هذا الرجل وابن أخيه صلة حميمة سمحت لهما بالمصارحة والكشف عن نزعتهما الى الشذوذ الجنسى . ولم يجد العم أدنى غضاضة فى أن يفضى إليه كريستوفر بمغامراته الجنسية الشاذة . كما أن الرجل لم يخجل من أن يحكى لابن أخيه الشاب عن مغامرات مماثلة مع بعض الحراس وأفراد الطبقة الدنيا . واعتاد العم بعد ممارسته للرذيلة أن يعترف للقسيس بما أقترف .

وفى الفترة بين ١٩٢٦ و١٩٢٧ تعرف كريستوفر بموسيقى فرنسى متزوج من سيدة انجليزية اسمه أندريه مانجيو الذى عرض عليه وظيفة سكرتير لجمعيته الموسيقية مقابل جنيها واحدا فى الأسبوع وقبل مؤلفنا هذا الأجر الشديد الضآلة بسبب حبه لعائلة هذا الموسيقار .

والجدير بالذكر أن الأيام فرقت بين كريستوفر ايشروود وويستان أودين بعد تركهما مدرسة سانت ادموند ثم عادت لتجمعهما وتؤلف بينهما من جديد عن طريق صديق مشترك وذلك بعد مرور ستة أعوام على آخر لقاء بينهما وبطبيعة الحال تبادل الزميلان السابقان ذكرياتهما عن المدرسة . وذكر أودين عرضا أمام كريستوفر انه يقرض الشعر الأمر الذى أدهش زميله القديم لأنه لم يكن يعلم أيام الدراسة ميل أودين الى تأليف الشعر وفى وقت لاحق بعث أودين الى زميله بنماذج من شعره تنم عن شدة تأثره بتوماس هاردى وأدوارد توماس وروبرت فورست . كان أودين يأخذ ملاحظات كريستوفر وتعليقاته على شعره مأخذ الجد لدرجة أنه كان يبادر بتغيير الابيات التى يعترض عليها . وعلى أية حال فقد تأثر كريستوفر بأودين بقدر ماتأثر أودين بكريستوفر ، ومن الثابت أن أودين اكتشف نزوع زميله الى الشذوذ الجنسى قبل أن يتنبه زميله الى وجود هذا الميل فيه .

ولم يخف أودين على كريستوفر .. شذوذه ومن سخرية الأقدار أن يفعل كريستوفر فيما بعد نفس الشىء وأن يجاهر بشذوذه ويعلنه على الملأ دون أدنى احساس بالعار أو الخجل .

وعندما اتضح لايشروود نزوعه الأكيد نحو الشذوذ الجنسى مر بمحنة نفسية كادت أن تعصف به وغمره شعور بالاكتئاب وخاصة بعد أن قرأ أعمال الكاتب الفرنسى مارسيل

بروست (المعروف أيضا بشذوذه الجنسى) الذى رسم صورة بشعة للشاذ جنسيا عندما يتقدم به العمر . وفى اكتئابه فكر كريستوفر فى الانتحار فاشترى مسدسا لهذا الغرض وتوجه الى صديقه هكتور ونتيل ليسأله عن أضمن طريقة للانتحار فنصحه ونتيل أن يضع فوهة المسدس فى فمه فى وضع معين قبل الضغط على الزناد ، ورغم أن ايشروود لم يتخلص من حياته فانه استفاد من هذه التجربة وضمها فى روايته « الذكرى » (١٩٣٢) يقول كريستوفر فى هذا الشأن ان كل كتاباتى فى الأساس تتضمن سيرة حياتى ومعنى هذا انى اكتب عن تجارب خضتها بنفسى أو خاضها شخص آخر . فمحاولة الانتحار التى أصنعها فى رواية (الذكرى) على سبيل المثال كانت تجربة واقعية رواها لى أحد الأصدقاء وأنا فى رواياتى اخترع قدرا كبيرا من الأحداث والحوار كما أن شخصياتى مركبة وتتكون من عناصر مختلفة . ولكن التجربة التى أقيمت عليها المناظر وكذلك الشخصيات مأخوذة من حياتى . وبعد فشله فى الانتحار قرر كريستوفر وهو فى الثانية والعشرين من عمره أن يترك البيت ليعيش مستقلا عن والدته واضطرته الحاجة الى المال إلى اعطاء الدروس الخصوصية . وفى عام ١٩٢٦ أكمل رواية بعنوان « الهروب من البحر » وعرضها على الأديبة الايرلندية ايثيل مابن التى لم ترض عنها ولكنها حثته على مواصلة الكتابة .

وفى ديسمبر ١٩٢٦ ذهب كريستوفر الى اكسفورد لزيارة صديقه أودين وهناك شاهد كوكبة من الشعراء الشبان تلتف

حول زميله مثل سيسيل داى لويس ولويس ماكنيس وريكس وارنر الى جانب الأديبة الألمانية جرتود شتاين واستمع كريستوفر الى أودين وهو يعزف مقطوعات من باخ على بيانو يحتفظ به فى مسكنه . وفى العام التالى (١٩٢٧) اعتلت صحة كريستوفر فسافر للاستشفاء فى جزيرة وايت . وهناك أسعده ان يخالط الصيادين وتعمد أن يخفى عنهم خلفيته البورجوازية وأن يتصرف كما يتصرفون وتبع نفس أسلوبهم الدارج فى الحديث . وهى عادة ترسخت فيه وتمكنت منه فلم تفلح عنها طيلة حياته . وفى جزيرة وايت ظهر اعراضه عن النساء . فقد تعرف بصياد شاب وجذاب فى السابعة عشرة من عمره وكانا يخرجان سويا لمراقصة الفتيات وملاحقتهن . فإذا أقبلت عليه احدى الفتيات سلمها كريستوفر الى صديقه ليستمتع بها دونه . وبعد أن أتم كريستوفر تأليف « كل المتآمرين » عرضها على صديقه ادوارد أبوارد الذى راقت له رغم أنه استهجن عنوانها . وقد استمد كريستوفر هذا العنوان من الخطبة التى ألقاها مارك أنتونى على جثة بروتس فى مسرحية شكسبير المعروفة « يوليوس قيصر » ويرى النقاد أن « كل المتآمرين » تفوق سائر الروايات التى ألفها كريستوفر فى التعبير عن السخط والغضب الأمر الذى مهد لظهور الجيل الغاضب الانجليزى فى الخمسينات . وفى عام ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ قرر كريستوفر الالتحاق بكلية الطب بجامعة لندن ، فشجعه صديقه أبوارد على ذلك وذهب أبوارد الى أن دراسة الطب من شأنها أن تتيح له فرصة الاتصال بالشواذ

والمرضى عن كثب ومن ثم يمكن تصويرهم فى أعمال روائية عظيمة . وفى تلك الفترة من حياته صادف ـ وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين ـ حظا سعيدا عندما أبلغه الناشر جوناثان كاب رغبته فى نشر روايته « كل المتآمرين » ففتح ذلك أمامه آفاق الشهرة والمجد الأدبى . وقد قام كاب بنشرها فعلا عام ١٩٢٨ .

ألمانيا وأوربا :

كان لكريستوفر إيشروود قريب اسمه بازيل فراى يعمل نائب قنصل بريطانيا فى مدينة بريمن الألمانية ورغم نفوره من قريبه بسبب زيفه ونزعته نحو التظاهر والادعاء فانه قبل عام ١٩٢٨ ، دعوته لزيارة سريعة إلى ألمانيا ، ويعطينا مؤلفنا صورة لهذا الرجل متمثلة فى شخصية مستر لانكاستر فى روايته التى تحمل عنوان "هناك فى زيارة" عام (١٩٦٢) . وفى زيارته الأولى لألمانيا شعر كريستوفر بقوة تجذبه نحو الشباب الألمانى . وألقى عليه قريبه الديبلوماسى محاضرة طويلة عريضة عن الفساد الأخلاقى الذى ساد ألمانيا بوجه عام وبرلين بوجه خاص . وحذره من الانغماس فيه والقاء نفسه فى التهلكة ، ثم أكدت الرسائل التى بعث بها إليه أودين من ألمانيا فيما بعد (أثناء إقامته فى برلين عام ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩) صحة الصورة التى رسمها بازيل فراى للانحلال الألمانى فتاقت نفس مؤلفنا للعودة إلى ألمانيا وزيارة برلين على وجه الخصوص ، وزاد من شوقه إلى مشاهدة برلين رغبته فى لقاء عالم نفسانى يدعى جون لايارد الذى تتلمذ على

يدى عالم نفساني أمريكى اسمه هومز لين والذى سبق لنا أن تناولنا علاقة أودين به . وتتلخص دعوة لين المتحررة فى ايمانه بأن المعصية الحقيقية التى يرتكبها الإنسان هى عدم اتباع ما تمليه عليه طبيعته . الأمر الذى أغرى كريستوفر بالسفر إلى برلين من أجل الالتقاء بتلميذ هذا العالم جون لايارد الذى يدعو مثل أستاذه إلى الضرب بالتقاليد والأعراف الأخلاقية والجنسية عرض الحائط .

وفى يوم ١٤ مارس عام ١٩٢٩ سافر كريستوفر إلى ألمانيا حيث إلتقى بصديقه أودين الذى كان يعيش بالقرب من ماخور واصطحبه أودين إلى بار شعبى اسمه "الركن المريح" يرتاده شواذ الجنس من الألمان الذكور . والجدير بالذكر أن الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى اجتاحت العالم عام ١٩٢٩ وأدت الى انتشار الكساد وتفشى البطالة أدت بدورها إلى تفشى الرزيلة . ولم يجد الشباب الألمانى أمامهم سبيلا للرزق سوى احتراف الدعارة مع السواح والزوار الأجانب . وكان هذا الشباب الضائع يكتفى بهدية بسيطة مثل قميص أو ربطة عنق . وفى كثير من الأحيان اهتم هؤلاء الشبان الألمان المنحرفين بممارسة الأنشطة الرياضية مثل المصارعة والملاكمة مما جعل أجسادهم قوية وعضلاتهم مفتولة . ورغم أن كريستوفر كان حينذاك يجهل اللغة الألمانية فإن هذا لم يقف عائقا دون مخالطتهم .

وفى برلين التى زارها كريستوفر لأول مرة عام ١٩٢٩ قابل مؤلفنا مثله الأعلى بين الشواذ الألمان وهو شاب جذاب أزرق العينين أشقر الشعر ناعم الملمس اسمه برتهولد أو بوبى كما

اعتاد معارفه على تسميته . كان بوبى الذى ينحدر من عائلة تشيكية ملاكما قوى البدن يتمتع رغم مكره بقدر كبير من الرقة والعذوبة . وقد نظم أودين قصيدة عنه بعنوان "حبيب القلب" . حرص كريستوفر على مقابلة بوبى يوميا والخروج بصحبته للتنزه والذهاب إلى السينما أو مدينة الملاهى . ووجد فيه مؤلفنا ضالته المنشودة نظرا لأنه كان فى انجلترا بلاده يرزح تحت وطأة الأحساس بالذنب بسبب اضطراره لممارسة اللواط مع ذكور ينتمون إلى نفس جنسيته وينحدرون من نفس طبقته الاجتماعية العالية . وقد ساعده على التخلص من عقدة الذنب أن جون لايارد (الذى توثقت علاقته به فيما بعد) أقنعه بأن معصية الإنسان الحقيقية تكمن فى اخفاقه فى أن يعيش وفق نوازعه . وقبل أن يقفل كريستوفر راجعا الى لندن أهداه عشيقه بوبى سوارا ذهبيا رخيصا كان يلبسه ففرح به مؤلفنا فرحا عظيما ولم يخجل من أن يلبسه مزهوا به أمام أهله وبنى جلدته رغم أنه إمارة متعارف عليها آنذاك فى انجلترا تدل على الشذوذ الجنسى .

ثم عاد كريستوفر إلى لندن ولكنه سرعان ما ضاق ذرعا بالحياة الاخلاقية والاجتماعية المحترمة وتاقت روحه للرجوع إلى بوبى الذى لم يعرف له عنوانا فى برلين . وبدأ كريستوفر يتأهب للسفر بأن شرع فى تعليم نفسه اللغة الألمانية . ولحسن حظه أن أودين كان يعيش فى تلك الفترة مع شاب ألمانى مرح اسمه جيرهارد . فقد استعان به فى العثور على بوبى . وصدم أودين الذى كان يجاهر بشذوذه مشاعر السكان الألمان المحليين عندما شاهدوه فى المراعى يتصارع مع

عشيقه جيرهارد وهما عريانان كما ولدتهما أمهما . نصح أودين زميله كريستوفر بالالتجاء الى صديق له يعيش فى برلين ويغشى كل مواخيرها وباراتها اسمه فرانسيس ترافيل بتر وهو عالم آثار من شواذ الجنس سبق اصابته بمرض الزهرى ولكن مرضه بعد العلاج أصبح غير معد ، الأمر الذى شجعه على الاستمرار فى ممارسة الرذيلة . ودأبه فرانسيس فى البحث عن بوبى فى كل المواخير والبارات وبيوت الدعارة حتى استطاع بعد لأى أن يتتبع أخباره . وعرف فرانسيس من استقصائه الدءوب أن بوب هرب من ألمانيا الى هولندا حتى لا يقع فى قبضة البوليس الذى كان يبحث عنه ، وأنه يزمع السفر إلى أمريكا الجنوبية . وطلب كريستوفر من أودين أن يرافقه إلى امستردام . للحاق ببوبى قبل سفره إلى هناك . فقصد الأديبان هذه المدينة حيث لم يجد كريستوفر أية صعوبة فى العثور عليه فقد قابله أمام مبنى مكتب بريد أمستردام الرئيسى وبالفعل رحل بوبى عن هولندا رغم محاولة كريستوفر اثنائه عن ذلك . غير أن المقادير شاءت لهما الالتقاء فى مناسبات عديدة . وبمرور الزمن برد لهيب العشق وتحول الى صداقة هادئة . ولكن هذا العشق على أية حال كان من جانب كريستوفر وحده فهو لم يمنع بوبى من الجرى وراء البنات وملاحقتهن . والجدير بالذكر أن كريستوفر تحمل إعراض عشيقه عنه لمصاحبة الجنس اللطيف عن طيب خاطر . وهى نفس المعاملة التى لقيها على يد عشيقه الألمانى الآخر أوتو كما سوف نرى فى الصفحات اللاحقة .

وبعد رحيل بوبى عن هولندا رجع كريستوفر إلى بريطانيا ليشتغل بالتدريس فى قرية اسكتلندية صغيرة ونائية حيث

أتيحت له فرصة ممارسة الجنس السوى مع امرأة لأول مرة وآخر مرة فى حياته . وفى عام ١٩٣٠ عاد إلى ألمانيا للمرة الثالثة معتزما البقاء فيها . ولولا سيطرة النازية على مقاليد الأمور لما تردد فى أن يفعل هذا . وأدرك مؤلفنا بشكل قاطع فى تلك الفترة من حياته انه يفضل معاشرة الذكور على معاشرة النساء مبررا ذلك بقوله إنه يجب أصواتهم ورائحتهم وحركاتهم وفوق هذا كله نزوعهم إلى الرومانسية . إن الفتيات فى نظره جميلات ولكنهن يفتقرن إلى رومانسية الذكور . وعندما وطأت قدمه الأراضى الألمانية للمرة الثالثة وجد نفسه وحيدا بعد أن هاجر بوبى الى أمريكا الجنوبية ورجع صديقه أودين إلى لندن . وتذكر أنه لا يعرف أحداً في برلين غير فرانسيس الذى سبق أن إلتجأ اليه للعثور على بوبى . فتوجه إلى مسكنه الذى استأجره من أخت مدير معهد الدكتور ماجنوس هيرشفيلد لدراسة شئون الجنس الشاذ . وظن فرانسيس أن الذى يدق جرس بيته هو أحد الغلمان ممن يعاشرهم كان قد غافله وسرق منه بعض ممتلكاته . فخرج للتو كالثور الهائج . ودون أن يتصفح وجه القادم صاح فى وجهه وطرده شر طردة . وأدرك كريستوفر أن هناك خطأ غير مقصود فلفت نظر صاحب البيت إلى ذلك . ولما أدرك فرانسيس خطأه بادر بالاعتذار عن فظاظته ودعاه إلى الدخول وتناول الغداء معه . وعلم كريستوفر منه أن هناك غرفة رخيصة خالية فى نفس المنزل الذى يسكنه فسارع إلى استئجارها . وقد رسم مؤلفنا صورة لفرانسيس فى شخصية أمبروز فى روايته "هناك فى زيارة" (١٩٦٢) .

كان الدكتور هرتشفلد عالما سيء السمعة فى كل أوربا الغربية ذاع صيته بسبب خبرته الواسعة بالشذوذ الجنسى على اختلاف أنواعه وانشائه عام ١٩١٩ معهدا لدراسة هذا الشذوذ وإباحته . واستعان هرتشفلد بعشيقه وسكرتيره كارل جيز فى إدارة هذا المعهد . وقد تعرض هرتشفلد أكثر من مرة للاعتداء بسبب دعوته الصريحة لإباحة الشذوذ الجنسي . وعندما اشتد ساعد النازية قامت الحكومة الألمانية بتجريده من الجنسية الألمانية ، الأمر الذى اضطره إلى الأستقرار فى فرنسا حتى وفاته فى مايو ١٩٣٥ برفقة عشيقه كارل جيز الذى انتحر عام ١٩٣٦ . وقد أصر موظف شيوعى بالمعهد اسمه أدوين هانسن على الاستمرار فى حراسة المعهد رغم ظروفه السيئة . وفى أحد الأيام أغار مائة طالب على المعهد وقاموا باقتحامه وتحطيم أثاثه وأبوابه وجميع محتوياته فضلا عن حرق كل الكتب والمراجع فى مكتبته سواء كانت تتصل بالجنس أو بغيره من فروع المعرفة . وكان كريستوفر حاضرا فى وقت اشعال الحريق فى الكتب فعبر غن تأففه من ذلك بصوت خفيض . وعندما كان المعهد قائما اصطحبه كل من فرانسيس وجيز لزيارة المتحف الملحق به وهو متحف نادر وفريد من نوعه يحتوى على أدوات التعذيب التى يستعذبها شواذ الجنس فضلا عن مجموعة كبيرة من اللوحات والرسوم الجنسية الفاضحة والصور الفوتوغرافية لمشاهير الجنس الشاذ فى العالم مثل صور أوسكار وايلد مع اللورد ألفريد دوجلاس والشاعر ويتمان مع بيتر دويل وادوارد كارنبتر مع جورج ميريل .

وفى حين كانت علاقة كريستوفر بأمه كاثلين متوترة كانت علاقته بعمه هنرى جيدة . واحقاقا للحق لم يكن من الممكن لمؤلفنا أن يعيش فى برلين وينصرف إلى لهوه الشاذ والكتابة فى مقاهيها لولا المساعدات المالية الشهرية التى تلقاها بصفة غير قلٍّ منتظمة من عمه الذى ربطته بابن أخيه علاقة آية فى الغرابة قلا أن نجد لها نظيرا . فقد اشترط هذا العم على ابن أخيه أن يروى له كلما حضر إلى لندن تفاصيل مغامراته الشاذة . فكان كريستوفر كثيرا ما يبالغ فيها بغية تشويق عمه وإثارة اهتمامه . أما علاقة مؤلفنا بأمه كاثلين فهى أشد ما تكون سوءا فهو يحرض أخاه ريتشارد على الخروج عن طوعها ويشجعه على التمرد والامتناع عن مواصلة الدرس والتحصيل للالتحاق بالجامعة . كما أنه تعمد أن يبكيها ويؤذى مشاعرها بالاعتراف لها بمسلكه الجنسى الشاذ . واتخذ من أخيه كاتبا يملى عليه ما يؤلف وصديقا حينما يفضى إليه دون خجل بسريرته وشذوذ أفعاله .

والجدير بالذكر على أية حال أن كريستوفر فى فترة بقائه فى برلين احتفظ بيومياته التى سجل فيها كثيرا من التفاصيل الدقيقة عن حياته الجنسية . وساعدته هذه اليوميات فى تأليف روايتين من أشهر رواياته هما "مستر نوريس يغير القطارات" عام (١٩٣٥) و"وداعا يابرلين" عام (١٩٣٩) . ولكن آثر بعد تأليفهما أن يدمر هذه اليوميات خوفا من أن تقع فى أيدى البوليس أو أيدى أعدائه وشانئيه فيشهرون هذا السلاح فى وجهه . وكان أخلص أصدقائه على علم تام بما يفعل فمنهم من تواطأ معه مثل الشاعر أودين

ومنهم من تحاشى الإشارة إلى هذا الموضوع الحساس مثل أبوارد ، ومنهم من قبل أفعاله برحابة صدر دون أن يمنعه هذا من الخوض من آن لآخر فى القيل والقال مثل ستيفن سبندر ، الأمر الذى أثار غضب مؤلفنا عليه فى إحدى مراحل حياتهما . والجدير بالذكر أن كريستوفر تعاطف مع الشيوعية على نحو رومانسى بسبب تأثير صديقه أبوارد السياسى فيه فقد كان أبوارد شيوعيا يؤمن بالماركسية . وقد زاد هذا من وعى كريستوفر السياسى فى فترة الثلاثينات التى شاهدت بذوغ نجم هتلر وصعوده إلى سدة الحكم . على عكس ما نلاحظ من فتور اتسم به اهتمام أودين بالسياسة .

وأثناء زيارة كريستوفر الثالثة لبرلين فى شهر مايو عام ١٩٣٠ وقع فى غرام غلام غض الاهاب فى نحو السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره أطلق عليه اسم أوتو نوفاك فى روايته "وداعا يابرلين" . وشاهد كل من ستيفن سبندر وأبوارد هذا العشق الجديد عن كثب أثناء زيارتهما لألمانيا . واقترح أوتو علي كريستوفر أن يعيش تحت سقف واحد مع عائلته الفقيرة التى تسكن احدى العشش فلم يجد غضاضة فى الاستجابة إليه وفى أن يجرب هذا النوع من الحياة . ورحبت أم أوتو بضيفها الانجليزى ترحيبا شديدا لأنه كان يسهم فى مصروفات البيت رغم أنها كانت تدرك طبيعة العلاقات الشاذة بينه وبين ابنها ، وخاصة لأن ضيق المكان ساعد على هتك المستور . غير أن لوثار أخا أوتو لم يخف تأففه عنه واشمئزازه من انحلاله الخلقى . وكما أسلفنا كان أوتو ـ شأنه فى ذلك شأن بوبى ـ ينصرف عن مؤلفنا فى كثير من الأحيان لملاحقة الفتيات . ومن الثابت أن ستيفن سبندر

كان لا يرتاح إلى وجود أوتو معه فى نفس المكان . ولكن هذا لم يؤثر مطلقا على علاقة كريستوفر الجيدة بسبندر .

ولم يجد مؤلفنا أثناء اقامته فى ألمانيا أية غضاضة فى تلقى بعض المعونات المالية من صديقيه ستيفن سبندر وادوارد أبوارد . وهى معونات عجز فى كثير من الحالات عن سدادها . وعمل كريستوفر على زيادة دخله باعطاء دروس خاصة فى اللغة الانجليزية للراغبين من الألمان فضلا عن أن سبندر أغدق عليه الهدايا والكتب لشعوره بحاجة صديقه إلى المال . ولم يعترض أبوارد وسبندر مطلقا على أسلوبه الرخيص فى انفاق ما أعطياه من مال على اللهو والغلمان . ورغم شدة تعلق مؤلفنا بأوتو فإن هذا لم يمنعه من انتهاز فرصة غيابه عن البيت لمعاشرة غيره من الغلمان . وكان أخشى ما يخشاه أن يعود أوتو فجأة ويفتح عليه الباب ويضبطه فى ذات الفعل . ثم انتقل كريستوفر ليسكن فى بيت تديره السيدة ميتاثورو التى يسميها السيدة لينا سكرويدار فى كل من روايتيه "المستر نوريس يغير القطارات" و"وداعا يابرلين" . ورغم احترامها لكريستوفر فإنها لم تخف احتقارها الشديد لأوتو الذى اعتبرته طفيليا يعيش عالة على نزيلها . ورغم معرفتها بطبيعة العلاقات بينهما . وأنها كانت دائمة الشكوى من تفشى الانحلال الخلقى فى برلين فإنها لم تثر أية اعتراضات عليها . ومما يستحق التنويه أن مؤلفنا استقى شخصية نوريس ذلك النصاب الشديد الجاذبية من شخصية واقعية لرجل اسمه جيرالد هاملتون قابله عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ . كان يعمل مندوب مبيعات متجول . كان هاملتون - الذى لم يخف علاقته الشاذة بعشيق شيوعى ينحدر من أصل

بروليتارى - أحد المدافعين عن الأجهاض وإصلاح السجون والغاء عقوبة الاعدام . وسوف نعود إلى الاشارة إليه فيما بعد . وفى تلك الفترة من حياته صادف مؤلفنا حسن الحظ فقد أبلغته دار النشر هوجارت بقبول نشر روايته "الذكرى" عام (١٩٣٢) الأمر الذى رفع روحه المعنوية التى تعرضت أحيانا لنوبات عنيفة من الكآبة والقتامة .

وتدل علاقة مؤلفنا بالممثلة "جين روس" التى قامت بأداء دور سالى باولز فى رواية "وداعا يابرلين" التى قدمت على خشبة المسرح الأمريكي بعنوان آخر هو "عيني تشبه عدسة الكاميرا" على موقفه البارد من أجساد النساء . فقد نشأت بينهما علاقة حميمة للغاية دون أن يكون للجنس أى أثر فيها . فعندما اضطرتهما بعض الظروف الطارئة إلى اقتسام الفراش نام بجوارها كما لو كانت مجرد أخت له . ولم يؤثر فى علاقتهما الحميمة علمها بصلته بأوتو وغيره من الغلمان . ورغم أن الأيام فرقت بينهما فقد ظلا يتقابلان فى مودة من وقت إلى آخر حتى توفيت عام ١٩٧٣ .

ويتضح لنا مما كتبته أمه كاثلين فى يومياتها إنها كانت على وعي كامل بعلاقة ابنها الشاذة بأوتو . وهناك صورة نادرة التقطها سبندر تضم فرسان الأدب الثلاثة فى الثلاثينات وهم كريستوفر إيشروود ودابليو يتش أودين وستيفن سبندر ومعهم اليافع أوتو . والجدير بالذكر أن علاقة كريستوفر اعتراها شيء من الفتور بسبب أوبته المتأخرة إلى البيت وكثرة تردده على الكازينوهات وانشغاله المستمر بملاحقة الفتيات . وفيما

بعد أصبح أوتو بطلا فى الرياضة ولكن البطولات التى أحرزها كانت قليلة للغاية .

ثم اتجه كريستوفر إلى غلام آخر من أصل ألمانى - أمريكى كاد مؤلفنا أن يفقد البصر فى احدى عينيه أثناء اللعب معه . فقد خدشها هذا الغلام بعصا كادت أن تدخل فيها . وبعد أن تم شفاء كريستوفر من هذا الخدش انصرف إلى قراءة أعمال فلاديمير لينين بحماس واضح . ورغم عدم انغماس مؤلفنا فى السياسة وبعده عن الالتزام بالايدولوجية الشيوعية فإنه أظهر جنوحا عاما نحو اليسار .

واقترح عالم الآثار فرانسيس (الذى ساعد مؤلفنا فى العثور على بوبى وعلى سكن رخيص فى برلين) على كريستوفر أن يعيش معه فى قلب الريف الألمانى بعيدا عن حياة برلين الصاخبة . وراقت هذه الفكرة لكريستوفر لجملة أسباب منها أن علاقته بأوتو بدأ يعتورها الفتور وأن نفقات المعيشة مع شخص آخر سوف تكون أقل بكثير من نفقات حياته المستقلة فى برلين . فضلا عن انه توقع أن تساعده رتابة الحياة فى الريف على الانتهاء من كتاب بدأ فى تأليفه بعنوان "أسود وظلال" واتفق فرانسيس مع أودين هانسن الذى يشتغل فى معهد الدكتور هرتشفلد الجنسى على العمل كطباخ وأوكل إليه مهمة اختيار غلام يساعده فى ترتيب بيته الريفى . فاختار أدوين لهذا الغرض صبياً مليحا اسمه هاينز ما أن وقعت أبصار كريستوفر عليه حتى انبهر به وقرر على الفور أن يعيش مع فرانسيس فى بلدة موهرين الريفية . وفى

بادىء الأمر تكفل فرانسيس بدفع راتب هاينز ولكنه ما لبث أن غير رأيه عندما لاحظ أن كريستوفر يبيت مع الصبى فى فراش واحد فطالبه بأن يدفع نصف أجر الغلام . وقبل كريستوفر هذا الوضع فقد أحب فى الغلام طيبته وبراءته ووجهه البشوش . كان هاينز شابا نحيفا في نحو السابعة عشرة من عمره كما كان جذابا على الرغم من شفتيه البارزتين وأنفه المجدوع ومنظره الشبيه بمنظر الزنوج . ويبدو أن فرانسيس كان يحدوه الأمل أن تكون له علاقة مثلية بكريستوفر عندما عرض عليه أن يقاسمه الحياة فى الريف . ولعله اعتبر هاينز مزاحما له فبدأ يعامله بغلظة وجفاء . كان من عادة فرانسيس أن يسافر مع طباخه إروين إلى برلين لاحضار بعض الغلمان الذين يلتقطانهما من البارات . فانتقم كريستوفر لهاينز بأن تعمد اساءة معاملة غلمان صديقه . ولكن هذا على أية حال لم يعكر صفو العلاقة بينهما . وبدأت رائحة الفضيحة تفوح وتزكم أنوف أهل القرية فقام بعضهم بابلاغ البوليس الأمر الذى أرغم رفاق السوء على مغادرتها .

ثم دعا فرانسيس كريستوفر لقضاء بعض الوقت فى منزل شرع فى إقامته على احدى الجزر اليونانية الشديدة الصغر والتى استأجرها من سكان أقرب قرية لمدة عشرة أعوام نظير بضعة جنيهات . وهى جزيرة تدعى سانت نيكولاس . كان فرانسيس يأمل فى اكتشاف ما تحويه من آثار . وضمن ايشروود روايته "هناك فى زيارة" وصفا للحياة على هذه الجزيرة نقلها بالحرف الواحد من يومياته . وبات واضحا أن فرانسيس ضاق بوجود هاينز ومن ثم رفض استضافته وطالبه بدفع نفقات اقامته . والجدير بالذكر أن فرانسيس تمكن من

تهريب بعض الأحجار التى تحمل نقوشا فرعونية والتى تساقطت من مقبرة سيتى الأول بالأقصر . أراد فرانسيس أن يزين بهذه الأحجار واجهة المنزل حتى يتباهى بقدمه وبأن تاريخه يرجع إلى ثلاثة آلاف عام . ولما كان المنزل فى طور البناء والتشييد أصبح لزاما على الجميع أن يعيشوا فى خيم يمكن لأى محب للاستطلاع أن يرى ما يحدث بداخلها ، الأمر الذى سبب حرجا لمؤلفنا وعشيقه . فلا غرو إذا رأيناهما أحيانا يتركان الجزيرة ويسافران إلى أثينا للفرجة على الأكروبول والانفراد فى حجرة مريحة بأحد الفنادق بمنأى عن العيون المتلصصة لعمال البناء . وظهرت آنذاك على هاينز مظاهر الضيق والبرم بكل ما يحيط به ، وعبر عن رغبته فى مغادرة الجزيرة وترك كريستوفر الذى أجهش بالبكاء وأستعطفه حتى لا يهجره ، فأخذ هاينز يساومه فهو تارة يطالبه بالسفر إلى باريس وتارة أخرى يشترط عليه شراء قارب له . ولما رفض كريستوفر الاستجابة إليه بدأ يهدده بالعودة إلى برلين . وعندئذ لم يعبأ كريستوفر بتهديده وقرر فى قرارة نفسه الاستغناء عنه فى الوقت المناسب . وطلب هاينز منه أن يدفع ستة آلاف دراخمة إذا أراد منه البقاء . فرفض أديبنا هذا الابتزاز السافر وبالفعل توجه كريستوفر إلى مكتب سفريات ليحجز لعشيقه مكانا للعودة إلى برلين ولكنه وجد كل الأماكن مشغولة . فقام باصطحاب هاينز إلى باريس عن طريق ميناء مارسيليا توطئة للانفصال عنه . ولكن المياه ما لبثت أن عادت إلى مجاريها فعرض عليه كريستوفر أن يسافر معه إلى انجلترا للاقامة فيها . فوافق هاينز على اقتراحه . ودخل هاينز الأراضى البريطانية بتأشيرة دخول سياحية قصيرة الأمد

حيث أخذه كريستوفر ليعيشا مع أمه كاثلين . وكذب كريستوفر على أمه (التى لم تخف عليها علاقته بهاينز) عندما قال لها إنه قابل ضيفه عرضا فى باريس .. وكان من السهل عليها أن تكتشف كذبه فقد اتضح لها من حديث ابنها معها الهادف إلى الاساءة إليها أنه سبق أن التقى بهاينز فى ألمانيا واليونان . وساء الأم أن تتدهور أخلاق ابنها إلى حد الكذب الفاضح والرخيص . وأدركت كاثلين أن الغلام ينتمى إلى الطبقة العاملة فتعاملت معه بنوع من الاستعلاء الطبقى المغلف . ولكن أصدقاء كريستوفر (وعلى الأخص بياتريكس أخت جون ليمان وهمفرى أخو ستيفن سبندر) بذلوا قصارى جهدهم للترحيب بهاينز . ولكن تأشيرة دخول هذا الغلام ما لبثت أن انتهت ، الأمر الذى جعل لزاما عليه أن يغادر الأراضى البريطانية ويعود إلى بلده ألمانيا .

فى تلك الفترة اتصلت الممثلة جين روس تليفونيا بكريستوفر لتبلغه أن مخرجا نمساويا موهوبا هو برتولد فييرتل يزمع اخراج أحد الأفلام وانه عهد إلى إحدى الكاتبات بكتابة حوار الفيلم ولكن مشاغلها حالت دون ذلك ، وعرضت جين روس عليه أن يرسل إلى المخرج نسخة من مؤلفاته حتى يتعرف على قدراته . ورفض مؤلفنا هذا الاقتراح بحجة انه سبق أن أرسل كتبا كثيرة إلى عدد من الناس دون جدوى . فعرضت عليه جين روس أن يدفع نصف ثمن الكتاب وتدفع هى نصفه الآخر . فأصر على الرفض . عندئذ اقترحت عليه أن تدفع كل ثمن الكتاب نظير حصولها على نصف أجره فى الاسبوع الأول فى حالة اسناد العمل إليه . وقبل كريستوفر هذا العرض وأرسل إلى مخرج الفيلم نسخة من كتاب

"الذكرى" فوافق هذا المخرج على اسناد العمل إليه . واستطاع كريستوفر أن يؤلف حوار الفيلم بسهولة ويسر وأن يجرى هذا الحوار على نحو واقعى .

ولكن غياب هاينز عنه آنذاك عكر عليه صفو حياته فتفتق ذهنه عن حيلة جرت فى أذيالها عواقب وخيمة لتمكين الغلام من دخول بريطانيا والبقاء فيها لفترات طويلة . فكتب إلى هاينز يطلب منه الحضور إلى انجلترا ولقنه أن يخبر رجال الجوازات والهجرة فى بريطانيا أن أم كريستوفر هى التى دعته للحضور للعيش معها . وأرسل إليه كريستوفر المال اللازم وطلب منه أن يقول لرجال الجوازات والهجرة أنه ماله الخاص . وفى ٥ يناير عام ١٩٣٤ اصطحب مؤلفنا صديقه الشاعر أودين إلى ميناء هاريتش فى انتظار وصول السفينة التى تقل هاينز . ونزل جميع الركاب دون أن يظهر لهاينز أى أثر . وبحث الأديبان عنه فى كل مكان فوجداه فى حالة بؤس وأرتباك يرثى لهما أمام رجال الجوازات والهجرة البريطانيين الذين فحصوا جواز سفره الذى أفادت بياناته بأنه خادم . وتشككوا فى أمره فقاموا بتفتيشه فعثروا لسوء حظه على الخطاب الذى سبق لكريستوفر أن أرسله إليه . وعبثا حاول كريستوفر وأودين أن يتدخلا فى الأمر فقد أصر المسئولون على إعادة الغلام على أول سفينة متجهة إلى ألمانيا . فرجع مؤلفنا إلى لندن برفقة صديقه أودين محزونا كاسف البال . وفى تلك الفترة توفر كريستوفر لمدة أسبوعين على مراجعة النص السينمائى للفيلم المزمع اخراجه وهو بعنوان "الصديق الصغير" . ثم بادر بتسليمه حتى يتمكن من السفر إلى برلين للقاء هاينز . وبعد عودته الى برلين اتضح لمؤلفنا أن هو نفسه

أصبح موضع شك البوليس الألماني . الأمر الذى جعله يسارع بالرحيل عن ألمانيا وخاصة بعد أن رأى بعينيه أن النازيين قد أحكموا قبضتهم على مقاليد الأمور .

واصطحب كريستوفر الغلام هاينز إلى امستردام بهولندا حيث عاشا معا لمدة عشرة أيام قفل بعدها مؤلفنا راجعا الى انجلترا ليحضر تصوير الفيلم المشار إليه . ثم عاد إلى امستردام ليرافق عشيقه فى رحلة إلى جزر الكنارى . ثم تعددت أسفارهما إلى بعض الجزر الأخرى . وأخيرا استقر رأى مؤلفنا على أن يعيش بعض الوقت فى العاصمة الدانيماركية كوبنهاجن حيث وجد فيها بعض أصدقاء ومعارف ستيفن سبندر الذين بذلوا قصارى جهدهم للعمل على راحته . غير أن شعورا بالاكتئاب انتابه ولم يزايله إلا بعد أن علم بقرب وصول صديقه أودين إلي الدانيمارك . وشهدت تلك الفترة تعاونا بين ايشروود وأودين فى تأليف بعض الأعمال الأدبية أبرزها مسرحية "كلب تحت الماء" التى لقيت نجاحا عند عرضها على خشبة المسرح فى لندن عام ١٩٣٦ . ولهذه المسرحية عنوان آخر هو "أين فرانسيس" ؟ وأغفلت دار النشر ذكر اسم ايشروود باعتبار أن دوره فى تأليف المسرحية ثانوى للغاية . وتعتبر هذه المسرحية أنجح المسرحيات الثلاث التى اشترك كل من أودين وايشروود فى تأليفها . واتضح لمؤلفنا أن السلطات الدانيماركية سوف تطالبه بدفع ضرائب عن التأليف . فضلا عن أنها لن تسمح له بالاستمرار فى البقاء على أراضيها لأنها اعتبرته كاتبا سياسيا . وانزعج مؤلفنا انزعاجا شديدا عندما علم أن عشيقه

هاينز مطلوب لأداء الخدمة العسكرية فى ألمانيا النازية وأن جواز سفره الألمانى على وشك الانتهاء فى عام ١٩٣٨ . ولم يجد كريستوفر حلا لهذه المشكلة غير أن يتجنس هاينز بأية جنسية أخرى فالتجأ إلى النصاب جيرالد هاملتون كى يساعد عشيقه فى الحصول على جنسية جديدة . ولهذا شد رحاله ومعه هاينز إلى بروكسل فى بلجيكا لمقابلة هاملتون الذى وعده بذلك ولكنه أخلف وعده . وفى تلك الفترة توجه كريستوفر إلى انجلترا حيث مكث فيها زمنا قصيرا فلما عاد إلى بروكسل اكتشف أن السلطات البلجيكية لا ترغب فى تجديد إقامة عشيقه بسبب جنسيته الألمانية . فخطر له أن يذهب إلى هولندا ويحصل على تصريح الاقامة عن طريق القنصلية البلچيكية الموجودة هناك . وسافر كريستوفر وعشيقه لهذا الغرض إلى أمستردام . وفى تلك الأثناء أصبح كريستوفر بفضل ايكرلى كاتبا منتظما فى مجلة الليسنر المعروفة تظهر مقالاته بجانب كتابات مشاهير الكتّاب مثل ا . م . فورستر وأدوين موير . وتناولت احدى مقالاته المنشورة فى ٢٦ يونية عام ١٩٣٥ مسرحية ت . س . إليوت "جريمة قتل فى الكاتدرائية" ، كما تناولت احدى مقالاته الأخرى المنشورة فى ١١ أغسطس عام ١٩٣٧ كتاب الرحلات الذى ألفه كل من أودين وماكنيس بعنوان "خطابات من ايسلندا" .

وفى فترة إقامة كريستوفر فى هولندا حضرت إليها إيريكا ابنة الكاتب الألماني الكبير توماس مان هربا من الطغيان النازى . وبعد أن تعرفت إيريكا به فاجأته بأن عرضت عليه الزواج منه حتى تستطيع الحصول على جواز سفر بريطانى يمكنها من الاقامة بانجلترا . ورفض كريستوفر أن يستجيب

لهذا الطلب الغريب لان اقدامه على مثل هذا الزواج قمين بأن يزيد صلته بعشيقه هاينز تعقيدا . وطلب من إيريكا أن تعرض فكرتها على صديقه أودين فلم يمانع في تلبية رغبتها .

ثم زار جون ليمان أمستردام حيث تناقش مع ايشروود في موضوع إصدار مجلة أدبية وفكرية تعكس أحوال الأدب المعاصر في كل أرجاء القارة الأوربية وهو مشروع قديم سبق لجون ليمان أن اقترحه عليه في برلين . ولكن ظروف اكتساح المد النازى للساحة السياسية الألمانية كان سببا في تأجيل تنفيذه وأصدر جون ليمان في مشروعه الثقافى الهام سلسلة من الكتيبات الأدبية تحمل عنوان "كتابات جديدة" . ويجدر بالذكر أن هذه السلسلة لعبت دورا هاما فى تجديد شباب الأدب الانجليزى فى فترة الثلاثينات والأربعينات . وفى امستردام استقبل مؤلفنا أيضا بريان هوارد الذى زاره برفقة عشيقه الغلام تونى إلى جانب الروائى الكبير ا . م . فورستر الذى جاءه برفقة عشيقه رجل البوليس بوب بكنجهام . وقبل أن نواصل الحديث عن قصة كريستوفر مع عشيقه الألمانى هاينز يجدر بنا أن نلقي الضوء على علاقته بالروائى الكبير أ . م . فورستر وظروف توطدها .

كان أ . م . فورستر فى الثالثة والخمسين عندما تعرف به كريستوفر ايشروود عن طريق الأديب وليم بلومر . وكان أديبنا يحمل الاعجاب العظيم بفورستر ويعتبره مثله الأعلى فى عالم الأدب بل فارس الكلمة فى العصر الحديث . وأسعده أيما سعادة أن يعبر فورستر عن اعجابه بروايته "الذكرى" وعزمه على الكتابة عنها . واعتبر هذا بمثابة نيشان على صدره يفوق

فى قيمته الحصول على جائزة نوبل للآداب . ونشأت بين الرجلين صداقة عظيمة وتبادلا الزيارات . وشعر كريستوفر شعورا غامرا بالسعادة والفخر عندما طلب إليه فورستر ابداء الرأى فى مخطوط روايته "موريس" التى تناولناها فى الفصل الأول وقلنا إن مؤلفها امتنع عن نشرها حتى وفاته عام ١٩٧٠ رغم أنه كتبها فى وقت باكر عام ١٩١٣ ـ ١٩١٤ . وفى هذه الرواية يعترف فورستر دون مواربة بشذوذه الجنسى . وتضاحك كريستوفر لفرط تحفظ فورستر فى معالجة هذا الموضوع الشائك فقد دأب فى روايته على استخدام كلمة (يشاركه) بدلا من كلمة يضاجعه . ورغم تحفظ كريستوفر على قيمة هذه الرواية من الناحية الفنية فإنه عبر عن تحمسه الشديد لها واصفا إياها بأنها عمل نبيل . وتأثر فورستر تأثرا بالغا بتحمس كريستوفر لروايته فتقدم منه ليقبله فى رفق على احدى وجنتيه . وقبل وفاته أوصى فورستر بأن تذهب عائداته من رواية "موريس" إلى كريستوفر . غير أن مؤلفنا آثر تخصيصها لمساعدة الكتاب البريطانيين الشبان على السفر إلى الولايات المتحدة التى خطر له أن يزورها آنذاك .

نعود إلى حكاية هاينز فنقول إن كريستوفر ذهب إلى روتردام حيث سعى لدى القنصلية البلچيكية هناك للحصول على إذن بإقامة هاينز فى بلچيكا . ولكن القنصلية رفضت طلبه . فاقترح عليه صديق أن يسافر إلى لوكسمبورج التى كانت تسمح بدخول الزوار إليها بدون أية تأشيرات دخول . وبالفعل أصدرت القنصلية البلجيكية فى لوكسمبورج على الفور إذنا بإقامته وإقامة هاينز فى الأراضى البلجيكية لمدة ثلاثين يوما .

وبعد بلجيكا اتفق كريستوفر مع ستيفن سبندر وصديق آخر على الاقامة بعض الوقت فى لشبونة للاستمتاع بدفء البرتغال ومعهم هاينز بطبيعة الحال . وهناك استأجر الأربعة فيللا مستقلة يقوم فيها طباخ وخادمة على خدمتهم مستفيدين في ذلك بانخفاض تكاليف المعيشة فى البرتغال . واستطاع كريستوفر بأدبه الجم ورقة حاشيته أن يجتذب إليه قلوب سائر سيدات الجالية الانجليزية فى لشبونة ، الأمر الذى جعلهن يغضضن الطرف عن علاقته بهاينز . وزاد من استحسانهن له قدرته الفائقة على اضحاكهن وادخال التسلية فى نفوسهن .

وبعد اشتراك أودين وايشروود فى تأليف مسرحية "الكلب تحت الجلد" قام هذان الأديبان بالاشتراك فى تأليف مسرحية أخرى تدور حول تسلق الجبال بعنوان "الصعود الى قمة ف ٦" عام (١٩٣٦) أسهم فيها مؤلفنا بنصيب أوفر من اسهامه السابق فى "الكلب تحت الجلد" . يقول مؤلفنا فى هذا الشأن أن مسرحية "الصعود الى قمة ف ٦" تعالج موضوع الدوافع الإنسانية وكيف أن هذه الدوافع قمينة بأن تجعل من أى عمل شيئا بطوليا أو خسيسا وفقا لطبيعة الدوافع الداعية إليه . ويضرب إيشروود المثل على ذلك برحلات ومغامرات ت . أ . لورانس فى صحراء الجزيرة العربية التى كان حبه لها هو الدافع وراء التجوال فيها . ولكن هذا الحب الخالص ما لبث أن تعرض للاستغلال السياسى .

ومر ايشروود بمحنة عندما تجددت مشاكل عشيقه هاينز بصورة حادة واستدعته الحكومة الألمانية للتجنيد . واستشار ايشروود محاميا بشأن امكانية حصول هاينز على الجنسية

البرتغالية . فأشار عليه المحامى باستحالة الحصول عليها . ولهذا بدأ مؤلفنا يمارس الضغط على والدته كاتلين كى تساعد هاينز بأموالها فى تغيير جنسيته الألمانية . وطلب منها أحد المحامين فى بروكسل أن تدفع له أتعابا قدرها ألف جنيه وأفهمها أنه ليس مغسلا وضامن جنة . وعندما اصطدمت الأم بهذه العقبات الكأداء طلبت من ابنها أن يسافر الى بلچيكا ليكون قريبا من المحامين وموقع الأحداث . وهناك عرفه صديقه جيرالد هاملتون بموظف يعمل بالمفوضية المكسيكية فى بروكسل أعطاه هاملتون مبلغا كبيرا من المال نظير مساعدة هاينز فى الحصول على الجنسية المكسيكية .

وعندما اندلعت الحرب الأهلية الأسبانية عام ١٩٣٦ بادر أصدقاء ايشروود بالتطوع فيها دفاعا عن الديمقراطية ضد فاشية الجنرال فرانكو . فتطوع الشاعر أودين للخدمة كسائق سيارة اسعاف كما سبق أن أوضحنا . وسافر ستيفن سبندر عام ١٩٣٧ إلى الجبهة الأسبانية كمراسل لصحيفة الديلى وركر الشيوعية . ولولا قلق ايشروود على مصير عشيقه هاينز وحرصه على تأمين مستقبله لحذا حذوهما . ومرت الأيام دون أن ترد إليه أية أخبار تبشر بالخير عن قرب تجنس هاينز بالجنسية المكسيكية فاقترحت إحدى الصديقات أن يتدرب هاينز على حرفة . ولما كانت تعرف صانعا للأدوات الفضية فى باريس فقد عرضت عليه تدريب هاينز على هذه الصنعة فقبل . وسافر الغلام إلى باريس لهذا الغرض . ثم ذهب ايشروود لقضاء بعض الوقت فى لندن . وهناك تلقى مكالمة هاتفية من صديقه الشاعر أودين الذى تصادف وجوده فى

باريس آنذاك تخبره بأن غلامه يواجه بعض المشاكل نتيجة فقده بطاقة تحقيق شخصية أثناء تعاركه فى أحد شوارع باريس . وجاء البوليس الفرنسي ليلقى القبض على هاينز ، ووجهت إليه تهمتان أولاهما احتراف الدعارة والأخرى الاعتداء على امرأة صماء بكماء تعمل فى فندق . وطلب منه البوليس الفرنسي مغادرة البلاد بمجرد انتهاء التصريح له بالإقامة . وتطوع أحد الأصدقاء بمرافقة هاينز والعودة به إلى لوكسمبورج التى حضر كريستوفر إليها من بلجيكا لمقابلة عشيقه الطريد . ولكن البوليس فى لوكسمبورج لم يمهل هاينز طويلا فقد جاء إليه ليبلغه بأمر طرده . واسقط فى يد ايشروود واستبدت به الحيرة فاتصل هاتفيا بمحاميه الذى أشار عليه بعودة هاينز إلى ألمانيا والانتظار هناك لحين حصوله على تأشيرة دخول قصيرة الأمد إلى بلچيكا . ولكن هذه النصيحة جرت المشاكل فى أعقابها . فقد قام الجستابو بالقاء القبض عليه بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية . واستدعى ايشروود محاميا ألمانيا إلى بروكسل وعهد إليه بمهمة الدفاع عن هاينز عند تقديمه إلى المحاكمة . وحزن مؤلفنا على فراق عشيقه حزنا عظيما وغمره احساس جارف بأنه لن يراه مرة أخرى فذرف عليه الدموع . واعتقد أن صديقه جيرالد هاملتون قد غدر به أو ضحك عليه فحز ذلك فى نفسه ، واعتبره مسئولا عما لحق بعشيقه من أذى . ولم يخفف من كرب ايشروود فى تلك الفترة سوى انصرافه الى كتابة روايته "أسود وظلال" . وجاءت الأنباء من ألمانيا تفيد بصدور حكم على هاينز بالسجن لمدة ستة شهور ثم بالخدمة العامة الشاقة لصالح الدولة لمدة عام يعقبها التحاقه لمدة عامين بالجيش الألمانى . ويبدو أن

هذا الحكم كان مخففا بالمقارنة بالأحكام القاسية التى أصدرها النظام النازى ضد الممارسين للشذوذ الجنسى . وبانتهاء علاقة ايشروود بهاينز هذه النهاية غير السعيدة بدت أواصر الصداقة بين مؤلفنا والشاعر أودين تتحول إلى عشق وممارسة للمثلية لم يقيض لها أن تستمر طويلا .

الشرق الأقصى والصين :

فى ١٩ يناير عام ١٩٣٨ سافر الأديبان ايشروود وأودين الى الشرق الأقصى (حيث زارا الصين) على ظهر سفينة ركاب فرنسية اسمها أراميس متجهة إلى ميناء كوبى فى اليابان . ووصلت الباخرة إلى ميناء بورسعيد فى صبيحة يوم ٢٥ يناير فوجدا أن صديقهما القديم عالم الآثار فرانسيس قد حضر من القاهرة لرؤيتهما . ونصحهما فرانسيس بعدم اضاعة وقتهما فى مدينة مملة مثل بورسعيد وبالسفر إلى القاهرة للفرجة على أهراماتها ثم اللحاق بالباخرة فى صبيحة اليوم التالى فى بور توفيق . وبالأسف لم ترق الأهرامات فى عيون ايشروود وأودين اللذين اعتبراها مجرد كومة من الحجارة في محجر . ولكنهما انبهرا بأبى الهول . وذكر لهما أحد ركاب الباخرة ان المصريين هم أول من نبهوا الى تفوق أمريكا على سائر بلاد العالم بدليل أنهم شيدوا أباالهول ليتجه ببصره غربا نحو أمريكا . وتأثر أودين بهذا الاعتقاد فألف قصيدة جاء فيها أن أباالهول يتجه ببصره صوب الغرب . ولكن الشكوك لم تلبث أن راودته فاتصل بأحد المصريين العاملين بالسفارة المصرية فى لندن ليستفسر منه عن

الاتجاه الصحيح . وصحح هذا المصرى معلوماته الأمر الذى جعله يغير قصيدته فيقول إن "أباالهول يعطى ردفه الكبير إلى امريكا بصوتها الذى يصك الآذان" . وفى المساء جلس الأديبان مع فرانسيس وبعض أساتذة الجامعة المصرية من الاجانب ليتحدثوا ويتسامروا . فتكاثر حولهم الباعة المتجولون وسببوا لهم الضيق . ومن بورسعيد اشترى الأديبان بعض الصور الجنسية الفاضحة ولكنهما قررا التخلص منها حتى لا تقع فى أيدى سلطات هونج كونج المحافظة . ثم وصلا إلى الصين التى كانا يجهلان لغتها وتاريخها وتفاصيل الحرب والعداوة التى احتدمت بينها وبين اليابان الأمر الذى اضطرهما الى الاعتماد على مترجم .

لكن هون عليهما ذلك الاستقبال الدافىء الذى لقياه على المستوى الرسمى فقد قابلهما على رصيف الميناء مندوب خاص أوفدته القنصلية البريطانية . وفى رحلتهما لم يجد ما يسريان به عن نفسيهما غير قراءة بعض روايات أنتونى ترولوب ووالتر سكوت وغناء بعض الأوبرات والدخول فى مناقشات حامية الوطيس حول الدين . وفى ثنايا النقاش المحتدم بينهما صاح أودين فى وجه كريستوفر قائلا : "ياعزيزى لن أندهش اذا رأيتك تعود إلى حظيرة الدين فى يوم من الأيام" . وهذه نبوءة باكرة لارتداد كريستوفر ايشروود اللاحق عن الكفر الى الدين . وبسبب الحرب الدائرة رحاها آنذاك بين الصين واليابان لم يكن بوسعهما الوصول الى شنغهاى الواقعة تحت الاحتلال اليابانى دون الاستعانة بصديق يعرف طرق الصين ومسالكها الآمنة . وفى شنغهاى لم يتعرض الأديبان لأى أذى بسبب احترام اليابانيين

للجاليات الأجنبية هناك . وفى تلك المدينة وجد الأديبان ما يبتغيان من متعة وراحة وزاد من متعتهما انتشار الدعارة بين الذكور هناك . ورغم انشغالهما بدراسة ظروف العمالة وأحوال العاملين فى هذه المدينة فقد وجدا لديهما فسحة من الوقت لزيارة حمامات المدينة ومقابلة نفر من شبابها الغض النضير . ولأن الفترة التى قضاها ايشروود وأودين سويا فى الصين كانت أطول فترة قيض لهما أن يعيشاها معا فقد ظهرت بعض الخلافات الجذرية فى طبعهما . فقد تضايق أودين من نزوع صديقه إلى الديكتاتورية واستبداده بالرأى وأيضا من نوبات الكآبة التى تعتريه من وقت لآخر فى حين تضايق ايشروود من تحجر أودين وجموده الفكرى . ولكن هذه الخلافات على أية حال كانت أقل من أن تسبب شرخا فى جدار صداقتهما التى استمرت حتى بعد أن تبدد العشق المتبادل بينهما .

وبعد الصين فكر الأديبان الصديقان فى زيارة أمريكا فى طريق عودتهما إلى أوربا . ولكن الموظف فى القنصلية الأمريكية فى شنغهاى كان معتل المزاج بسبب إلحاح مجموعة من الروس البيض الذين أصروا على الهجرة الى الولايات المتحدة رغم عدم موافقة السلطات الأمريكية على ذلك . وشاء حظ ايشروود وأودين العاثر أن يتقدما بطلب تأشيرة دخول أمريكا فى نفس هذا الوقت . فالتفت إليهما موظف القنصلية غاضبا وقال لهما إنه لن يمنحهما التأشيرة المطلوبة إلا إذا أثبتا له أن زيارتهما لأمريكا ضرورية . غير أن رفض هذا الموظف سرعان ما تحول إلى ابتسامة عذبة

عندما ذكرا أمامه أنهما على صلة بالسفير البريطانى . والجدير بالذكر أن هذا السفير كان واحدا من المعجبين بكتابات ايشروود .

وبعد رحلة منهكة وصل الأديبان إلى مدينة نيويورك كما سبق أن ذكرنا حيث استقبلهما صديقهما جورج دافيز الذى أدخل السرور على قلبيهما عندما أعطاهما لفافة من الدولارات هى حصيلة مجموعة من المقالات كانا قد كتباها عن أسفارهما وأرسلاها إليه للنشر فى مجلته وغيرها من المجلات . وكما سبق أن ذكرنا أراد جورج دافيز أن يكرم وفادتهما فسألهما عما يريدان . فأجاب ايشروود انه يزيد غلاما أمريكيا ذكيا وسيما وأشقر الشعر وله ساقان جذابتان . ولم يمض وقت حتى أجابه دافيز إلى طلبه وأحضر له غلاما فتن مؤلفنا به اسمه (فرنون) . ويبدو أن ايشروود قبل عودته إلى بلاده غرق فى متع الجنس الشاذ حتى قمة رأسه لدرجة جعلت أودين يغار منه بل ويبكى من فرط غيظه من استئثار زميله بالمتع دونه .

الهجرة إلى أمريكا :

رجع كريستوفر ايشروود إلى بلاده بعد أن تركت فيه زيارته لامريكا أعمق الأثر .: وأصبحت نفسه تهفو إلى العودة إليها . ولهذا رحب باقتراح أودين بالهجرة إلى أمريكا فى عام ١٩٣٩ قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية . وأغرى مؤلفنا بالهجرة إلى أمريكا أنها تتحدث نفس لغته مما سوف يزيد من فرصه فى العمل وفى كتابة سيناريوهات الأفلام . وفى أمريكا عاش ايشروود وأودين تحت سقف واحد لبعض الوقت . غير

أنهما ما لبثا أن افترقا . وقد سبقهما إلى الهجرة إلى أمريكا عدد من ألمع كتُاب انجلترا ومفكريها مثل ألدوس هكسلى وجيرالد هيرد . ودعت النوادى والهيئات الأدبية المختلفة كلا من ايشروود وأودين لالقاء المحاضرات . وكانت احداها ـ التى اشترك فيها زميلهما الشاعر ماكنيس ـ بعنوان "اتجاهات حديثة فى الشعر والنثر الانجليزى" وحضرها شابان امريكيان هما والترجيمس ميلر وزميله تشستر كولمان . وبعد انتهاء المحاضرة طلب كولمان من كلا الأديبين عنوانهما فأعطياه له . والجدير بالذكر أن انصراف أودين الكامل الى قرض الشعر وانشغاله التام بقصائده كان يلهيه عن الانغماس من تلقاء نفسه فى المغامرات الجنسية . بل كان ينتظر دوما تشجيعا على ذلك من الطرف الآخر . على العكس من ايشروود الذى كان باستمرار يمسك في يده زمام المبادرة . ومعنى ذلك أن أودين كان يغتنم أية فرصة سانحة لممارسة الجنس الشاذ طالما أن الطرف الآخر يشجعه عليه . وهكذا بدأت علاقة أودين بالشاب تشستر كولمان وهو ما سبق أن تناولناه بالتفصيل عند الحديث عن هذا الشاعر فى الفصل الثانى . ويجدر فى هذا الصدد الاشارة إلى أن أمريكا شاهدت نهاية التعاون الأدبى الذى نشأ بين ايشروود وأودين . فقد كان آخر مقال اشترك هذان الأديبان فى كتابته بعنوان "عشرة أدباء بريطانيون شبان فى طريقهم إلي الصعود" نشرته مجلة "فوج" بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٣٩ وبعد انتهاء التعاون الأدبى بينهما ضعفت الصلة بينهما ومضى كل منهما فى سبيله . والأدباء الذين تناولاهما فى مقالهما جورج أورويل ورالف بيتس وآرثر كولدر مارشال وهنرى جرين وستيفن

سبندر وركس وارنر وادوارد أبوارد ووليم بلومز وجيمس ستيرن .

وفى تلك الفترة بدأ ايشروود يتجه إلى السلام ونبذ الحروب دون أن يستند فى ذلك إلى أية معتقدات دينية . غير أن جيرالد هيرد الذى استقر في لوس أنجلوس عام ١٩٣٧ استطاع أن يفتح شهيته لمعرفة المزيد عن التصوف الهندى المعروف باليوجا ، الأمر الذى انتهى به إلى دراسة الفلسفة البوذية المتصوفة المعروفة باسم بالفيدانتا . وفى ٧ يولية عام ١٩٣٩ أرسل ايشروود خطابا إلى جون ليمان عبر فيه عن حنينه لرؤية أصدقائه فى لندن وقارن بين عشيقه الأمريكى الحالي فرتون وعشيقه الألماني السابق هاينز . يقول ايشروود فى هذا الصدد أن فرنون أكثر جدية من هاينز فهو يحب قراءة أعمال فرويد و هـ . ج ويلز وغيرهما من الكتّاب ولا يحب السهر خارج البيت فى المساء ، فضلا عن أنه يذهب إلى مدرسة ليتعلم الفنون . ويذكر ايشروود فى خطابه إلى جون ليمان ايمانه بالدعوة إلى السلام ولكنه يعترف أن هذه الدعوة نفرت منه عددا من الأصدقاء أكثر مما نفرتهم منه ممارسته للشذوذ الجنسى .

وحتى يفهم ايشروود فلسفة الفيدانتا أكثر وأكثر تعرف بالحكيم الهندى سوامى برابها فانندا الذى اعترف له بممارسته للشذوذ الجنسي فترفق به هذا الحكيم وطمأنه الى أن هذا ليس عائقا فى سبيل بحثه عن الله وأكد له أن الفيدانتا سوف تنتهى به فى نهاية الأمر الى حياة الطهر والقداسة والعفاف . وعندما أعلن مؤلفنا ايمانه بهذه الفلسفة البوذية

ازور عنه كثير من أصدقائه أكثر من ازورارهم عنه بسبب دعوته الى السلام . وكان رفيق عمره الشاعر أودين أول من اختلف معه حول هذا الشأن رغم اتفاقه الكامل معه حول موضوع السلام ونبذ الحروب . وعلى أية حال أنحى جون ليمان وآخرون باللائمة على كل من ايشروود وأودين لتقاعسهما فى الدفاع عن وطنهما عندما تعرض لأخطار العدوان النازى عليه . فقد كان يتوقع منهما العودة إليه للزود عنه والوقوف بجانبه فى محنته . وفى يونية عام ١٩٤٠ أثار رجل عسكرى محافظ هو السير جوسلين لوكاس زوبعة عندما تقدم باستجواب المسئولين فى وزارة العمل عن اعتزام الحكومة البريطانية استدعاء الشباب البريطانى فى سن التجنيد ممن يعيشون فى الخارج مثل أودين وايشروود لأداء واجبهما الوطنى . وفى نفس هذا العام تلقى ايشروود وهو فى أمريكا نبأ وفاة عمه الموسر الشاذ هنرى وأيلولة ميراثه إليه . ولكن شعوره بالتقصير فى حق أمه كاثلين وأخيه ريتشارد جعله يتنازل لهما عن التركة بأكملها . وفى تلك الفترة من حياته شعر ايشروود بميله نحو الملة المسيحية المعروفة باسم الكويكرز بسبب دعوتها الى السلام والتسامح ونبذ التعصب وإلى الايمان ـ مثل فلسفة الفيدانتا ـ بان الله موجود داخل كل إنسان ويتعين على المرء اكتشافه .

وكانت طائفة الكويكرز تدير معهدا تعليميا يعنى بمساعدة المهاجرين الوافدين من أوربا على التأقلم على الحياة الأمريكية . وكلف هذا المعهد كريستوفر بتدريس اللغة الانجليزية للمهاجرين الألمان والنمساويين . ولم تكتف طائفة الكويكرز بذلك بل اهتمت بتعريفهم بالعادات والمؤسسات

الأمريكية . وتدل التقارير التى سطرها المسئولون فى هذه الطائفة أن مؤلفنا اضطلع بمهام وظيفته بكل حماس وتفان واخلاص . وفى فترة عمله بالمعهد توثقت عرى الصداقة القائمة على الاعجاب المتبادل بينه وبين محاضر شاب فى اللغة الأسبانية بكلية هافر فورد اسمه بلان روس الذى لاحظ اعراضه عن الكتابة آنذاك فألح عليه أن يداوم عليها حتى لا يفتر حماسه لها . ورغم أن ضغط بلان روس عليه لم يثمر سوى قصة هزيلة بعنوان "خذها أو اتركها" نشرتها مجلة النيويوركر فى عام ١٩٤٢ فقد شعر مؤلفنا بامتنان عميق لصديقه دفعه فيما بعد إلى أن يهديه روايته "البنفسج الهازل" عام (١٩٤٥) . وعندما شن اليابانيون فى ٧ ديسمبر عام ١٩٤١ هجومهم المفاجىء على ميناء بيرل هاربور الأمريكى كان كريستوفر قد طلب قيد رغبته فى الحصول على الجنسية الأمريكية . وبذلك أصبح من حق الجيش الأمريكى أن يستدعيه الى الخدمة العسكرية . ولكن هيئة الكشف فى ولاية بنسلفانيا أعفته من التجنيد باعتباره واحدا من معترضى الضمير . وأوضح كريستوفر منذ البداية إنه على استعداد للالتحاق بالإدارة الطبية التابعة للجيش بشرط دم مطالبته بحمل السلاح فامتنع المسئولون عن اعطائه وعدا بذلك .

وبعد تعاونه مع طائفة الكويكرز انتقل للعمل مع أتباع المذهب البوذى المعروف بالفيدانتا ولكنه ابتعد عنهم لفترة من الزمن افادته فى التفكير الهادىء فى معتقدات كلا المذهبين الكويكرز والفيدانتا . ولعبت مقابلته للحكيم الهندى برابها فانندا دورا فى تحديد اختياراته وإيثاره المذهب البوذى على

مذهب الكويكرز المسيحي . ورغم اعجابه بأتباع هذا المذهب الأخير فقد ضايقه تزمتهم الأخلاقي على نحو بيوريتاني . فلا غرو إذا رأيناه يكتب مقالا مستفيضا استغرق منه كثيرا من الوقت والجهد بعنوان "الفيدانتا والعرب" يدافع فيه عن المذهب البوذى . وفي عام ١٩٤٣ دعته جماعة الفيدانتا بهوليوود ان يعيش بينهم ، فلبى الدعوة وابتعد عن عشيقه فيرنون الذى آثر هو أيضا أن ينفصل عنه .. وأخيرا تزوج فيرنون وأنجب طفلا أسماه كريستوفر . وساعدت حياة الفيدانتا مؤلفنا الى حد ما فى ترويض نفسه وكبح جماح شهواته فامتنع عن أكل اللحوم واستغرق فى التأمل لفترات طويلة وحاول الامتناع عن ممارسة الجنس . ولكنه استمر فى نفس الوقت فى كتابة سيناريوهات الأفلام . وجر عليه ايمانه بمذهب الفيدانتا سيلا جارفا من العداوات حتى من أعز أصدقائه مثل جون ليمان . ولكن أ . م . فورستر دافع عنه فى غيابه وقال إنه لابد وأنه يدرك ما يفعل . ولكنه كان يترك جماعة الفيدانتا أحيانا بحثا وراء المتعة الجنسية المحرمة . وفى تلك الفترة من حياته ارتبط بصداقة طباخ مصاب بالشذوذ الجنسي اسمه دنهام (أو دينى) فاوتس كان قد عرفه فى لندن عام ١٩٣٨ . ورسم ايشروود صورة لهذا الطباخ فى روايته "هناك فى زيارة" . فضلا عن أن الروائى الأمريكى جورفيدال رسم صورة لهذا الرجل فى قصته "صفحات من صحيفة مهجورة" وكذلك صورة الكاتب سبيد لامكين فى قصته "الجرى وراء بيض عيد القيامة" . ونشأت صداقة حميمة بينه وبين الكاتب المسرحى الأمريكى المعروف تنيسى

وليامز الذى لم يشارك مؤلفنا اهتمامه بالأدب والسينما فحسب بل بالغلمان أيضا .

وفى فترة الحرب العالمية الثانية تفشت الرذيلة بين الجنود والمحاربين الذين غصت بهم شوارع هوليوود ونواصيها واجتمعوا أثناء أجازاتهم لاقامة حفلات سكر وعربدة ودعارة على الشواطىء الواقعة شمال سانتا مونيكا . ولم تتوقف هذه الحفلات الصاخبة بتوقف الحرب الأمر الذى جعل سكان المناطق المجاورة يضجون بالشكوى ويطلبون من أجهزة الدولة وضع حد لها . وفى احدى هذه الحفلات وقعت أنظار مؤلفنا على غلام اسمه وليام (بيل) كاسكى وهو يغسل الاطباق فى احدى كافتيريات الشاطىء . وخلب الغلام لبه فتقدم منه وعرض عليه مساعدته فى غسل الأطباق حتى يمكنه التعرف به . وتوثقت العلاقة بينهما وأصبح هذا الغلام خليله . كان بيل كاسكى يصغر مؤلفنا بسبعة عشر عاما وتميز بالدماثة والهدوء ولكن سورة الغضب العارم وغير المفهومة كانت تجتاحه فى فترات متباعدة الأمر الذى ساعد مؤلفنا على التركيز على الكتابة ورغم دماثة خلق بيل كاسكى معه تصرف ذات مرة على نحو فاضح وغير لائق فقد دعاه الممثل المعروف تشارلى شابلن وزوجته هو وكريستوفر صديق العائلة لتناول طعام الغداء فى بيتهما . وبحث بيل كاسكى عن مقعد خال يجلس فيه فنادت عليه إحدى معارفه من المدعوات اسمها ناتالى موفات ليأتى ويجلس بجوارها وهى تقول له : « تعال يابيل واجلس بجوارى فأنا أحب صحبة أزهار البانسيه »

(كناية عن شواذ الجنس من الذكور كما كانوا يسمونهم آنذاك) فرد عليها الشاب بقوله : « ياعزيزتى ناتالى ، أنت تستخدمين لغة دارجة عفا عليها الزمن فالكلمة الصحيحة هى (مصاص القضبان) » ووقع هذا الرد على المجتمعين وقع الصاعقة ـ ومما زاد الطين بلة أن شارلى شابلن اكتشف ذات مرة أن كريستوفر وبيل تبولا على الكنبة الموجودة فى حجرة الجلوس وهما فى حالة سكر بين الأمر الذى جعله يتوقف عن دعوتهما الى بيته بعد هذه الحادثة .

وفى ٢١ يناير ١٩٤٧ عاد كريستوفر الى انجلترا لأول مرة بعد غيبة طالت نحو ثمانية أعوام من اندلاع الحرب العالمية الثانية . فلاحظ أن بلاده لازالت تعانى من ويلات الحرب فى حياتها اليومية أكثر بكثير من أمريكا التى توفرت فيها السلع والبضائع وجميع وسائل الراحة . وانصرف كريستوفر الى تأليف روايته الجديدة التى أطلق عليها بعد الانتهاء منها « العالم فى المساء » (١٩٥٤) غير أنه أضطر الى تأجيل كتابتها لحين عودته من زيارة أزمع القيام بها لأمريكا الجنوبية بهدف تأليف كتاب رحلات عنها بتكليف من دار راندوم هاوسن للنشر . وفى أمريكا الجنوبية قام مؤلفنا بزيارة كولومبيا والأكوادور وبوليفيا والأرجنتين حيث التقى بصفوة المفكرين والمثقفين . وعند وصوله الى محطة العاصمة بوينس ايريس بالأرجنتين وجد عشيقه القديم بوبى فى انتظاره ليرحب به ويحكى له مغامراته وكيف أنه عمل كقواد على ظهر سفينة المانية قبل أن يلقى الجستابو القبض عليه . ولكنه تمكن من

الهرب الى جنوب أمريكا حيث أصبح شريكا فى ملكية مصنع صغير . وعندما دعاه بوبى لزيارة منزله فى ضواحى بوينس أيريس تأثر مؤلفنا تأثرا كبيرا حين اكتشف انه يحتفظ فى غرفة معيشته المريحة بنسخ من مؤلفاته رغم أنه كان لايستطيع القراءة باللغة الانجليزية .

كان كريستوفر يعتزم العودة من الأرجنتين الى نيويورك مباشرة ولكن المقادير شاءت له أن يذهب الى السنغال ثم إلى باريس حيث تعرف به الكاتب الأمريكى الوسيم والشاذ جنسيا جور فيدال . وتوثقت الصداقة بينهما . وبلغ اعجابه بجور فيدال حدا جعله يهدى إليه روايته « رجل أعزب » (١٩٦٤) ورد فيدال المجاملة بمثلها فأهدى إليه بدوره روايته « صبرا بريكينريدج » وكتب كريستوفر كتابا بعنوان « الكوندور والأبقار » استمد مادته من رحلاته فى أمريكا الجنوبية والجدير بالذكر أن الحياة الثقافية الأمريكية فى فترة غيبة كريستوفر فى أوربا وأمريكا الجنوبية بدأت تتعرض لضغوط المكارثيين الرجعيين ودعاة الظلام الذين لم يتورعوا عن الانقضاض على كل من يخالفهم فى الرأى وهكذا تم التحقيق مع عدد كبير من السينمائيين المشتبه فى يساريتهم . وأمام هذا التهديد الصارخ لحرية العاملين فى مجال السينما وغيره من المجالات قدم خمسمائة مفكر أمريكى مرموق عريضة يعترضون فيها على التحقيق مع زملائهم .

ولم يفقد كريستوفر صلاته بجماعة الفيدانتا الصوفية

وتجدد اهتمامه بدراسة اليوجا وترجمة تعاليمها الى الانجليزية ونشر فى هذا الصدد كتابا بعنوان « كيف تعرف الله » (١٩٥٣) ولكن عشيقه بيل كاسكى لم يأخذ نشاط هذه الجماعة مأخذ الجد . وفى تلك الفترة من حياته توطدت العلاقة بينه وبين الموسيقار المعروف إيجور سترافنسكى الذى اعتبره مؤلفنا واحدا من أعظم ثلاثة رجال قيض له أن يعاملهم طيلة حياته . أما الآخران فهما ا . م . فورستر والحكيم الهندوكى سوامى برابها فانندا . ولم يكن من السهل على مؤلفنا أن يتذوق موسيقى سترافنسكى أو يهضمها . ومن ناحيته اتهمه سترافنسكى بأنه يغط فى النوم أثناء عزف موسيقاه . ولكن هذا لم يؤثر مطلقا فى العلاقة الحميمة التى ربطت بينهما . وفى مطلع الخمسينات احتفلت الصحافة الأمريكية احتفالا بالغا بنشر روايته « وداعا يابرلين » تحت عنوان « عينى تشبه عدسة الكاميرا » وعنوان الطبعة الأمريكية مأخوذة من فقرة وردت فى الرواية دأب النقاد على ترديدها دون تمحيص دقيق لها باعتبارها المفتاح لفهم أدب ايشروود . يقول مؤلفنا فى هذه الفقرة التى لايكف النقاد عن اقتطافها بهدف القاء الضوء على المنهج الروائى الذى يتبعه فى سرد أحداثه : « أنا عبارة عن آلة تصوير عدستها مفتوحة وسليمة تماما تسجل ولاتفكر ، تصور رجلا وهو منهمك فى حلاقة ذقنه أمام النافذة فى البيت المواجه لى كما تصور امرأة تلبس الكيمونو اليابانى وهى تغسل شعرها . وفى يوم من الأيام سوف يتعين تحميض كل هذه الصور ثم طبعها بعناية قبل تثبيتها .

والغريب ان بداية الخمسينات شاهدت ذيوع صيت ايشروود فى كل من أمريكا وانجلترا فى آن واحد . ففى انجلترا ارتبط اسمه باختفاء اثنين من أبرز رجال المخابرات البريطانية عام ١٩٥١ وهما جاى بيرجز ودونالد ماكلين اللذان استطاعت المخابرات السوفيتية أن تجندهما لحسابها . وكان السبب فى ارتباط اسميهما به أن صديقه أودين . قال فى تصريح طائش للصحافة البريطانية أن رجلى المخابرات البريطانية المختفيين كانا على علاقة طيبة به وببقية أصدقائه . وكانت نتيجة تصريح أودين الطائش أن قام بعض رجال المخابرات البريطانية باستجواب كريستوفر ايشروود .

وفى زيارتيه الأخيرتين لأوربا تجنب مؤلفنا زيارة ألمانيا . ولكنه قبل فى عام ١٩٥٢ تكليفات من صحيفة الأوبزروفر بزيارة برلين والكتابة عنها . وكان من الطبيعى أن يذهب مؤلفنا لرؤية السيدة العجوز مدام ثورو التى عاش فى البنسيون الذى تديره فى فترة بقائه فى برلين . وأخبرته مدام ثورو أن أوتو زارها منذ فترة قريبة . رغم أنه كان يلبس حلة قشيبة فانه اعطاها الانطباع بأنه لايزال يعيش عالة على الآخرين . ثم أضافت أن هاينز تزوج وأنه سعيد فى زواجه وانه انجب طفلا أسماه كريستوفر .

وفى لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا توثقت عرى الصداقة بين مؤلفنا وعالمة نفسانية أسمها ايفلين هوكر تخصصت فى دراسة ظاهرة الشذوذ الجنسى واعتبرت ممارسته شيئا طبيعيا . وحتى تؤكد لمؤلفنا أنها لا تستبشع شذوذه أو

تستهجنه وافقت على أن تؤجر له ملحق بيتها الذى تعيش فيه . وهو ملحق منفصل يقع فى طرف الحديقة استغله ايشروود فى ممارسة الرذيلة مع غلام آخر اسمه دون باتشاردى وذلك بعد أن انفصل بيل كاسكى عنه ليصبح بحارا يجوب بقاع الأرض ثم مصدرا استقر به العيش فى أثينا فى أواخر الستينات . وكان كاسكى يحرص على رؤية كريستوفر من وقت لآخر اثناء زياراته للولايات المتحدة .

فى عام ١٩٥٣ قابل مؤلفنا غلاما خجولا وعلى جانب كبير من السحر والجاذبية اسمه دون باتشاردى فى حفلة أقيمت بمناسبة الاحتفال بيوم العشاق المعروف بيوم سانت فالانتين . وكان فارق السن بينهما كبيرا فقد كان كريستوفر فى الثامنة والأربعين ودون باتشاردى لايتجاوز الثامنة عشرة . وكان هذا الفارق الكبير فى السن سببا فى استهجان كثير من معارفه وأصدقائه لهذه العلاقة . حتى ايفيلين هوكر التى أقرته على شذوذه خشيت من غضب جيرانها واستياء زوجها منها . ولهذا طلبت من ايشروود اخلاء البيت والبحث عن سكن آخر . وتدخلت صديقة اسمها مارجريت لامكين لحل المشكلة ، فاتفقت مع زوجها على استضافة دون باتشاردى فى حين استأجر كريستوفر منزلا مستقلا مجاورا يلتقى فيه بعشيقه بعيدا عن أعين الفضوليين .

وفى شتاء ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ اصطحب كريستوفر عشيقه دون باتشاردى الى المكسيك ولكن مرضا خطيرا ألم بهما

وحال بينهما وبين الاستمتاع بالرحلة . وفيما بعد سافر العاشقان فى رحلة سياحية الى أوربا التى زارها باتشاردى لأول مرة وفى رحلتهما توقفا فى ميناء طنجة بالمغرب لرؤية أحد الأصدقاء . وهناك تعاطى مؤلفنا لأول مرة فى حياته الكيف أو المخدرات . غير أنه أفرط فى تناول هذه المخدرات مما جعله يهلوس ويعاين بعض الرؤى الفظيعة والمزعجة التي يصورها تحت عنوان « زيارة إلى أنسلم أوكسين » فى كتابه « نبش القبور » (١٩٦٦) وتحت تأثير الدوس هكسلى حاول مؤلفنا أن يجرب تعاطى مخدر آخر مسموح ببيعه فى الصيدليات اسمه ماسكالين وهو مخدر تحمس له ألدوس هكسلى وأستفاض فى الدفاع عنه ووصف قدرته على الوصول بمن يتعاطاه الى حالة سامقة من الشفافية والصوفية . وعندما جرب كريستوفر هذا العقار وجد أن له تأثيرا سيئا عليه فاقلع عنه واكتفى بتعاطى الحشيش بعد الغداء كما درج على ذلك بعض الأمريكان فى فترة الستينات والسبعينات وفى اكتوبر ١٩٥٧ اصطحب مؤلفنا دون باتشاردى فى رحلة الى الشرق الأقصى لزيارة اليابان وهونج كونج وبانكوك والهند . ويجدر بنا في هذا الصدد أن نذكر أن كريستوفر شجع عشيقه على الالتحاق بمدرسة للفنون وتنمية مواهبه فى الرسم لدرجة مكنته من افتتاح مرسم خاص به .

وأخيرا ماتت كاثلين والدته فبدأ يعض بنان الندم وشعر بالخطأ فى حقها لأنه فى رغبته المحمومة من الاستقلال عنها قسا عليها . دون مسوغ أو داع . والغريب أن الدوائر

الأكاديمية فى الجامعات الأمريكية أصرت على النظر اليه على أنه أديب بريطانى رغم تجنسه بالجنسية الأمريكية عام ١٩٤٦ ورغم اختياره عضوا فى المعهد القومى للفنون والآداب فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٩ . ورفضت تعيينه فى وظيفة محاضر فى الأدب الأمريكى وعهدت اليه بتدريس الأدب الانجليزى المعاصر .

إن اهتمام كريستوفر ايشروود بموضوع الشذوذ الجنسى فى انتاجه الأدبى يتفاوت من رواية الى أخرى . ولكنه يتضح بجلاء فى الأعمال الروائية التى ألفها بعد هجرته الى أمريكا . والذى لاشك فيه أن تجنسه بالجنسية الأمريكية وضع النقاد فى حيرة من أمرهم فالبعض يعتبرونه كاتبا بريطانيا على أساس أن الأثر الذى تركته نشأته البريطانية فيه أعمق من أن يمحوه الزمن وهو مانميل الى الأخذ به ، فى حين يعتبره البعض الآخر كاتبا أمريكيا على أساس انه سعى فى رواياته بعد هجرته الى تصوير خلفيات وشخصيات أمريكية . ومن هذه الروايات ما يعالج الشذوذ الجنسى بشكل محدود مثل « العالم فى المساء » التى تدور حول رجل واسع الثراء نشأ وكبر فى انجلترا ثم هاجر الى أمريكا اسمه ستيفن مونك وينتمى هذا الرجل الى عائلة من الطائفة الدينية المعروفة بالكويكرز . وقد تزوج مونك مرتين الأولى من روائية بريطانية تكبره باثنتى عشرة سنة والثانية أمريكية من هوليوود تهوى حفلات الأنس والمرح والانشراح ، ويشعر هذا الرجل بالضياع وبأنه يفتقر الى هدف واضح فى الحياة فيصيبه

الاكتئاب ويهجر زوجته الثانية . وتدهمه سيارة نقل تكسر عظام عجزه . وأثناء فترة علاجه يفكر فى حاله وكيف ينظم حياته وتعتبر هذه الرواية أول محاولة من جانب المؤلف لمعالجة مذهب الفيدانتا التى تدعو الديانة البوذية إليه . والرواية تتناول الشذوذ الجنسى فى موضعين يتمثل أحدهما فى تلك العلاقة الجنسية الشاذة التى تربط بين تشارلز الطبيب الذى يعالج ستيفن وبين عشيقه بوب . ويتمثل الموضع الثانى فى علاقة شاذة عابرة تجمع بين ستيفن نفسه وشاب اسمه ميشيل حاول ابعاد ستيفن عن زوجته أملا فى الاستئثار به . وعلاقة ميشيل بستيفن معقدة فمشاعر ميشيل الشاذة واضحة له منذ البداية والذى أثناه عن مصارحة ستيفن بها خشيته من أن تؤدى هذه المصارحة الى البعد والقطيعة بينهما . وينجح ميشيل عن طريق تقديم المسكرات الى ستيفن وتبادل الحديث العذب معه أن يغريه بمعاشرته . ويتلذذ ستيفن بهذه التجربة ولكنه يعتبرها شيئا عابرا فى حياته فى حين يقع ميشيل فى غرامه ويسعى الى الوقيعة بين ستيفن وزوجته اليزابيث بأن يفضى اليها بما حدث بينهما .

ولعل أهم ماتتضمنه هذه الرواية الهجوم على الموقف الأمريكى الذى ظل يرفض التسامح مع الجنس الشاذ حتى العقود الأولى من القرن العشرين . ويدافع بوب عن الشذوذ الجنسى ويشكو لستيفن من أن ممارسى الجنس مع النساء لايفتأون يهددون بطرد أهل لوط من مجتمعهم والزج بهم فى غياهب السجون فيشرح له ستيفن أن السبب الحقيقى فى

سوء معاملة الناس له يرجع الى موقفه العدوانى منهم . فيرد عليه بوب قائلا إنه قد يكون من المستحسن اسـ[illegible]ـاء الناس ضد ممارسى اللواط لأن هؤلاء الناس يتعمدون معظم الوقت أن يتجاهلوا وجود شواذ الجنس بينهم ويعاملونهم على أنهم طبيعون الأمر الذى يستحيل معه تغيير القوانين التى تجرم ممارساتهم الشاذة ويستطرد بوب فيقول إن نفرا من أهل القرية يعلمون حقيقة العلاقات الشاذة بينه وبين تشارلز . ورغم ذلك بأنهم يتظاهرون بأنهم لايعلمون . وتنتهى أحداث رواية « العالم فى المساء » بالتحاق بوب بالبحرية الأمريكية للاشتراك فى الحرب العالمية الثانية رغم أنه كان بامكانه الحصول على اعفاء سن التجنيد لأنه من معترضى الضمير الذين يعفون الحرب أو من شواذ الجنس الذين لاتسمح قوانين الجيش بتجنيدهم .

ويركز مؤلفنا فى روايته « رجل أعزب » على موضوع الشذوذ الجنسى في أمريكا . وهى تدور حول يوم كامل في حياة أستاذ جامعى فى الثامنة والخمسين من عمره اسمه جورج يعيش فى جنوب كاليفورنيا وتصبح حياة هذا الأستاذ بعد وفاة عشيقه جيم كئيبة ورتيبة معا . فهو يتناول افطاره فى الصباح ثم يتوجه الى الجمنازيوم لممارسة شىء من الرياضة ثم يباشر التدريس لطلبته ثم يتناول وجبة الغداء مع صديقة له . وفى آخر نهار نراه يخرج ليحتسى قدحا من الخمر . والأفكار التى تخطر بباله طيلة الوقت افكار عادية للغاية فهى ككل الأفكار العادية التى ترد على بال اى انسان فى مثل

وظيفته . غير أن هذه الأفكار تمتزج من وقت لآخر بأفكار تنبعث من رغباته الجنسية الشاذة . وفى الطريق الى عمله يستمع جورج الى راديو سيارته الذى يذيع أن احدى الصحف المحلية تشن حملة شعواء على شواذ الجنس المنتشرين فى كل مكان والمصابين بالزهرى وتهاجم القوانين الرخوة التى تتساهل معهم . ولم ينزعج جورج من هذا الهجوم بل استقبله بروح المرح والدعابة ومن ثم أخذ يتخيل نظرة جيرانه البورجوازيين المحترمين الى علاقته بجيم عندما كان حيا وكيف أنهم لابد وأن استبعدوا شبهة اللواط منها وحاولوا تفسيرها على انها مجرد اشباع رغبة تلح عليه لايجاد بديل يعوضه عن فقدان شىء عزيز عليه .

وفى الكلية يراقب الأستاذ طالبين يلعبان التنس ويبدى اعجابا بجسديهما المفعم بالرغبة . ويتساءل فيما بينه وبين نفسه اذا كان الطلبة يعرفون أن استاذهم واحد من شواذ الجنس . ورغم هذه الأفكار الشاردة فإنه يقضى يومه بشكل عادى للغاية . وفى المساء يظهر ميله الى الشذوذ بوضوح فبينما هو فى بار يحتسى الخمر يدخل أحد طلبته واسمه كيم ويشاركه الشراب وينظر جورج الى كيم فيجده مغريا للغاية . وبعد أن يشرب الأستاذ مع طالبه حتى الثمالة نراهما يستحمان فى ماء المحيط المجاور للبار . وأخيرا يعود جورج الى منزله برفقة تلميذه . وعلى غير ماننتوقع يمتنع الأستاذ عن ممارسة الجنس معه لأسباب غير واضحة بالمرة . ويغلب جورج النعاس فينقله تلميذه الى الفراش ثم ينصرف .

اللافت للنظر فى هذه الرواية أن كريستوفر ايشروود يتناول ممارسة الشذوذ الجنسى على أنه نشاط عادى وطبيعى للغاية لايحتاج الى دفاع أو حتى تبرير . ويبدو أن سبب اقتناع الأستاذ عن معاشرة تلميذه ترجع الى شدة وفائه واخلاصه الى عشيقه الأول . ومن المفيد التنويه بما سبق لنا الاشارة اليه من تأثر ايشروود فى باكورة حياته الأدبية بأساليب السرد التجريبية الحديثة . فروايتاه « كل المتآمرين » و « الذكرى » تستخدم المنولوج الداخلى الذى يسيطر على الأحاديث والأحداث فى كثير من أجزائهما ، الأمر الذى يؤكد تأثر كاتبنا بالمذهب الأدبى المعروف بتيار الشعور التى تقترن بروايات فيرجينيا وولف وجيمس جويس . فضلا عن أن الكثير من أعماله تعكس أثر ا . م . فورستر فيه من جنب أن أسلوبهما يجمع بين التهذيب والسخرية وبين ماقل ودل أى كلام المختصر المفيد . ولكن تغيرا واضحا طرأ على أسلوبه ابتداء من « المستر نوريس يغير القطارات » و « قصص برلين » فقد آثر مؤلفنا أن ينتهج أسلوبا واقعيا شديد الوضوح وقريبا للغاية من الأسلوب التسجيلى الذى يتوخى الموضوعية فخوفه من قدوم النازية جعله يحرص على أن تصل رسالته جلية الى قرائه . ورغم أن ايشروود يركز على الجنس الشاذ بدرجات متفاوتة فى روايتيه السابقتين « العالم فى المساء » و « رجل أعزب » فإن كثيرا من أعماله الأخرى لاتخلو بشكل أو آخر من الاشارات إليه .

فهرس الكتاب

رقم الإيداع
٩٥/٣٥٣٦
I.S.B.N
977-07-0390-7

هذا الكتاب

يقدم هذا الكتاب حياة وأعمال ثلاثة من كبار الادباء العالميين الذين اتسمت حياتهم بالقلق والتوتر مما كان له أكبر الأثر على إنتاجهم الادبى .

والكتاب يتضمن ابداع هؤلاء الادباء الثلاثة المصابين بالشذوذ الجنسى ، كما يتناول العلاقة بين ادبهم وحياتهم المريضة الخاصة والتى كانت مثارا للجدل والنقاش الساخن الذى اخذ اشكالا متنوعة ومثيرة .

وهؤلاء هم :

الاديب ذائع الصيت إدوارد مورجان فورستر المعروف فى عالم الادب باسم « ا . م فورستر » وهو الاديب الذى عشق الريف ولذا جاءت رواياته الست التى الفها طيلة حياته تستمد مادتها من القرية ، وان ينابيع الابداع جفت عندما ترك القرية ليعيش فى أماكن اخرى .

جاء فورستر الى الاسكندرية عام ١٩١٥ متطوعا فى الصليب الاحمر وعاش بها نحو عامين حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى وتقابل مع الشاعر السكندرى اليونانى الاصل كافافى ...

اما الثاني : فهو الشاعر الانجليزى « دابليو ايتش اودين » الذى عرف بالقلق والتنقل والترحال الدائم سعيا وراء مذهب فكرى يتفق مع ميوله .

والثالث : هو كريستوفر إيشروود الكاتب المتعدد المواهب والاهتمامات فهو روائى ومؤلف سينمائى ومسرحى مرموق ارتبط اسمه بالدعوة الى السلام ونبذ الحروب وباتجاهه الى اعتناق فلسفة الشرق والتصوف الهندى .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٣٦ جنيها داخل ج . م .ع تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٠ دولارا - امريكا واوربا واسيا وافريقيا ٤٠ دولارا - باقى دول العالم ٥٠ دولارا .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لآمر مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول ، الصفاة ـ ص . ب رقم ٢١٨٣٣

للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلكس : 92703 Hilal.V.N


كليوباترا
FILTER TIPPED
CLEOPATRA